وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا — قرآن کریم

الاعتصام بالاسلام

عمر العرباوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعتصام بالاسلام

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهدون .

صدق الله العظيم

قرآن كريم .

اهدي هذا الكتاب

الى ارواح الشهداء الذين سقطوا في ميدان معركة التحرير تحت قنابل الطيارات والمدافع ، وأزيز الرصاص الذى كان يحصد النفوس حصدا ، وعلى أعواد المشانق ، وشفرات المقاصل .

والى أرواح المجاهدين الابرار الذين لا زالوا يعانون من الام المعارك الضارية والى الشعب الجزائرى الذى صبر على أشد العذاب وأقساه ، والى المسلمين الذين عاونوا الجزائر على استقلالها في كل مكان .

تصدير الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على جزئين : الجزء الأول يتكلم على التدهور الذى أصاب المسلمين من بعد سقوط الخلافة الشرعية ، منذ ذالك الوقت لم ينعم المسلمون بالوحدة التى أمرهم بها القرآن ، والتى كان عليها أسلافهم الميامين الى الآن .

ـ هذا هو السبب في ضعفهم وفشلهم في جميع المحاولات حتى أفلت زمام قيادة العالم من أيديهم ، وأصبحوا تابعين لا متبوعين مقلدين لأمة الكفر ، غير مستقلين ، بما آتاهم الله من الهدى والفرقان وكانت رحمة الله مفتحة لهم الأبواب دائما فما عليهم الا أن يلجوها ، وعنايته محيطة بهم فما عليهم الا أن يطلبوها فاذا مدوا أيديهم اليها فسرعان ما تعود اليهم عزتهم وكرامتهم .

والجزء الثانى يتكلم على الثورة الجزائرية حين خاضت الحرب باسم الاسلام ، فكان لها نصر مؤزر رغم انها لا تملك من السلاح الا الشيء التافه ولكن الجزائريين تسلحوا في هذه الحرب ـ بسلاح قوى لا يقهر ولا يغلب ألا وهو سلاح الايمان بالله عز وجل والوحدة المتينة واستطاعوا بهذا السلاح ان يقهروا قوة الغرب الطاغية ، وان يطردوا الغزاة من هذه الأرض الطيبة . هذا هو طريق النصر اذا اراد المسلمون .

الطبعة الأولى ـ 1402هـ (1982م)

بســــم الله الرحمــــن الرحيـــم

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر الواحد الأحد الفرد الصمد ذى العزة والجبروت ، والجلال والكمال ، الذى لا ندله فيبارى ولا معارض له فيند عن حكمه ، ولا شريك له فيمارى ، كتب الفناء على خلقه وجعل ثواب الذين اتقوا الجنة وعقبى الكافرين النار .

أحمده على حلو القضاء ومره ، وأعوذبه من سطوته ومكره ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له العالم يزل عظيما جبارا قهارا قويا جل عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظهير وتقدس عن التعطيل وتنزه عن المثيل .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى أرسله الله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات وسلم تسليما كثيرا متصلا ما تعاقب الليل والنهار .

وبعد لم يشهد التاريخ عصرا كهذا العصر الذى نعيش فيه من حيث الهياج الفكرى الذى استبد بالناس حول الدين ، فكان في كل عقل بلبال ووسوسة ، وفي كل مجتمع تدافع وجذب ، فدخل سلطان العقل على كل قضية من قضايا الدين ، فلم يدع واجبا ولا خاطرا يمر في كيان الانسان الا أمسك به وعالجه معالجة الكيمائي ، ونقده نقد الصيرفي حتى المسلمات التى رضى الناس بها واطمأنوا اليها فأدخل عليها الشك .

وقد كان للدين الاسلامى النصيب الأوفر من هذه الثورة الملحدة عليه ، فأصبح الناس ينظرون اليه كافة مزعج مقلق عائق عن التقدم ، لأن هؤلاء (الملحدين) يقولون (الله خرافة ، والدين وهم وخداع وعملية تخدير لسقام العقول ، وضعفاء الأحلام ، والمتدينون به جهلاء أغبياء واقعون تحت تأثير هذا المخدر) هذا بعض ما يقولون عن الدين ، ولا يزالون يقولون الى الآن والى

الغد ، انه لقول يدير الرؤوس ويزعج مواطن السكينة في قلوب المؤمنين .

أما العلماء المفكرون المنصنفون من الأجانب فبحثوه بحثا دقيقا بحيث وضعوه تحت المجاهر الفاحصة ، فوجدوه ميزانا عادلا في الأخلاق والاستقامة والأحكام ، والمساواة بين الناس مؤيدأ للعقل سائرا على الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

الدين مبناه وأساسه على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهو عدل كله ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى القسوة وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الدين في شىء وان أدخلت فيها التأويلات ، الدين عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أتم دلالة وأصدقها ، وهو نوره الذى أبصر به المبصرون ، وهداه الذى أهتدى به المهتدون ، وشفاؤه التام الذى هو دواء لكل عليل ، وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهو قرة العيون وحياة القلوب ولذة الأرواح ، به الحياة والغذاء ، والدواء والنور والشفاء والعصمة ، وكل خير في الوجود فانه مستفاد منه وخاص به ، وكل نقص في الوجود فبعدم الأخذ به ولو لا رسم قد بقى منه لخربت الدنيا وطوى العالم ، وبه يمسك الله السموات والأرض أن تزولا ، فاذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع الله ما بقى من رسمه فالدين هو الذى بعث به رسوله الكريم وهو قطب الفلاح والسعادة في الدنيا والأخرى .

القانون الطبيعى للأمم هو كل أمة تستعمل ما أتاها الله من قوى الفكر والعقل الا العالم الاسلامى فانه اليوم خليط من بقايا موروثة من عصور الضلام بسبب جلب ثقافات حديثة من تيار حركة أوربية ، وهى خليط لم تصدر ـ كما رأينا ـ عن توجيه ، علمي مدروس مبنى على أسس أخلاقنا وعوائدنا ، وانما هى مجموعة من رواسب قديمة لم تصف من طابع القدم ،

ومستحدثات لم تتم تنقيتها ، هذا التلفيق لعناصر من عصور مختلفة ومن ثقافات متنائية من أدنى غير ربط طبيعي أو منطقي يربط بينهما عالم متضارب منطوى على ألوان من التناقض والتنافر التى تجمعت وتراكمت في المسلمين اليوم لا هم شرقيون ولا هم غربيون ، فهضم العناصر المستوردة يقتضى تميزا دقيقا وفكرا ناقدا يقظا محدد الشروط التى يلزم توافرها في الاستعمالات الضرورية أعنى شروط توافقها وتفهمها ولياقتها ، لقد وجد المجتمع الاسلامى الأول نفسه مرات كثيرة في مواجهة مشكلات من هذا النوع فحلها في كل مرة بطريقة واعية موفقة لا سيما حين حاول اختيار طريقة الدعوة الى الصلاة ، ففكر بعض الصحابة رضى الله عنهم . في الجرس ، أو البوق ، أو اشعال النار عند وقت الصلاة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته قد اختاروا بعد تفكر وتأمل طريقة أصيلة في النداء وهو صوت الانسان فنشأت حينئذ وظيفة المؤذن وبذلك تحاشوا مشكلة استيراد الأجراس وغيرها [1] .

وهناك عادات وتقاليد كثيرة أخذها العالم الاسلامى الأول ، كانت بعد اختيار مشدد ، واختيار بين وسيلة وأخرى وبين الطرق والأفكار ، فالخطأ الذى وقع فيه المحدثون ودعاة الاصلاح اليوم ناتج على أن كليهما لم يتجه الى مصدر الهامه الحق ، فالاصلاحيون لم يتجهوا حقيقة الى أصول الفكر الاسلامى كما أن المحدثين لم يعمدوا الى أصول الفكر الغربى . يجب على العالم الاسلامى في هذا العصر أن يوفق بين العلم والضمير وبين الأخلاق والصناعة وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة ولو أنه سائر في الطريق اليها يجب على المسلمين اليوم أن يمضوا قدما في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف حتى يصلوا الى جانب رقيهم الفكرى والمادى وكل أمة تتقاعد عن السباق في حلبة الفكر والتعمق في العلم تحصاب مع انحطاطها العقلى بالتقهقر والاضمحلال المادى كذلك ولما كانت الغلبة نتيجة القوى ، والهزيمة عاقبة الضعف فان الأمم المتخلفة من الجهتين المعنوية والمادية كلها تهبط في دركات

(1) الظاهرة القرآنية

الضعف والفتور ، وتصبح صالحة للعبودية وأكثرها استعدادا للخنوع ، ان المسلمين يعانون اليوم من هذه العبودية المضاعفة ، فبعضهم توجد فيهم العبودية بنوعيها جميعا ، وفي البعض الآخر يقل فيه جانب العبودية السياسية وتوجد فيه جانب العبودية المعنوية ، ومن سوء الحظ أنه ليست لهم على ظهر الأرض رقعة اسلامية واحدة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهتين السياسية والمعنوية(1) .

ويعتبر المسلمون اليوم أن الحق هو ما عند الغرب ، والباطل ما يعده الغرب باطلا ، والقياس الصحيح للحق والصدق والآداب والأخلاق والانسانية والتهذيب هو ما يقرره الغرب ، ولذلك أصبحوا يقيسون العقيدة الاسلامية والايمان بالله عز وجل ، وأحكام الاسلام بمقياس الغرب ، فكل ما يطابق منها مقياس الغرب يطمئنون اليه ، أما ما لا يطابقه فيظنونه خطأ وباطلا .

وان الغلبة والاستيلاء يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي فكل أمة تسبق غيرها اليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم وتستولى أفكارها على العقول ، وأما الأمة التى تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده اذ لا تبقى في أفكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة ما يكسبها السيطرة على الأذهان فيجر فيها تيار الأفكار القوية والمعتقدات الراسخة التى تتقدم بها الأمة الباحثة المجتهدة ، كان الفكر الاسلامى غالبا على أفكار النوع الانسانى بأجمعه وكل ما اتخذه الاسلام من المقياس للخير والشر والحسن والقبيح والخطأ والصحيح يكون مقياسا صحيحا عند جميع أهل الأرض .

كل الحضارات التى كانت على وجه الأرض ذابت بكل سهولة في الحضارة الغربية وتلونت بلونها بدون أن يقع بين هذه وتلك كبير احتكاك ، ولكن المسلمين كانت حالهم غير حال تلك الأمم جميعا لأنهم حاملوا حضارة مستقلة ذات دستور واضح متكامل شامل لجميع شعب الحياة الانسانية من ناحيتى الفكر والعمل ،

---

(1) مالك بن النبى

تختلف اختلافا كليا عن مبادىء الحضارة الغربية فكانت بطبيعة الحال ـ أن هاتين الحضارتين تتزاحمان في كل مجال .

وتصطدمان على كل صعيد ، ولا يزال هذا الصدام قائما بين القوتين الى هذا اليوم ، يؤثر في كل شعبة من شعب حياة المسلمين العلمية والعقائدية أسوأ الآثار .

من القواعد الكلية التي أثبتها القرآن ، ان الله تعالى (ليس بظلام للعبيد) حتى يهلك أمة بلا سبب ، وهي تعمل صالحا (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)(1) وليس المراد بهذا الهلاك أن تنقلب الأرض على أهلها ، بل تتشتت الأمم وتكسر قوتها الاجتماعية ، وتضرب عليها الذلة والعبودية والخزى ، وحسب القاعدة القرآنية لا يصيب هذا العذاب أمة من الأمم الا اذا تركت منهج الخير والصلاح ، وأخذت تسلك مناهج الشر والفساد ، والعتو والطيغيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ، وان الله ما ذكر أمة أصيبت بعذاب الا وذكر جريمتها ثباتا لتلك القاعدة القرآنية حتى يتبين لمناس أن وبال أعمالهم السيئة هو الذى يفسد دنياهم وآخرتهم (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسقنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا) سورة العنكبون ، ولا يكون هو الفساد الفردى بل هو الفساد الجماعي فالعناية الالهية هي التي تتصرف في هذه الأمة ، ويبدأ المجتمع الفاسد في الهبوط من علياء عزه الى درك الهوان حتى تحين الساعة التي يهيج فيها غضب الله فيدمرها تدميرا هذا هو سبب الهلاك ، اذا أراد المسلمون أن يكون لهم نصر مؤزر وغير هزيل ، ومصحوب بالدوام والاستمرار فيحا فظوا على الاسلام ، وعلى ماجاء به من الوحدة وغيرها ، لأن توجيهات القرآن وارشاداته صريحة في هذا المعنى ، ومن خلال انتصار المسلمين في الماضى كانت موافقة لما أمر به القرآن الكريم رغم نقصهم في العدة والعدد ، لأن هذه الانتصارات الرائعة التي وقعت للمسلمين على أعدائهم سواء كانت في الماضى

---

(1) سورة هود عليه السلام

أو الحاضر فهي ، وعد من الله للمسلمين ان هم داموا سائرين على خط الاسلام ، فلا بد من تحقيق هذا الوعد قال : الله عز وجل : (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون به شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(1) فما بال المسلمين لم ينتصروا عدة قرون وهم منهزمون ، أترى أن الله يخلف وعده كلا .

... فالله سبحانه وتعالى يقول : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)(2) وانما المسلمون نقضوا الشرط الذى شرطه الله عليهم في الآية المتقدمة .

اذا تركت الشعوب الاسلامية الدين بعيدا عن حياتها ، كما هو الآن ـ في أوطان المسلمين ، ولم تجعله أساسا لشؤونها ، فانها لن تستطيع أن تقوم بنهضة قوية وعندئذ لا يقدر أى مبدأ من المبادىء المستوردة أن يوحد بينها ، فتنا بها عوامل الضعف والتخاذل والتفرقة ، وهذا ما وقع في الماضي ، وكان السبب في سقوطها فريسة بين أيدى أعدائها ، ولازال هذا التفرق الى الآن بكل أسف .

الأمة الاسلامية ـ في تاريخها الطويل العريض ـ لم تحارب أعداءها باسم أى مبدأ من المبادىء الوضعية ، وانما حاربت باسم الاسلام ولهذا كانت تخرج من المعارك ظافرة ومنتصرة .

ونأتى بمثال واحد ـ من بين الأمثلة الكثيرة ـ شاهدا على ذلك يلمسه كل من باشر ثورة الجزائر الكبرى ، حين وصل الايمان بالله عز وجل الى قلوب الشباب عن طريق الدعوة فسرعان ما تناسى حظوظه الشخصية واتحد ، وبرز يكافح ويناضل ، ويجاهد في سبيل الله في كل مكان لاسترجاع كرامته المهدورة وحقوقه المهضومة ، وسيادته المغصوبة ولو دعى باسم مبدأ آخر خلاف الاسلام لما لبى النداء أبدا ، ولهذا ضرب

---

(1) سورة النور
(2) — الروم

الأمثال الرائعة في الشجاعة والتضحية والفداء ، فصمد في وجه أكبر قوة غاشمة ، وهى قوة الغرب الطاغية المستبدة على شعوب العالم كما صمد أجداده من قبل في وجه الفرس والرومان .

ما هى الا لحظات من لحظات الدهر الحاسمة ، صبر فيها المجاهدون الأبرار حتى نزل النصر من عند الله ، وتغيرت الأوضاع والمعالم ، ولاذ لغاصبون بالفرار ، ولم تغن عنهم قوتهم ، ولا سلاحهم المتطور ، بهذه العقيدة الربانية انتهى عهد الظلام بطلوع فجر صادق تتلا لا أشعته في الآفاق ، .... كم كان يحمل جسم الأمة الاسلامية المثخن بالجراح من حصانة ومناعة ومقاومة على مر الأزمات والأحقاب ، ولو لا الاسلام لانقرضت هذه الأمة من الوجود كما انقرضت عادو ثمود في الزمن الغابر ، وكيف تتقرض وهى من بقيت السلف الصالح ، ومن حملة العقائد الصحيحة والمبادى السامية ....

كان قادة الثورة الجزائرية أيام حرب التحرير يحثون الشعب بصفة عامة والمجاهدين بصفة خاصة على تطبيق أوامر الاسلام والعمل بها واجتناب نواهيه ، وكانوا يعاقبون كل من يتعد حدوده .

لقد أثار كفاح الجزائريين الهامدين ونبه النائمين والغافلين ، فكان المجاهد الجزائرى حاضرا للعمل مهيأ للبذل والعطأ مستعدا للفداء مدربا على خوض المعارك معتزما الاستشهاد في سبيل الله حمل السلاح ومضى الى ميادين القتال ، فبدأ هجوماته على العدو بكلمة (الله أكبر) فكان النصر حليفه ، لم يشهد العالم الاءسلامى ثورة مسلمة مسلحة مثلها في العصور الأخيرة من عصور المسلمين أكثر ضحايا وأطول مدة لم تقتصر هذه الثورة على الجزائريين وحدهم ، بل فتحت الطريق لشعوب آسيا وافريقيا لمحاربة الاستعمار الذى كان جاثما على صدرها ومنذ اندلاع الثورة في الجزائر ، وهذه الشعوب تكافح وتناضل حتى تحررت نهائيا ، ولمادعى الشعب الجزائرى الى الثورة ، لم يعد كفاحهم هتافا

وتصفيقا بل كان عملا وتضحية ولم يعد جهادهم دعاية وتهريجا ، بل كان فداء واستشهادا . وتعذيبا وتنكيلا ، هذه الثورة كلفت الشعب الجزائرى ثمنا باهضا من التضحيات الجسيمة فسقط ما يربو عن مليون شهيد في الاشتباكات على مستوى الوطن ، تحت قنابل المدافع والنبالم والطائرات وأزيز الرصاص وعلى أعواد المشايق وشفرات المقاصل وتحت الهدم ، أما العذاب الذى أنزل على رأس الأمة الغالب لم ينجو منه أحد ، والتخريب ودك الدور والمنازل وهتك الاعراض والشرف فحدث عن ذلك ولا حرج .

وامتازت مقاومة الجزائر لجيش الاحتلال الفرنسي ببطولة نادرة لم يكن هذا الاحتلال نزهة عسكرية كما يقولون ، بل اصطدم بأناس أقوياء في ايمانهم صلب في عزائمهم لا كما كان يظـن الاستعمار أنهم أناس متأخرون وهـذا ماشهد بـه قائـد الاحتلال (الجنرال بيجو) قال : (ان العرب كلهم أهل حرب وبأس يخوضون غمار الحروب من الشيخ الهرم البالغ من العمر ثمانين سنة الى الطفل البالغ خمسة عشرة سنة) واعترف المؤرخون الفرنسيون بشخصية الجزائر المسلمة كوحدة قومية تنتمى الى المجموعة الاسلامية ، وهذا ما شهد به المؤرخ الفرنسي (لورد ليو) في كتابه الجزائر وتونس قال : (ان فرنسا استولت سنة 1930 على قطر عامر غنى زرعا وذرعا يذود عن حوضه سكان عديدون يحبون الحرب ولا يعرفون للفشل ولا للملل معنى ، ان هؤلاء السكان من جنس عريق استوطنوا افريقيا منذ زمن عتيق ، توالت عليهم في هذا القطر قرون وأجيال ، فهم أصحاب مدينة رائعة ، يكونون هيئة اجتماعية منظمة ، تتوفر فيها شروط الحياة والقوة ، تعتز بوطنيتها كل اعتزاز ، وبفضل أخلاقها وعاداتها ودياناتها ، كانت تنفر من الاندماج الى أى جنس ما ، ومما يزيد في الطين بلة ، هو دين هذا الجنس دين عزيز لا يغلب ولا يقهـر ، قـوة دافعـة جبارة يستمدهـا من بساطـة مبادئـه ووضوحها الى غير ذلك من شهادة المؤرخين الأجانب .

كتبت عدة كتب عن الثورة الجزائرية ، كان أكثر الكتاب غربيين من صحافيين ومؤلفين ، تناولت بعض الأحداث الظاهرة في الثورة التي نجمت عنها ، وعلى الحرب المدمرة وابادة السكان وعلى العذاب والتنكيل ، والقتل الجماعي الذي كان يستعمله الجيش الفرنسي ، واندفاع الشعب الجزائري ومغامرته بحياته في هذه الحرب القذرة ، وعلى المؤتمرات التي كانت تعقد في الشرق والغرب من أجل انتهائها ، وعلى المناضل الجزائري وما كان يحمل بين طياته من شجاعة وعبقرية فذة ، وصور انسانية حية سليقة فيه ، هذا كله تكلموا عنه لكنهم أهملوا العنصر الأساسي الذي قامت عليه الثورة ، والذي أمدها بقوة غلابة وقادها حتى النصر النهائي ، وسواء أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد ؟ فالدين هــو الذي كــان سبــبا في جميــع كلمة الأمــة ، وبعث فيها روح الجهاد والتضحية ، وقادة الثورة جعلوه دستورا لها سارت عليه من بدأيتها الى نهايتها ، ولولاه لما أجتمعت الأمة على مقاومة الاستعمار ، والعالم كله يشهد بذلك ، أفبعد هذا الانتصار الرائع يتنكــر الشعــب مــن بعــد الاستقلال للاســلام ويتهمه بالرجعية وعدم مسايرته للتطور الحضاري ؟ اللهم فاءنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ولما رأيت أن الكتاب عن الثورة لم يشيروا الى الدين الذي هو عنصر فعال فيها لامن قريب ولامن بعيد ، عزمت على أن أكتب على هذا الجانب الروحي الذي سرى تياره في هذه الأمة منذ زمن بعيد وماكادت تسمع صوته من الدعاة حتى صارت تتسابق الى ميادين الجهاد ــ واني أثبت الحقائق الناصعة في هذا الكتاب وأرفع الالتباس والغموض تحقيقا للواقع التاريخي ، مبينا في ذلك للشعــوب الاءسلامية عامــة وللشعوب العربية خاصة وموضحــا للأجيال الصاعدة أنهم اذا حادوا عن الاءسلام ، ولم يجعلوه أساسا لحياتهم لم يكتب لهم النصر والتوفيق أبدا في هذا الوجود ، ويبقوا تابعين لا متبوعين ...

أشرت في هذا الكتاب الى الخلاف المستحكم الحلقات بين المسلمين ـ والأنانية الطاغية في بعض الأفراد ـ ولا سيما الحكام ـ حتى عصفت بماكان لهم من تسامح وعدالة ووحدة .

وبدأ هذا الخلاف من بعد ما التحق صاحب الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

ومن بعد ذلك قامت الأحزاب والفرق التي نجمت من بعد حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ـ والكوارث التي أصابت المسلمين ـ سواء كانت داخلية أو خارجية هي التي كانت سببا في سقوط الخلافة الشرعية ومن بعدها هبت المحن على العالم الاسلامي ، فتفرق شر مذر لأنه ترك الحبل الذى كان يربطه ومن ذلك الحين لم يكن للمسلمين وحدة الى الآن ، وأصبحوا يخرجون من سيء الى أسوأ .

وأشرت الى حرب الأمير عبد القادر مع الجيش الفرنسي والثوارات التي وقعت في عهد الاستعمار الى ثورة 1954م ، وكذلك ثورة العالم الاسلامي اشارة عابرة ، لأن الذى يكتب عن الثورة الجزائرية لا يستطيع أن يفصلها عنه بحكم الروابط الدينية والتاريخية والمصيرية والحضارية .

وأشرت الى الأسباب التي قامت عليها ثورة الجزائر الكبرى ، وهي : الأحزاب الوطنية ، والهيئات الدينية ، كانت تبث الوعي الديني والوطني فاستجاب الشعب الى هذا الوعي ، وصمد في وجه قوة الغرب ، وغالب الجزء الأول من هذا الكتاب عرض تاريخي للحوادث الكبرى التي انتابت المسلمين وجعلتهم طوائف متناحرة ودولا متحاربة حتى ضعفوا وفشلوا ، فطمع فيهم أعداؤهم فأصبحوا تحت رحمتهم بسبب تفكك وحدتهم وتفرق كلمتهم لأنهم خالفوا الاسلام الذى يأمرهم بالاعتصام بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا .

من هنا يجب أن يعتبر المسلمون بالماضى القريب والبعيد ليتداركوا أخطاءهم ، ويلطفوا من أنانيتهم وعداوتهم لبعضهم بعضا ويلتفوا حول الدين الحنيف حتى يصبحوا أمة قوية مرهوبة الجانب تقف في وجه أعدائها المتكالبين عليها من كل ناحية (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعدون)(1) .

لأن المسلمين عندما يتنكرون للاءسلام ، ويتحللون من أوامره وأخلاقه يفشوا فيهم الضعف عن المقاومة والتخاذل فيما بينهم والترف الممقوب ، فيعرضون أنفسهم وشعوبهم الى احتلال أوطانهم من طرف أعدائهم .

وذكرت بعض التعاليم الاسلامية لتكون حجة للمناوئين لها فكل من يعارض الاسلام لا يعرف مبادئه ، ولا درسه دراسة واسعة حتى يتمكن من معرفة حقائقه، وسميته (الاعتصام بالاسلام).

---

(1) سورة الانبياء

الايمان بالله عز وجل صنع رجالا كانوا اغمارا في الجاهلية فأصبحوا سادة العالم

بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، والعالم مبعثر ومشتت كل شيء فيه ، فهو في غير محله ، نظر محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس فرأى كل واحد هانت عليه نفسه رآه يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر ، كان الناس يتحاكمون الى قانون الغاب ، رأى مجتمعا كل شيء فيه في غير شكله ، أصبح المجرم فيه سعيدا ، والصالح شقيا ، لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف ، ولا أعرف من المنكر ، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها الى هوة الهلال ورأى معاقرة الخمر الى حد الادمان ، والخلاعة ، والفجور الى حد الاستهتار ، وتعاطى الربا الى حد الاغتصاب ، واستلاب الأموال ، ورأى الطمع وشهوة المال الى حد الجشع والنهامة ورأى القسوة والظلم الى حد الوأد وقتل الاولاد ، ورأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا ، وعباد الله خولا ، ورأى أحبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .

رأى المواهب البشرية ضائعة لم ينتفع بها أحد ، ولم توجد التوجيه الصحيح ، فعادت وبالا على الانسانية ، فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية ، والجود تبذيرا واسرافا ، والانفة حمية جاهلية والذكاء شطارة وخديعة والعقل وسيلة لابتكار الجنايات ، والابداع في ارضاء الشهوات رأى هذا كله وأكثر منه في بيئته الخاصة وفي العالم ، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا اقليميا أو زعيما وطنيا ، أو مصلحا لناحية من نواحي المجتمع اذ مجال العمل في بلاد العرب فسيح ، لو كان رجلا اقليميا لسار في قومه سيرة القادة السياسيين والزعماء الوطنيين ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث لينسخ باطلا بباطل ويبدل عدوانا بعدوان ، ويحرم شيئا في مكان ويحله في مكان آخر ، لم يبعث زعيما وطنيا ، أو قائدا سياسيا ، وانما أرسل الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وأرسل ليخرج عباد الله جميعا

من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ويخرج الناس جميعا من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)(١) فلم يكن خطابه لأمة دون أمة ووطن دون وطن ، ولكن كان خطابه للنفس البشرية والمصير الانسانى ، وكانت أم القرى لموقعها الجغرافي واستقلالها السياسى خير مركز لرسالته وكانت الأمة العربية بخصائصها النفسية ومزاياها الأدبية خير محل لدعوته وخير داعية لرسالته .

لم يكن صلى الله عليه وسلم من عامة المصلحين فحسب ، بل أتى بالاصلاح الشامل لجميع نواحى الانسانية ، أتى بالايمان بالله وحده ، ورفض الأوثان والشرك والكفر والطاغوت والظلم والبغى بكل معانى الكلمة ، وقام في القوم ينادى (أيها الناس قولو لا اله الا الله تفلحوا) ودعاهم الى الايمان برسالته والايمان باليوم الآخر .

أدرك عباد الاوثان والشهوة والمادة عندما قرع أسماعهم صوت النبى صلى الله عليه وسلم أن دعوته الى الايمان بالله وحده سهم مسدد الى كبد الجاهلية ، فقامت قيامتها ودافعت عن تراثها ، وقاتلت في سبيلها قتال المستميت (وأنطلق الملاء منهم أن أمشوا واصبروا عن آلهتكم أن لهذا الشيء يراد)(١) ووجد كل واحد من هذا المجتمع الجاهلى نفسه مهددة ، وحياته في خطر ، وهنا وقع ما تحدث عنه التاريخ من حوادث الاضطهاد والتعذيب ، وكان ذلك آية للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه أصاب الغرض ، وضرب على الوتر الحساس ، وأصاب الكفر في صميمه ، وثبت النبى صلى الله عليه وسلم على دعوته ثبوتا دونه ثبوت الراسيات لا يثنيه أذى ولا يلويه كيد ولا يلتفت الى اغراء مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حجة يدعو الى الله وحده ، والايمان برسالته واليوم الآخر لا يكنى ولا يلوح ولا يلين ، ولا يستكين ، ولا يحابى ، ولا يداهن ويرى في ذلك دواء لكل داء .

(١) الاعراف

فكان الايمـــان بالله والانحياز اليه جد الجـد لا يتقدم اليـــه الا جاد مخلص هانت عليه نفسه ، وعزم على أن يقتحم خط النيران ويمشي اليه ولو على حسك السعدان ، فتقدم اليه فتية لا يستخفهم طيش الشباب ، ولا يستهويهم مطمح من مطامح الدنيا وانما همهم الأخرة وبغيتهم الجنة .

سمعوا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم ، فضاقت عليهم الحياة الجاهلية بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم فرأوا أنهم لا يسعهم الا الايمان بالله ورسوله فأمنوا وتقدموا الى النبى صلى الله عليه وسلم ووضعوا أيديهم في يديه ، وأسلموا أنفسهم وأرواحهم اليه ، وهم من حياتهم على خطر ، ومن البلاء والمحنة على يقين ، سمعوا القرآن يقول (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (1) وسمعوا قوله تعالى (أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) (2) فما كان من قريش الا ما توقعوه ، قد نتروا كنانتهم وأطلقوا عليهم كل سهم من سهامها فما زادهم كل ذلك الا ثقة وتجلدا وقالوا : (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) (3) ، ولم يزدهم هذا البلاء والاضطهاد في الدين الا متانة في عقيدتهم وحمية لدينهم ومقتا للكفر وأهله واشتمالا لعاطفتهم وتمحيصا لنفوسهم فأصبحوا كالتبر المسبوك واللجين الصافي ، وخرجوا من كل محنة وبلاء خروج السيف بعد الجلاء .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يغذى أرواحهم بالقرآن ويربى نفوسهم بالايمان ويحثهم على الخضوع أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن وخشوع قلب وخضوع جسم وحضور عقل فيزدادون كل يوم سمو روح ونقاء قلب ونظافة

(6) — ص

---

(1) سورة العنكبوت
(2) — البقرة (3) — الاحزاب

خلق وتحررا من سلطان الماديات ، ومقاومة الشهوات نزوعا الى رب الأرض والسموات ، فكان يأخذهم بالصبر على الاذى والصفح الجميل ، وقهر النفس لقد رضعوا حب الحرب ، وكأنهم ولدوا مع السيف ، وكيف لا ؟ وهم من أمة اشتهرت بالهمة والشجاعة والفصاحة والنبل وحسن الشيم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقهر همتهم الحربية ، ويكبح نخوتهم العربية ويقول لهم : (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) فأنقهروا لأمره وكفوا أيديهم وتحملوا من قريش ما تسبل به النفوس في غير حين وفي غير عجز ، ولم يسجل التاريخ حادثة دفع فيها مسلم في مكة عن نفسه بالسيف مع كثرة الدواعى الى أن أذن الله لرسوله بالهجرة مع أصحابه .

التقى أهل مكة بأهل يثرب لا يجمع بينهما الا الدين الجديد ، فكان أروع منظر لسلطان شهده التاريخ فألف الاسلام بين قلوبهم ، ولو أنفق أحد ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم ، ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين المهاجرين ، فكانت تزرى بأخوة الأشقاء .

كانت هذه الجماعة نواة للأمة الاءسلامية الكبيرة التى أخرجت للناس ومادة للاسلام في كل زمان ومكان ، وكانت وقاية للعالم من الانحلال الذى كان يهددها وعصمة للانسانية من الغش والاخطار لذا قال الله سبحانه وتعالى : (في حق هذه الجماعة) الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير(1) .

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيهم تربية عميقة ، ولم يزل القرآن يسمو بأنفسهم ويذكى جمرة قلوبهم ، ولم تزل مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخا في الدين وعزوفا عن الشهوات وتفانيا في سبيل مرضاة الله ، وحنينا الى الجنة ، وحرصا على العلم وفقها في الدين ، ومحاسبة للنفس يطيعون الرسول في المنشط والمكره ، وينفرون في سبيل الله خفافا وثقالا ، قد خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال سبعا وعشرين مرة في ظرف عشر سنين ، وخرجوا بأمره لقتال

---

(1) سورة الانفال

العدو أكثر من مائة مرة فهان عليهم التخلى عن الدنيا ، وهانت عليهم رزئة أولادهم ونسائهم في نفوسهم ، ونزلت الآيات التى تأمر بانفاق الأموال والجهاد بالنفس والولد والعشيرة ، فنشطوا وخضعوا لامتثال أمرها .

انحلت العقدة الكبرى ـ عقدة الشرك والكفر ـ فانحلت جميع العقد فانتصر الاسلام فكانوا لا يشاقون الرسول . من بعد ما تبين لهم الهدى ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى ، ولا تكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى حدثوا الرسول عما اختانوا به أنفسهم وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد اذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد وأنصفوا من نفوسهم انصافهم من غيرهم وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة لا تجزعهم مصيبة ولا تبطرهم نعمة ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، وطألهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ، ووقاية للعالم ، وداعية الى دين الله ، وأستخلفهم رسول الله في عمله ، ولحق بالرفيق الأعلى قرير العينى من أمته ورسالته .

أنتقل العرب والذين أسلموا عن معرفة الجاهلية العليلة الغامضة الميتة الى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها .

آمنوا بالله الذى له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى ، آمنوا برب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور العزيز الحكيم الغفور الودود الرؤف الرحيم ، له الخلق والأمر بيده ملكوت كل شيء ، يجير ولا يجار عليه الى آخر ماجاء في القرآن من وصفه يثيت بالجنة ويعذب بالنار ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . يعلم الخب في السموات والأرض ويعلم خائنة العيون وما تخفى الصدور الى آخر ماجاء في القرآن من قدرته وتصرفه وعمله ، فأنقلبت أنفسهم بهذا الايمان الواسع انقلابا عجيبا ، فاذا آمن

أحد بالله وشهد أن لا اله الا الله انقلبت حياته ظهرا لبطن ، وتغلغل الاءيمان في أحشائه ، وتسرب الى جميع عروقه ومشاعره وجرى منه مجرى الروح والدم ، وغمر العقل والقلب بفيضانه وجعل منه رجلا غير الرجل الأول وأظهر من روائع الايمان واليقين والصبر والشجاعة ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما جبر العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ولا يزال موضع الحيرة والدهشة منه الى الأبد .

ظهر المسلمون وتزعموا العالم ، وعزلوا الطغاة عن الأمم ، وساروا بالانسانية سيرا حثيثا متزنا عدلا ، وقد توفرت فيهم الصفات لقيادة الأمم ، لأنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة الهية فلا يشرعون من عند أنفسهم لأن ذلك منبع الجهل والخطأ والظلم ، قد جعل الله لهم نورا يمشون به في الناس وشريعة يحكمون بها بين الناس (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)(1) .

وقد قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم غلى الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وأتقوا الله ان الله خبير بما تعلمون)(2) .

لأنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بدون تربية خلقية وتزكية نفس بل مكثوا زمنا طويلا تحت تربية محمد صلى الله عليه وسلم واشرافه الدقيق يزكيهم ويؤديهم ويأخذهم بالزهد والورع والعفاف والأمانة والايثار على النفس وخشية الله وعدم الاستشراف للأمارة والحرص عليها يقول (انا والله لا تولى هذا العمل أحدا سأله ، أو أحدا حرص عليه) حديث متفق عليه ويجعلون دائما نصب أعينهم قوله عز وجل (تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فسادا) فكانوا لا يتهافتون على الوظائف والمناصب تهافت الفراش على الضوء ، بل كانوا يتدافعون في قبولها ، ويتحرجون من تقليدها .

(1) سورة الانعام
(2) — المائدة

بهذا الايمان الواسع والتعليم النبوى المتقن وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة ، وبفضل هذا الكتاب السماوى المعجز الذى لا تنقضى عجائبه ولا تخلق جدته ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسانية المحتضرة حياة جديدة فأوجد فيهـا ـ باذن الله ـ الايمان والعقيدة وبعث فيها روحـا جديدة وأثار من دفاتها وأشعل مواهبها ، ثم وضع كل واحد منهم في محله فكأنما خلق له ، وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظره ، فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ ، فأصبح عمر الذى كان يرعى الابل لأبيه الخطاب وينتهره ، وكان من أوسط قريش جلادة وصرامة اذا به يفجأ العالم بعبقريته وعصاميته ، ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما ويؤسس دولـة اسلامية تجمع بين تفوقها في الادارة وحسن النظام فضلا عن التقوى والورع والعدل الذى لا يزال فيه المثل السائر .

وهذا ابن الوليد كان أحد فرسان قريش اذا به يلمع سيفا الهيا في الاسلام لا يقوم له شيء الا حصده وينزل كصاعقة على الروم ويترك ذكرا خالدا في التاريخ وهذا أبو عبيدة كان موصوفا بالصلاح والأمانة والرفق اذا به يتولى القيادة العليا للمسلمين ويطرد هرقل من ربوع الشام ومروجها الخضراء ويلقى عليها نظرة الوداع ويقول : (سلام على سريا سلاما لالقاء بعده) الى غير ذلك من الأفذاذ الذين تلقوا معلوماتهم وتكوينهم في مدرسة الايمـان ، ولا زالـت هـذه المدرسـة تخـرج لنا مـن لعباقـرة والشخصيات العظيمة البارزة في كل ميدان من ميادين الحياة الى الآن والى الغد ان شاء الله .

تعاليم الاسلام قوة روحية ومادية معا وعدالة اجتماعية ورحمة لجميع الناس

ما أعظم نعم الله على المسلم الذى هداه الى الطريق المستقيم والوصول به الى معرفة الخالق جل وعلا ، ولما فتح هذا المخلوق عينيه على الكون العجيب الصنع والاتقان ابهر عقله ، وحرك ذهنه في كل ما يحيط به من الأشياء الدالة على عظم قدرة الله فاذعن له ، وأقر لربوبيته بالكمال المطلق .

ولقد كرم الله الانسان بنعم لا تعد ولا تحصى ، وفضله على كثير من المخلوقات قال تعالى : «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(1) .

الايمان بالله سبحانه وتعالى هو المبدأ الوحيد في هذا العالم أخذ به المؤمنون قديما وحديثا ، وفي جميع الأزمنة والأمكنة واعتصموا بحبله جميعا فهداهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

الايمان بالله هو التصديق بالحقيقة الكبرى ، والاعتراف بالوجود الأعلى بواسطة مخلوقاته الكثيرة العجيبة الصنع والابداع ، الايمان بالله هو شعور الانسان بمنزلته المحدودة أمام رب عظيم بيده ملكوت السماوات والأرض ، وكل شيء في هذا الوجود .

الايمان بالله هو القوة الباعثة على العمل الصالح القوة التى توجه الانسان الى الله فيما يفعل وفيما يترك في جميع شؤون الحياة كلها .

الاسلام مبدأ الهى عام لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ولا بين وطن ووطن ، بل هو هداية من الله الى الخلق

---

(1) سورة الاسراء

أجمعين ، وهو قوة روحية دافعة ، ودعوة عامة ، هو نظام كامل يقدم للانسانية فكرة شاملة عن الكون والحياة ، ويجعل العنصر الأخلاقى أصيلا في بناء المجتمع ليكون عقلية متشبعة بالروح لتنبعث الحياة من داخل النفس ، الاسلام دين تعاونى في جميع مظاهره أعلن حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا ، واذا كانت المذاهب المختلفة في العالم تدعو الى سلام الانسان مع الانسان وسلام الانسان مع الحيوان ، وسلامه مع النبات حتى مع الجماد لأنه حث على عمارة الأرض ، ونشر المعانى والقيم الالهية فيها فهذه الأشياء مخلوقات لله ، والانسان خلقه الله ليكون خليقة له في الأرض ، وقد سخر له الأرض وما عليها ، ومن هنا وجدنا الحقوق ليست قاصرة على الانسان واذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان فان الاسلام قد فرغ منها منذ زمن بعيد ...

الاسلام حين يرعى حقوق الانسان ، يرعى أولا حقوق الضعفاء .

يقول الرسول الكريم : (أبغونى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم)[1] ، والله سبحانه وتعالى يطلب الدفاع عنهم ، والقتال في سبيل حمايتهم فقال : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)[1] .

ويحذر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه (من أن يقف أحد المسلمين موقفا يضرب فيه رجل ظلما بأن اللعنة تتنزل على من حضره ولم يدافعوا عنه) كما يحذر من الظلم بصفة عامة ، فيقول : (اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة)[2] ، وينذر القرآن الكريم الظالمين بأنه لن يكون لهم يوم القيامة حميم ولا شفيع يطاع ، وينذر الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعلى صوته في حجة الوداع (ألا ان دماءكم

---

(1) رواه أبو داود
(1) سورة النساء
(2) رواه مسلم (3) رواه البخارى

وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)(3) .

ويقول أيضا (في كل ذات كبد رطبة صدقة) وما حديث المرأة التى عذبت هرة لها فحبستها ، ليست ببعيدة عنا وكذلك حديث الرجل الذى سقى الكلب من البئر وجده عطشان فغفر الله له ، والاباحة في ذبح الحيوان انما هى مرهونة بمصلحة الانسان ، فالاسلام يمنع من عقر الحيوان الا للأكل ، ومن هنا كان النحر باسم الله الذى أباح لنا هذه الحيوانات ، والتعذيب للحيوان أو للطير غير جائز ، والاسلام يحرم على أن يطأ بقدميه كسرة خبز أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره من مخلوقات الله ، لأن في ذلك امتهانا للنعمة التى حماها الله فاحترامها والمحافظة عليها من الآداب السامية لأنها مخلوقة من مخلوقات الله وقد انتفع بها المخلوقون ، ومنع الاسراف والفساد فيها ، والاسلام حين يعلن هذه الحقوق ، فانما يعلنها بأسلوبه الخاص ، ثم يطبقها التطبيق السليم ، لأن هذا الاعلان صادر من رب العالمين ، وهو أدرى بهم ، وما يصلح لهم لأنه خالقهم وليس بينه وبين أحدهم صلة الا العمل الصالح ، والمسلمون حين يطبقون أوامر الاسلام يبدأون من داخل النفس ليتقربوا بها الى الله ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون .

الاسلام ينطلق من وحدانية الله تعالى الذى خلق البشر جميعا ، ورسم لهم الدين منهجا يسيرون عليه لتحقيق رسالتهم في هذه الحياة ، والفوز والنجاة في الدار الأخرى ، وطلب منهم أن يطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم في الحدود التى رسمها لهم ، قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(1) .

فأساس التفاضل في الاسلام هو العمل الصالح لا الغنى ، ولا الوطن ، ولا الحسب والنسب الى غير ذلك من معانى الجاهلية ، لأن هذه الأخلاق الفاضلة بها تظهر طبيعة الانسان الكامل ، فالقرآن حث عليها لأنه كتاب تربية وتثقيف ، وليس كل ما فيه

---

(1) سورة النساء

كلاما عن الفرائض والشعائر ، وأن الفضائل التى يحث عليها من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق وتتجلى هداية الاسلام في نواهيه .

والمسلمون في الوقت الحاضر متأثرون بالمفاهيم القومية البعيدة عن تعاليم الاسلام وعن تربية القرآن وهذا التأثير جزء من الثقافة والحضارة المستوردة ، وكل انسان مسؤول عن عمله (كل نفس بما كسبت رهينة) (ولا تزر وازرة وزر أخرى هكذا يكون المسلم في ظلال القرآن .

الاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا ، فيها بواعث الروعة والجمال ، وما تحدثه في الخواطر من دواعى الشعور والتأثير ، فيقول الله في كتابه الكريم : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (2) .

ويبين مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : «ان أنت الا نذير» .

ويطلب منه ألا يحزن على الذين يسارعون في الكفر بقوله عز وجل : (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)(3) .

ويعاتبه لشدة حرصه على ايمان الناس فيقول : (لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)(1) ، ثم يقول له بعد ذلك : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(2) ، ثم طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحى اليه : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(3) .

الاسلام مع المجتمعات الأخرى يدعو الى الحوار الهادى الخالى من الأغراض والمعاندة قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا

---

(2) — الحجرات (3) — المائدة

(1) سورة الكهف (2) — الكهف (3) — الكهف

يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فاءن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون)(4) .

طلب الاسلام من كل داعية أن يكون هادىء الطبع لين العريكة ، فيقول الله لنبيه الكريم : «ولو كنت فضا غليظ القلب لأنفضوا من حولك» .

وقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا لحرية الاعتقاد ، ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية عمل الخير وكلمة الحق ، والاسلام يطلب من المسلم أن يصدع بكلمة الحق أين ما كان وفي كل وقت ، وجعلها الرسول عليه الصلاة والسلام أفضل الجهاد عند سلطان جائر فيقول عليه الصلاة والسلام : (أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر) أخرجه أبوا دواود . ويجب أن تكون كلمة الحق في اطارها الصحيح الذى يبنى ولا يهدم ويخدم الانسانية من حيث هى قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وقولو قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم)(5) . ويجب أن يكون الأمر في أحسن لفظ وأعصاب هادئة ، فالمسلم ليس بالسباب ولا باللعان ، ولا بالفاحش البذىء ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمنون الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا) قال تعالى : (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)(1) ، والكلمة الطيبة تؤثر في القلوب وتلين المشاعر .

المساواة في الاسلام مشكلة حار الناس فيها ، ولكن الاسلام حلها بكل سهولة وطبقها بين الناس جميعا ، وبين لهم أنهم من أب واحد ، وأم واحدة ، واذا جعلهم شعوبا وقبائل فذلك للتعاون لا ليطغى بعضهم على بعض ولا يستعبد بعضهم بعضا ، وهذا يقتضى المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين الناس قال تعالى : (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)(2)

---

(4) سورة آل عمران (5) – الاحزاب
(1) سورة الحج
(2) – البقرة

وفي فتح مكة المكرمة نادى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء) وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه لرجل يا أبن السوداء فقال له النبى الكريم : (طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالعمل الصالح ...) .

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هذه المعانى في نفوس المسلمين جميعا فصلاة الجماعة والصيام والحج كلها تعمل عملها في تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى ، وبلغت المساواة ذروتها عندما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : (سلمان منا أهل اليت) ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) ويقصد بذلك بلال رضى الله عنه .

كما يقول أيضا عندما حضرته الوفاة : (لوكان سالم مولى أبى حذيفة حيا لأستخلفه) .

العدل في الاسلام واجب على الجماعة والفرد ، ويقول الله سبحانه وتعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)(3) .

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين جميعا بقوله : (يأيها الذين آمنوا كونو قوامين لله شهداء بالقسط ولا يحرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)(1) .

العدالة الاسلامية لا تعرف العواطف حتى ولو كان الخصم قريبا أو صاحبا أو والدا أو غنيا أو فقيرا ، فالقاضى والشاهد لا شأن لهما بذلك ، والله أولى بالجميع : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تولوا أو تعرضوا فاءن الله كان بما تعملون خبيرا)(2) .

---

(3) ـ النساء
(1) سورة المائدة
(2) ـ النساء

العدالة من أسس المجتمع الاسلامي ، ولقد طبقت تطبيقا رائعا في الصدر الأول من الاسلام ، فالنبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودى وحين طالبه اليهودى طلبه في غلظة قائلا : انكم يا بني عبد المطلب قوم مطل فهم عمر بأن يؤدبه على هذا التجرع على الرسول فقال له النبى عليه السلام في هدوء : (يا عمر أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء) ويسير المؤمنون على هذا النهج رافعين راية العدل المطلقة .

الاسلام نظام عالمي ، وهذا النظام ليس مستعمارا ولا خليطا ، بل هو نظام رباني قائم بداته مستقل بروحه أنقد أمما عظيمة في الماضى كانت ترزح تحت قوانين جائرة ونظم فاسدة ، وسيتنفذ ان شاء الله أمما عظيمة في المستقبل لأن قوانينه لا زالت مطمح أنظار العالم في حل المشكلات العويصة ، لأنه القانون الوحيد الذى يساير طبيعة البشر وميولاتهم الفطرية .

الاسلام جاء يبنى مجتمعا لا يعرف الطبقات ، ولا الطوائف والأحزاب الا حزب الله لأنه قد أتى بقوانين عادلة لتطهير المجتمع من الأمراض الفاسدة وهذه القوانين تناولت حياة المجتمع كلها .

التعليم في الاسلام هو الأساس الأول لبناء المجتمع ، وتكوين الفرد ، وهو النور الذى يسير الانسان على هديه في شؤون دنياه وآخرته ، ولذا أمر الاسلام به في أول آية نزلت من السماء ، (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)(1) ، هذه الدعوة ليست مقصورة على الرسول صلى الله عليه وسلم بل تتعداه الى الانسانية جمعاء ...

ولقد أهاب الاسلام بالانسان أن يسعى في مناكب الأرض طلبا للعلم والمعرفة بقوله عز وجل : (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور)(2) .

---

(1) سورة العلق
(2) – الحج

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (العالم والمتعلم شريكان في الأجر ، ولا خير في سائر الناس بعد) وقد أمر صلى الله عليه وسلم كل أسير كاتب في غزوة بدر الكبرى من المشركين أن يعلم عشرة من أصحابه الكتابة والقراءة ، وجعل ذلك سبيل تحرره ، وأخبر بأن العلم أفضل أنواع العبادات فقال (قليل العلم خير من كثير العبادة) وقال : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وهكذا شمل ميدان العلم والمعرفة في الاسلام كل شؤون الحياة كلها .

الحكم في الاسلام: الأمة الاسلامية تستمد نظمها وتشريعاتها من أربعة مصادر : اثنان أصليان وهما الكتاب والسنة واثنان فرعيان وهما الاجماع والقياس فعلى هذه المصادر قام المجتمع الاسلامي .

ان قواعد الحكم كلها منصوص عليها في القرآن والحديث واذا لم يكن ثم نص يأتي الاجماع والقياس ويصبحان حجة ، الشريعة الاسلامية هي جملة الأوامر الالهية وأنها معصومة من الأخطاء ترسم للمسلم أحكام سلوكه في حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا .

فرض الاسلام أن يقوم الحكم على أساس الشورى وأن يقوم التشريع على أساس الكتاب والسنة واتفاق الامام والرعية ، ولا ضير بعد ذلك أن يتبعوا هذا النظام أو ذلك من نظم الانتخابية أو يعملوا بهذا الدستور أو ذاك من دساتير الحياة النيابية فكل نظام صالح ما دام قائما على الشورى مؤيدا بسند من مشيئة الامام وأولى الرأى وحقوق الجماعة .

ان قوانين الاسلام تقوم على القرآن والسنة وعلى القياس وفتوى أهل الذكر ومشيئه الاجماع ، وأن القرآن الكريم يقول للمسلمين : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) يسلك كل مسلم طريقه على حسب المنهاج المبين فهو أمين على ضميره فيما يختاره من أحكام الدين التى شرعها الكتاب اجمالا ، ولم يذكر تمثيل الأمثلة عليها ، ولكن اذا رجعنا الى السنة نجد أن أول ما ينهى الاسلام عنه هو أن يقوم الحكم على أساس العصبية ومن أحاديث

النبى صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية والقرآن يقول : (وأمرهم شورى) والرسول يقول : (ان الله لا يجمع أمتى على ضلالة) ويقول : (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى) ويقول : (اتبعوا السواد الأعظم) فهذه جملة قواعد الحكم في الاسلام ، السلطان لا يقوم على عصبية بل على الشورى ، ويغلب فيها اجماع السواد الأعظم وتجب فيها الطاعة لمن يتولى الأمر كما تجب لله ورسوله .

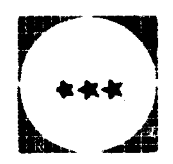
ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن معنى العزم في قوله عز وجل (وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) قال : (مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم) وأنه صلى الله عليه وسلم قال مرة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما ، ووضح عمل الوزير مع الأمير فقال : (اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء اذا نسى لم يذكره واذا ذكر لم يعنه) .

أما الواجب بين الأمير والرعية فقد قال عليه الصلاة والسلام : (من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وقوله : (لا طاعة في معصية وانما الطاعة في المعروف) وقوله : (من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر ، فانه ليس أحد يفارق الجماعة فيموت الا مات ميتة جاهلية) .

وزبدة الأوامر والنواهى جميعا في هذا الواجب بين الراعى والرعية انه الأمر والطاعة في المعروف والحذر عند الخلاف من تفريق الجماعية ، وعصمة الجميع أن يسمع الراعى والرعية الى النصيحة من القادرين عليها (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(1)

(1) سورة آل عمران

أو كما قال عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم) وعلى الأمة أن تغير ما تكره من شأنها فانه (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ، ثم لا يغيرون الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب) وعلى الأمير ألا يبتغى الريبة في الرعية لأن الأمير اذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم ، والخير كل الخير في الجماعة المفلحة تتساند وتتعاون ، انما المؤمنون كرجل واحد ان أشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله ، ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو الواحد تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .



الاقتصاد في الاسلام

يؤاخذ علماء الاقتصاد الغربيون الدين الاسلامى على عدم تنظيمه يقولون : انه لم يأت بنظام مفصل للناس .

وأحوال المعيشة الاقتصادية ، والنظم السياسية تتقلب من زمن الى زمن وتختلف بين أمة وأخرى ، فيصلح لهذا الزمن ما لم يكن صالحا قبل خمسين أو ستين سنة وما ليس بصالح بعد خمسين أو ستين سنة أخرى فكيف يتقيد الناس فيها على اختلاف الأزمنة . والدين فريضة من الفرائض يدين بها الناس مآت السنين ، وتثبث مع الدين ثبوث العقيدة التى لا تتزعزع مع الأيام ولا تساوى شيئا في موازين الأديان ان لم يكن لها هذا الثبوت وهذا الدوام . انما يناسب أن يبين الدين للناس قواعده التى يستقر عليها كل نظام صالح يأتى به الزمن ولا عليه بعد ذلك أن تختلف هذه النظم بين أمة وأخرى في العصر الواحد ، أو تختلف في الأمة الواحدة بين عصرين ومن الأمثلة التى يحسن أن نذكرها كلها نذكر الدين ونذكر النظم الاقتصادية . ان الحياة الاقتصادية التى قامت في الغرب زمنا قامت على رؤوس الأموال وفوائدها التى يدور عليها عمل المصاريف والشركات متطورة ومتناقضة ورؤوس الأموال قائمة على الربا المحرم عند الاسلام .

فهل على الاسلام أن يبدل عقائده بين المذاهب الاقتصادية المتطورة خلال جيلين متعاقبين أو أكثر كلا ، وليس عليه أن يبدل هذه العقائد اذا تبدلت المذاهب وجاء بعدها مذهب آخر غير الذى يقدس رؤوس الأموال وغير الذى يحرمها وانما أقام الاسلام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها نظام صالح ولا يتصور أنها تناقض نظاما منها كان بالامس أو يكون بعد زمن طويل أو قصير ...

قرر الاسلام أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل ، وقرر أن يتداول الجميع الثروة ولا تكون

دولة بين الأغنياء ، وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية ، وقد يزاد عليها بأمر الامام واحسان المحسنين واذا تقرر هذا في مجتمع انسانى فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما من نظم المعيشة الاقتصادية كيفما كان ، ولا خوف على مجتمع قط يمتنع فيه الاحتكار والاستغلال وأهمال العاجزين عن الكسب والعمل ومن شاء فليتهم . هذا النظام بما شاء من الأسماء الملكية كان نظام الطبقات هو السائد في الجاهلية ، فجاء الاسلام فعالج هـذا النظام معالجـة حكيمة لاحظ فيها مصلحة الفـرد ومصلحة الجماعة معا وكان بين ذلك قواما ، فأباح للفرد أن يملك وأن يتصرف في ماله من بيع وشراء وهيبة كيف شاء ، وأن يتمتع بماله لكن في دائرة الحدود المعقولة وينهاه عن التزمت والحرمان من الطيبات قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)(1) .

فحفظ له هذا الحق وصانه ، غير أنه لا يطلق له حرية التصرف مطلقة بلا قيد ، فيقيد له بعض تصرفاته كالتبذير والاسراف ، واجباره على دفع الحقوق والواجبات كالزكاة وحثه على الانفاق لأن مال الفرد في الاسلام هو مال الجماعة قال تعالى : (ولا توتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)(2) .

والجماعة هى تخلفه في هذا المال وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله عز وجل : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (3) .

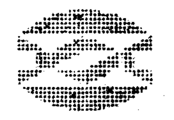
ويقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه (أيما عرضة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وأن أربع فخامس أو سادس) ويقول عمر رضى الله عنه (لو استقبلت

---

(1) سورة الاعراف
(2) — النساء (3) — الحديد

من أمرى ما أستدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ولرددتها على الفقراء) .

ليس هذا تقريرا لمبدأ الشيوعية ، الملكية في الاسلام حق مقدس جارى به العمل ، فالمسلم له أن ينمى ماله ويتركه من بعده لورثته الا أنه لايغش ولا يتعامل مع الناس بالربا ، ولا يمنع المال من مستحقه ولا يظلم العمال في أجورهم ، ولا يحتكر البضائع يتربص بها الغلاء والناس في أشد الحاجة اليها ...



الدفـــاع

الاسلام لا يأمر بالحرب وانما يلتزم الدفاع عن العقيدة وحماية الدعوة ولذا يقول الله عز وجل : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)(1) ، لا يقدم المسلمون على الحرب حتى يستعملوا جميع الوسائل من مفاهمة وصلح ، فاذا لم يستطيعوا الوصول الى ذلك فعندئذ يخوضونها لأنهم مضطرون اليها .

الاسلام يأمر المسلمين بالاستعداد وايجاد القوة اللازمة لصد كل عدوان ، يقول الله سبحانه وتعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(2) .

اذا اشتبك المسلمون في الحرب مع أعدائهم ، وكانت قوة الدولة غير كافية فلها أن تجند جميع القادرين على حمل السلاح ، وتأخذ من الأموال ما تحتاج اليه واذا دخل العدو الى أرض المسلمين فيجب على الأمة الاسلامية أن تهب ـ سواء كانت في الشرق أو في الغرب ـ لتحمل السلاح للدفاع عن حوزة المسلمين بما فيها شبابها وشيوخها ضعفاؤها وأصحاؤها رجالا ونساء وهذا معنى قوله تعالى : (انفرو خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم)(3) .

يفرض الاسلام على المسلمين ـ في هذه الحالة ـ أن يقفوا صفا واحدا في وجه العدو ، وكل من يفر من هذه الحرب يعد عاصيا قال تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(4) .

---

(1) سورة الحج (2) ـ الانفال
(3) ـ براءة (4) سورة الانفال

ومما شرع الاسلام في الحرب الحث على الوفاء بالعهد ، والميل الى الصلح وأن لا يقتلوا وليدا ولا شيخا هرما ولا امرأة اللهم الا اذا قاتلت فتقتل والعبث بكرامة الانسان منوع كالتمثيل بالجثث وغيره .

العقيدة الاسلامية مؤسسة على دعائم الحق والخير والرحمة ، والصبر والحرية فهي باقية مع الزمن تقدم للأجيال الصاعدة رصيدا من أشراق القلوب ونفحات من اتصال الأرواح ، (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرو هو عليهم عمى)(1) فاذا وثق المسلم بالخير والفضيلة وثابر على العمل والجهاد زاد من رصيده العلمي والأخوى ، فتتألف القلوب من حوله فيحظى بسعادة الاستقرار . (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله مع المحسنين)(2) ...

ومتى يثق الانسان بهذا الدين وتطمئن نفسه اليه يصبح سيدا كاملا موفور الكرامة قويا بايمانه وعمله ، فيتضائل عنده الناس ، ولا يسعهم الا أن يجلوه ويحترموه لأن المسلم لابد أن يكون اماما في أعمال الخير ولا يرضى بغير القيادة والسبق الى العلم والتضحية والفداء في سبيل الله .

عوائدنا وأخلاقنا هي موضع اجلا لنا واحتراماتنا مادامت متفقة مع مثل الاسلام العليا ، وهذه المثل هي التي نريدها كعقيدة للمسلمين لأنها دين الحق الذى دعا اليه جميع الرسل والانبياء عليهم السلام .

---

(1) سورة فصلت
(2) — العنكبوت

أسبـاب تدهـور المجتمـع الاسلامـى الأول

جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدين الاسلام الذى هو من عند الله ، ولم يجىء بنظريات علمية معقدة ، أو آراء فلسفية شائكة تبعث في النفوس شبها وحيرة وفي العقول شكوكا وريبا ، وانما جاء بدين سماوى معالمه واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار ، ومبادئه في غاية السهولة والبساطة ، جاء بدستور ربانى ينظم علاقة الانسان بربه وبان الواجب على المخلوق نحو خالقه ، ثم يربط علاقة الانسان بالمجتمع الذى يعيش فيه .

ومن أجل هذا بعث الله رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة موجها اهتمامه لاصلاحهم اصلاحا جدريا على مقتضى الدين الحنيف ومحذرا لهم من العوائد السيئة والمعتقدات الفاسدة التى كانت مسيطرة عليهم حئنذاك ، وأمرهم بالتمسك بهذا الدين ، وترك الجـدل والخـوض في الآيات المتشابهات ، ويفوضون علمها الى الله لأن عقول الناس قصيرة ، ولا علم لهم بالغيب ، فربما يؤولون آية على غير مقتضى ما أراد الله فيهلكون ، لهذا كان يحث صلى الله عليه وسلم على الأخذ بالآيات المحكمات من الكتاب ، وبين لهم أن الجدل في الدين تنشأ عنه المذاهب المتطرفة التى لا طائل تحتها ، والدين من عند الله لا اختلاف فيه وما هلكت الأمم السابقة الا بهذا الجدل العقيم فانهم اشتغلوا بالآراء والنظريات القصـيرة البعيدة عـن المقصود ، وتركـوا مـا ترشدهم اليه الكتب السماوية فتفرقـوا أوزاعا ومذاهـب واختلفوا طوائف وأمما وتقطعوا أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون .

فضلوا طريق الهدى التى رسمها لهم الأنبياء عليهم السلام فضعفـوا وذهبت ريحهم وتشتتـوا وعجزوا عن أداء رسالتهـم السماوية ، وأصبحوا هم والأمم المشركة على سواء ولما دخل الناس في هـذا الدين واطمأنت نفوسهم اليه تهذبـت أخلاقهم واستقام سلوكهم ، وذهبت السلبيات التى كانت سائدة على

المجتمع الجاهلي وكونوا مجتمعا راقيا تظله راية التوحيد ، ورائده الكتاب والسنة ، تسوده العدالة والمحبة والأخاء ، والمساواة ، فتحلى بالعلم والعرفان ، وكان هدفه التقوى ونشر الدعوى الاسلامية بين الأمم والجهاد في سبيلها ، لهذا سبقوا غيرهم في التقدم والحضارة وملكوا أعظم دولتى العالم لذلك الوقت ، وبقى على ذلك هذا المجتمع زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وزمن خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ولكن ماكاد يلتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى بدأ الخلاف بين المسلمين أول ما بدأ في أمور اجتهادية كالخلاف الذى وقع في سقيفة بنى ساعدة في تولية من يخلف الرسول في الحكم بعد وفاته ، لأنه لم يوص الى أحد الى غير ذلك من الخلافات التى وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على المسائل التى طرأت على المجتمع الاسلامى من بعد وفاة الرسول الأعظم لكنها لم تكن خطيرة ينجم عنها التفرق أو وقوع الفتنة .

كان اختلاف في السياسة ، واختلاف على الشخص المتولى ، واختلاف في بعض المسائل الاجتهادية لكن هذا الاختلاف لم يتجاوز الرأى المحمود الى الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشرع .

ظل الأمر على ذلك الى أن قامت الأحزاب السياسية ، وظهرت الأغراض الشخصية والطموح الى السيادة هنا بدأ المسلمون يتفرقون أحزابا متعادية بعد ماكان يجمعهم حزب واحد الا وهو حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون .

ومن هناك بدأ الخلاف يخرج عن دائرة الرأى المحمود الى دائرة الرأى المذموم ، واستفحل في هذه الأونة ، وتعصب كل فريق الى حزبه ، والدعاية له والدفاع عنه ولا يستطيع أيى حزب أن يسلم للآخر فتصدعت الوحدة الاسلامية الى أحزاب مختلفة وفرق متناحرة التى بناها الرسول صلى الله عليه وسلم وشادها الخلفاء الراشدون من بعده .

لم يظهر هذا التفرق بكل ما فيه من خطر على المسلمين الا في عصر الدولة العباسية ، أما قبل ذلك فقد كان المسلمون يدا

واحدة ، وعقيدة واحدة اذا استثنينا ما كان من المنافقين الذين ينتسبون الى الاسلام وهم يضمرون الكفر ولأهله العداء .

أما ما وقع بين سيدنا على كرم الله وجهه وبين معاوية رضى الله عنه من خلاف لم يكن له مثل هذا الخطر الذى وقع المسلمون فيه من القرون المتأخرة من حياة المسلمين وان كان النواة التى قام عليها التحزب ، ونبت عنها التفرق والاختلاف .

بعد ما انتهى عصر الخلفاء الراشدين استقرت السلطة العامة في أيدى بنى أمية وأصبح التنافس عليها بين حزبين كبيرين وهما بنو هاشم وبنو أمية ولكل منهما أتباع ومن بعد آلت الى بنى هاشم ولكن كان الدين مسيطرا على الجميع الا في الحكم فانه انحصر في هذين الحزبين ولم يعد المسلمون هم الذين يعينون خليفتهم وانما أصبح القوى من الحزبين هو الذى يتولى على السلطة ومن ثم يبايعه المسلمون بيعة عامة ، لم يكن الحكم شورى كما نص عليه القرآن وكما كان في زمن الخلفاء الراشدين ، تفرق المسلمون الى أحزاب متعادية بعد ما كان يجمعهم حزب واحد ألا وهو حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ، وذلك بسبب العناصر التى انشقت عن الخلافة العباسية في بغداد واستلاء العنصر التركى على وظائف جيش الخلافة والذى فعل ذلك هو ، الخليفة المعتصم وهو ثامن خلفاء العباسين ، لأنه واجه حروبا كثيرة في الداخل والخارج ، فاتخذ جيشا من الترك خوفا من الجيش العربى ونفوذ العنصر الفارسى ، فعين قادة الجيش منهم ليضمن لنفسه التفوق والنصر ، ونسى المعتصم أنه بعمله هذا وضع السلاح في يد مجرم مأفون عاث في الأرض فسادا بعد ما تمكن هؤلاء الأتراك من الجيش بدأوا يتصرفون في الخلفاء أنفسهم بتولية هذا ونزع هذا حسب مصلحتهم وأهوائهم ، ومن بعد أصبحوا ينكلون بهم تنكيلا شنيعا ، يقول الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله : (فلم يكن بين عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم ، ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الاسلام والقلب الذى هذبه الدين بل جاء الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون ألوية الظلم لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شىء الى

وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل الهه معه ـ يعبده في خلوته ويصلى مع الجماعة لتمكين سلطانه) وقد كان لهذه الحالة التى سيطرت على الخلاقة في بغداد أثر خطير في العالم الاسلامى كله فان كثيرا من ولاة الأقاليم أدركو أن الخلافة فقدت سلطانها ، ولم تكن لها الهيبة التى كانت من قبل .

أصبح الأمراء في قبضة قادة الجيش فانف ولاة الأقاليم من هذه الحالة التى صارت اليها الخلافة ، فكثرت حركة الاستقلال في أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى ، وأعلنوا استقلالهم اللهم الا ما كان من صلة تربطهم بالخليفة لأنه أصبح رمزا ليس له من النفوذ شيء .

وبهذا الاستقلال والخروج عن الخلافة الشرعية تصدعت الوحدة الاسلامية ، وتشتت المسلمون شرقا وغربا .

انثلمت وحدة الخلافة وانقسمت على نفسها : خلافة عباسية في بغداد وكانت هذه الخلافة في آخر عهدها تقنع بالاسم فقط ، وليس لها من النفوذ شيء ، وخلافة فاطمية في المغرب العربى ومصر ، وخلافة أموية في أطراف الأندلس ، تفرقت بهذه الخلافات كلمة المسلمين ، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة ملكية فسقطت هبيتها من النفوس ، فتفرق العالم الاسلامى الى دويلات ، فتغلب بنوبويه على فارس ، ومحمد بن الياس على كرمان ، ونصر بن أحمد السلطانى على خرسان ، والبريديون على واصل والبصرة والديلم ، وأبو طاهر القرمطى على اليمامة والبحرين ، ومحمد بن ظغج الاخشيدى على مصر والشام ، كما كان المغرب العربى في أيدى الفاطمين ، والأندلس في أيدى عبد الرحمان الناصر ، ولم يكن هذا التقسيم ليضير المسلمين فقد بقيت هناك وحدة اسلامية لا تعترف بالحدود السياسية ، وقد كان المسلم من أى قطر كان يستطيع أن يتنقل من مكان الى مكان آخر دون أن يجد أية صعوبة أو عنت .

أصبح طلاب الملك والرئاسة يعتمدون في الوصول الى الحكم على قوتهم وحدها معولين في ذلك على عصبيتهم الخاصة وبطانتهم وحاشيتهم ، لا على المحبة والمشاورة من جماعة المسلمين ، سن هؤلاء

الملوك والأمراء دساتير للحكم مخالفين بذلك أوامر الاسلام تبيخ لهم ولأسرتهم وحاشيتهم الحكم المطلق الأبدى ، وتجعل البلاد والعباد ملكا للجالس على العرش يتصرف فيها كيف يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، ولا يحب الانتقاد في شخصيته ولا في كلامه ولا في سلوكه ، ولا يستطيع أحد من رعيته أن يحاسبه على أموال الرعية التى تتدفق عليه وعلى من يلود به من الأمراء وحاشيتهم ضارين بذلك أوامر الاسلام عرض الحائط تطورت الأحزاب السياسية التى نشأت في صدر الاسلام الى فرق دينية متعصبة لارائها متطرفة متنابذة مع بعضها بعضا من شيعة ، وخوارج ، ومعتزلة وباطنية ، ومرجئة ، وقرامطة وغيرهم .

غرق العالم الاسلامى ــ حينذاك ــ في طوفان جامع غصوب من الجدل والخصام والثورات الدامية ، ومحاربة بعضهم لبعض ، فقضت هذه الفتن الداخلية على وحدته وأذهبت بقوته فكانت السبب الأكبر في انهيار أممه ، وسقوط دوله وجمود مجتمعه وتخلفها عن الحياة الحرة الكريمة ، وعزلها عن التقدم في العلوم والصناعات .

الحقيقة أن العالم الاسلامى لم يستقر منذ سقوط الخلافة العباسية ، من ذلك الوقت ، وهو في أخذ ورد ، فدولة تسقط ، وأخرى تطلع ، وشعب ينفجر وآخر يجمد ويستكين ، ودولة تسعى لجمع شتات المسلمين فتجد المقاومة الشديدة منهم ويرفعون راية العصيان في وجهها ، ودولة تبرز لمحاربة دولة أخرى تستولى عليها بالقوة وتنكل برؤسائها وأمرائها ، وأخرى تعقد حلفا مع دولة أجنبية على محاربة المسلمين ، وكل هذه الدول تزعم الاسلام .

الحياة الاقتصادية ــ في هذا العصر ــ كانت تعبيرا عن الفساد المنتشرى فكانت هناك ثلاثة أنظمة مستعملة ، أولا : نظام الالتزام أو الضمان ، ثانيا مصادرة الأموال ، ثالثا اقطاع الأراضى للتجار الاثرياء .

أما نظام الالتزام أو الضمان : هو أن يدفع شخص ما خراج ناحية الى الخليفة وهو يأخذه من سكان هذه الناحية ، أو الاقليم ، أكثر مما أعطى ، أما مصادرة الأموال فقد أصبحت من الأمور المألوفة فشملت كافة رجال الدولة ، فكل مسؤول يصادر

من هو دونه ، ووصف المقديسي ضرائب فارس فقال : (لا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها ، وأهل فارس هم أنجع الناس بطاعة السلطان ، وأصبرهم على الظلم وأثقلهم خراجا وأذلهم نفوسا ، وهم لم يعرفوا عدلا قط) .

ووصف أيضا خراب بغداد فقال : (فأما المدينة فخراب ، وهى في كل يوم الى الوراء مع كثرة الفساد والفسق ، وجور السلطان ، ويلخص حال العراق وفارس تحت حكم البوهبيين بهذا القول البالغ الدلالة) فقال : (الرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهاوجون) .

أما اقطاع الاراضى للتجار الأثرياء فالدافع اليها حاجة الدولة الى المال وقد أقطعت للتجار أراضيها لقاء دفع قسط من غلتها اليها .

لقد كان هذا النظام الاقطاعى مع أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد سن قاعدة تقول : (سواد العراق ملك مشترك بين المسلمين) ، لم يكن الخلل في النظام الاجتماعى يقل عن الخلل الذى رأيناه في الحياة السياسية والاقتصادية ، ولم يكن للمسلمين وحدة اجتماعية متماسكة في هذا العصر ، أو على الأقل شيء من التجانس ، بل كانوا منقسمين الى أحزاب وفرق وشيع يكــره بعضهم بعضــا ، فقواد الجــيش يقفون في القمــة مطلقى التصرف في العباد والبلاد ، وبلاط الملوك يعج بالنساء التى أوجدن كثيرا من الاضطرابات في توجيه السياسة ويأتى بعد هذا طبقة الاقطاعيين الذين عنوا بالزراعة واسترقوا المزارعيين الصغار ، ثم تأتى طبقة التجار الأغنياء ، وأخيرا طبقة العامة التي يستثمرها كل الطبقات السابقة ، وهكذا كانت البلاد في حالة استبداد سياسى ، وخراب اقتصادى ، وتفكك اجتماعى .

لقد دخل المسلمون العظماء وهم في أوج حضارتهم في عصر جاهلى تموج بهم الشهوات القاهرة،وتعصف بهم الأنانية الجامحة، امتلأت قلوبهم بالحقد والكراهية لبعضهم بعضا .

هذه العوامل وغيرها كانت سببا في انحرافهم عن الدين ، والبعد عن تعاليمه السمحاء ، فزادتهم تخاذلا وضعفا ، فمن ذلك

الوقت الى الآن لم يستطيعوا أن يتعاملوا بالاسلام فيما بينهم ، وأن يحققوا الاتحاد والأخوة والمحبة المنشودة ليكونوا لهم كيانا ، حتى يقوموا بشؤونهم وجمع شملهم وشتاتهم لينقذوا أنفسهم مما ترددوا فيه من الفوضى ، والاضطرابات الخطيرة .

فبسبب خروجهم عن تعاليم الدين الحنيف بدأوا يفقدون الحياة الاجتماعية فأصبحوا فارغين من جميع النظم الراقية ، ولم يبق لهم من مقومات الحياة الا تقليد المجتمعات الجاهلية التى لا تؤمن بدين فصاروا يعملون بمقتضاها ، ولم يدروا أنهم بذلك تنكروا للبقية الباقية من الاسلام .

بهذا الاعراض عن تعاليم القرآن أخذت عوامل الفساد والتحلل من أوامر الدين تعظم وتستشرى حتى كادت تقضى على العقيدة الاسلامية من النفوس ، وكان الفساد ينتشر بسرعة في هذه المجتمعات المائعة الماجنة ، حتى قضى على الخلافة الشرعية التتار المتبربرون وتركت وراءها أمما مبعثرة من دويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوثب الى النهوض .

سبب هذا التدهور هى الخلافات السياسية والدينية وتنازع الرئاسة والانصراف عن العقيدة الى ألفاظ ميتة لا روح فيها والانغماس في أنواع الترف والنعيم ، والاقبال على لذائذ الشهوات واهمال العلوم العلمية ، والمعارف الكونية واضاعة الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد ، وتضييع الجهود في للهو والعبث والحياة الماجنة ، والغرور بسلطانهم ، والانخداع بقوتهم ، واهمال النظر في التطور الاجتماعى للأمم حتى أخذت في الاستعداد والأهبة فباغتتهم على غرة ، وقد أمرهم القرآن الكريم باليقظة ، وحذرهم من مغبة الغفلة والفرقة .

كان القرن الرابع الهجرى مثلا واضحا على التغيرات الظاهرية والخفية التى عبثت بمقومات الأمة الاسلامية في هذا القرن .

هذا القرن كان هو العصر الذهبى الذى نضجت فيه الثقافة الاسلامية ، وكان في الوقت نفسه قرن زوال مجد الخلافة ، وانقسام الدولة الكبرى المترامية الاطراف الى دويلات متعددة .

توالت على المسلمين ظلم الحكام وبطشهم الشديد بالعلماء الأحرار ، ومحاربتهم للعلم ، وعدم تقيدهم بالكتاب والسنة ، فضعف أمر الدين ، وانطفأت مصابيح الهداية ، وبالتالى فصل الدين عن السياسة وعدم صلاته بها ، وكان هذا الخطأ في الفهم والسلوك في التطبيق كارثة المسلمين التاريخية .

كان الخليفة في صدر الاسلام رئيس الدولة ، والمهيمن على شؤونها الادارية والسياسية والاقتصادية لكن في دائرة الدين الحنيف ، وتطبيق للشورى ولما ضعف أمر المسلمين نشأت فكرة الخضوع للحاكم وان كان مخالفا للعدالة القانونية الاسلامية .

ترك الملوك والرؤساء التشريع الاسلامى الذى هو روح الامة وقلبها النابض ومكون شخصيتها ومجدد أخلاقها ومجدها ومنظم شؤونها ، والموجه لها .

ولم يدر هؤلاء الحكام أن تحطيم التشريع الاسلامى هو تحطيم كامل لحياة الأمة ولجميع معنوياتها ، وانهيار شامل لاخلاقها وتاريخها ومجدها كأمة بارزة لها كتاب سماوى ، ودين هو خاتم الأديان ، وعقيدة صحيحة سليمة من البدع والخرافات الوثينة .

المؤمنون الذين يقولون آمنا بالله وبرسوله ويكتفون بهذا الايمان ، فاذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم تولوا وهم معرضون ، فما أولئك بالمؤمنين ، بل في قولبهم مرض لأنهم ارتابوا أو خافوا من أن يظلمهم الله ورسوله ، انما كان قول المؤمنين اذا دعو الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، هذا الاعراض الشنيع الذى صدر من المسلمين عن كتاب الله وشرائعه ، واستبدال الأدنى بالذى هو خير ، أنه لمن اتباع الهواء المضلل ، واذا كان الدين لا يصلح للحياة ولا يؤدى لها نفعا ولا يقدم للمجتمع فائدة أيبقى بعد ذلك دنيا مقدسا كلا ؟..

أما الطائفة التى اتبعت النبى صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته ونشر هديه فهى قائمة بالحق لا يضرها من خالفها وانها

باقية الى يوم الدين ، هذه الطائفة هـم العلماء العاملون ، هـم المسلمون الحقيقيون الذين تمسكوا بما ورثوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم هى الصفوة المختارة من الأمة حافظت على الاسلام ونشرته بين الشعوب ، وحاولت الاصلاح بين الحكام المتكالبين على حطام الدنيا ، والمتعطشين الى سفك الدماء في سبيل الوصول الى أغراضهم الشخصية ، وحاولت التوفيق بين الجموع الهائجة والطوائـف المارقـة ، والأحـزاب المتنافرة ليوحدوا صفوفهـم ويجمعوا كلمتهم ويلتفوا حول الاسلام ليقفوا صفا واحدا في وجه أعداء الله الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ولكن بدون جدوى .

هؤلاء العلماء الربانيون اشتغلوا بخدمة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعضهم قام بالتعليم والتدريس ، وبعضهم تصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة الى الاسلام في كل مكان ، وبعضهم خاض غمار الحروب ليذب عن الشريعة الغراء والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله لتكون العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، وكانو يحاربون الظلم مهما كان ، ومن أيى انسان صدر ، فيجهرون بالحق ، ويصرخون به في وجه الحكام المتغطرسين ، ولا تأخذهم لومة لائم في لله ، فلقوا من طرف الولاة ، ومن طرف العامة الدهماء أذى كثيرا و بلاء عظيما الا أنهم صبروا على ذلك احتسابا لربهم واقتداء بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرون تصدوا للتشريع . فكانوا يستخرجون الأحكام من الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، والصحابة الكرام ، فتركوا تراثا ضخما ورصيدا عظيما من العلوم النافعة يستفيد منها المسلمون وغيرهم .

ولـو عمل الملوك والأمـراء مـن ناحيتهم ما عملـه العلماء العاملون لما توقف زحف الاسلام (لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

والذى يتتبع حوادث العالم ، ويتدبر كيفية انقلاب الأمم ،

وخاض في تاريخ الأجيال الماضية والحاضرة يحكم حكما عدلا لا يخالطه شك ولاريب بأنه ما حاق مكر السوء بأمة وما نزل بها البلاء والعذاب ، وما مسها الضر في شيء الا كانت هى الظالمة لنفسها بسبب تجاوزها لحدود الله ، وانتهاك حرماته ونبذ تعاليمه القيمة وأوامره العادلة ، وانحرافها عن سنته وشرائعه .

وصلت الأمــة الاسلامية الى هــذه الحــالة المزريــة بالشرف والكرامة لأنها تنكرت لنعمة الاسلام الذى جمعها على التوحيد ، وبه امتازت وسادت على المماليك والشعوب شرقا وغربا ، ولما بدلت وغيرت غير الله مابها : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم)(1) ، ويقول أيضا : (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)(2) .

حظ الشعوب على مقدارها من الوحدة وما انحط شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم الا من بعد رزئهم بالافتراق وابتلائهم بالشقاق والنفاق فيورثهم ذلك ذلا طويلا وعذايا وبيلا .

ان جشع السلطة الزمنية لهو أسوأ شكل المطموح ، فهو السبب الذى لاقت منه الانسانية في كل زمان ومكان من بلايا ومحن أكثر مــن أيى شكل آخر ، فصاحب هــذه السلطة لا يتردد في اختيــار الوسيلة التى يستطيع عن طريقها أن يتوصل الى غايته ولوكانت عن طريق الجريمة ، ومحاولة اصطناع المعروف ومكارم الأخلاق سواء بسواء فيتخذها لتضليل الناس ليبلغ أهدافه وغاياته ، وهو لا يتردد في اتخاذ الدين خادما له وحينما يرتديه لباسا يكون لا أحد أقدر منه على خلق المشاكل والمصائب التى يتفتن في صبها على رؤوس البشر ، هكذا فعل طلاب الملك بالأمة ولا زالوا يفعلون بها الى الآن .

وبهذه الوسيلة سفكوا دماء غزيرة من أبناء جنسهم كل ذلك في سبيل الوصول الى السلطة والاحتفاظ بولاء الامة ، فكانوا سببا في سقوط الخلافة الاسلامية التى هى ركن من أركان الدين

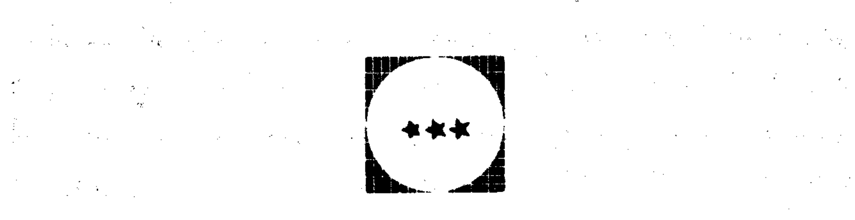
---

(1) سورة الانفال
(2) — غافر

بعد ماتم تشييدها كما هو ظاهر من التاريخ ، وخروجهم عنها يعد عصيانا ومخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأنانية التى اتصف بها حكام المسلمين ، وشهوة الحكم المغروسة فيهم هما كانتا سببا في انقسام المسلمين الى طوائف وأحزاب متعادية ، وهما أرغمتاهم على التقهقر الى عصر الجاهلية وملوك الطوائف .

قضى الملوك والأمراء على كل ما كان للمسلمين من حضارة قيمة وعلوم نافعة كانت المصدر الرئيسى لنهضة الغرب الجبارة وعلى النظام المحكم الذى شاده المسلمون الأولون على ضوء الكتاب والسنة ، ومن ذلك الوقت كانوا يخرجون من ضعف الى أضعف ومن سيء الى أسوأ .



الغـزو الصليبـي المتكالـب عـلى المسلمـين

نشأ عن هذه الحالة السيئة التى وصل اليها المسلمون من التشتت والتفرق ، ونبذهم المحبل الذى كانوا يعتصمون به ، وضعف الخلافة غزو خارجى صليبى عندما رأى الصليبيون أن شوكة المسلمين قد خضدت وأن قوتهم قد تلاشت وضعفت هجموا عليهـم بقيادة الكنيسة بدعـوى انقـاذ القدس وأرض الميعـاد من أيـدى الكفار ، وكـان هـذا الغزو في سنـة 345هـ وامتـد من ذلك الوقت الى الآن على العالم الاسلامى كله شرقا وغربا ، ومشى بصورة واحدة في جميع النواحى قسوة لا رحمة فيها ، وفتكا بالابرياء والضعفاء وتدميرا للحضارة والمنشآت العمرانية ، وتشجيعا المفساد والخرافات ومحاربة العلم والعلماء .

بدأت الغزوات الصليبية التى كانت تهدف الى الاستيلاء على الأماكن المقدسة عند المسحيين تتحدى الاسلام والمسلمين كلهم ، وتهدد الجزيرة العربية التى هى مهد الاسلام ، والدول المجاورة للشام ، واستولى الصليبيون فعلا على القدس وعلى مدن الشام ، وطمعوا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أكبر خطر على الاسلام والمسلمين بعد فتنة الردة .

واننا نعلم علم اليقين أن جرائم الاضطهاد التى مارسها الصليبيون ضد المسلمين لم تكن أبدا بدافع دينى ، بل الدافع الحقيقى هو خوفهم من رجوع الخلافة الشرعية ، وانتشار الاسلام الذى ينتزع ما يحيطون به أنفسهم من هالات خادعة ويعريهم من قداسات مزيفة ، أن ما حدث للمسلمـين في الماضى على أيـدى الصليبيين من الظلم الشنيع والجرائم التى ارتكبوها في حقهم لهو أكبـر برهان على أن الدين المنسوب لسيدنـا المسيح عليـه السلام كما يزعمون زورا وبهتانا ، فقد فقد مبررات بقائه كدين ، وأصبح أتباعه عبئا ثقيلا على الانسانية ، بعد أن تحولوا الى قتلة وسفاكين ومصاصى دمائى الشعوب .

تعاونت الدول المسيحية في القديم والحديث على محاربة المسلمين أين ما كانوا وتعانوا تعاونا كاملا على اخضاعهم ، ولما ثار عبد الكريم الخطابى زعيم الريف المغربى على أسبانيا في القرن التاسع عشر الميلادى أثارث ثورته جميع الدول الغربية ، فتراكصت هذه الدول الى مساعدة أسبانيا ونجدتها لتتغلب على عبد الكريم زعيم القوة الاسلامية ، ويزعم الصلبيون بأن الاسلام قد انتشر بالسيف ، ولهذا فانهم يقاومونه بالسيف وهذه مغالطة مفضوحة . فان السيف لم يستعمل الا للقضاء على طغيان الأكاسرة وجبروت القياصرة لانقاذ الشعوب المستضعفة التى أكلها الجهل والكفر وتلاشت انسانيتها بين سندان الكنيسة ، ومطارق الفآت الحاكمة ، وانتزاع الحكم من أصنام ، بشرية أثبتت عجزها عن قيادة الانسانية ولا يستطيع أحد من الأوربيين أو غيرهم أن يثبت أن احد الخلفاء أو أحدا من ولاتهم قد أتوا بشخص واحد وخيروه بين الاسلام أو القتل ، والاسلام لم يؤلف محاكم للتفتيش لاجبار الناس على الدخول في الاسلام كما الفها المسيحيون لارغام المسلمون على اعتناق المسيحية كالتفتيش الذى اقاموه في الأندلس ، وفي روما وفي كل مكان .

الاسلام دين الفطرة ودين الحنيفية السمحاء ، فهو يعرض نفسه بدون قوة ولا دعاية طنانة ومظاهر جوفاء ، والنفوس بطبيعتها مهيأة لقبول ما يلائم فطرتها ، بل الدين الاسلامى ينهى عن الاكراه في الدين ، ويأمر اتباعه بأن تكون دعوتهم الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما عجز الأوربيون عن مقاومة الاسلام في العلانية ، فبدأوا يحاربونه في الخفاء ولم يتركوا أية وسيلة من وسائل الدس الرخيص والكيد اللئيم الا وجربوها للقضاء عليه ، وأما الجمعيات السرية والحركات الهدامة التى عاثت في كيان الأمة الاسلامية فسادا وتخريبا عبر القرون على أيدى الماسونيين وأعوانهم من جيش العميان والمرتزقة ما هى الا أثر من أثر تلك الحروب (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)(1) .

(1) سورة التوبة

يقولون : ان الاسلام انتشر بالسيف ولكن تناسوا أن الحملات الصليبية التى جردتها أوربا لاستئصال شأفة المسلمين ، والتى تحطمت على صخرة الصمود الاسلامى بعد حروب ضارية دامت زهاء قرنين من الزمن وكذلك تناسوا محاكم التفتيش في الأندلس والتى كان حصادها ثلاثة ملايين من المسلمين ، هذه المجزرة الشنيعة وقعت في صور وأشكال يندى لها جبين الحيوان خجلا ، فضلا عن الانسان ، لا ريب في أن مرد هذه الحروب الشديدة التى شنها الصلبيون على المسلمين في بلادهم يعدها مورخوا الصليبية أنها على حق وصواب ، وهذا ما ذهبنا اليه من أن العداوة التى كانت بين المسلمين والمسحيين كانت عداوة دنيوية لا صلة لها بالدين ، وانما انحصرت عداوتها للاسلام لأنه هو الذى يجمع المسلمين ويكون منهم وحدة تقف في أى وجه عدو كان ، ولهذا يريدون أن يمحوه من نفوس المسلمين ، ان هذه الحروب تعود الى ما قبل ألف عام فهل ثم مبرر لاستمرارها الى أيامنا هذه .

اذا اعتبرنا أن أساس العداوة سياسى دنيوى لا روحى دينى أيقنا أن هذه العداوة من المسحيين نحو المسلمين والاسلام لا يزال لها مبرراتها لقد أبرز (لورنس بروان) الامريكى في صورة واضحة عندما قال : (اذا اتحد المسلمون في أمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، وأمكن أن يصبحوا نعمة ، أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) .

واذا تأملنا العالم الغربى وجدناه عالما ملحدا لا يؤمن بدين ، وعالما ماديا لا يعرف للروح معنى ، ان أمريكا التى تعبد الحديد والذهب والبترول كما يقول أمين الريحانى قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون الى حياة روحية وسلام دينى ، وكذلك نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها ولكن ، نجدها الدولة التى تحمى رجال الدين في الخارج ، ان اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم لها في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها ، وكذلك ايطاليا التى ناصبت الكنيسة

العداء ، وحجرت على البابا في الفاتكان ، كانت تبنى جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين حتى روسيا السوفياتية التى تدعو في بلادها الى الالحاد ، ومحاربة الأديان رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما أرادت أن تحقق لنفسها نفوذا توسعيا سياسيا ، فتظاهرت بالعطف على رجال الدين ، ودعت الى مجمع مسكونى في موسكو وحملت اليه المؤتمرين في طائراتها ، ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلتهم ، وكذلك الانكليز .

وتقتبس من كاتب أوربى منصف ، وهو الدكتور غوستاف لوبون بعض الفقرات مما دونه عن الحروب الصليبية ليكون شاهدا على بنى جنسه .

قال : كانت أوربا ولا سيما فرنسا في القرن الحادى عشر الميلادى الذى جردت فيه الحملة الصليبية الأولى في أشد أدوار التاريخ ظلاما ، وكان النظام الاقطاعى يأكل فرنسا التى كانت مملوءة بالحصون التى كان أصحابها ـ وهم من نصف البرابرة ـ يقتتلون على الدوام ، ولا يملكون سوى أناس من العبيد الجهال ، ولم يكن في ذلك الحين لسوى البابا نفوذ شامل وكان الناس يخشون البابا أكثر مما يحترمونه .

وكانت دولة في الشرق قائمة وهى القسطنطنية مع انحطاطها عاصمة لدولة كبرى لا تنتهى فيها المشاحنات والمنازعات .

وكانت دولة العرب في تفكك وانحلال ، ولكن حضارتها كانت محافظة على سلطانها القديم .

فالحروب الصليبية التى نشبت في ذلك الحين لم تكن سوى نزاع بين قوم من الهمج الأوربيين وبين حضارة المسلمين التى كانت تعد من أرقى الحضارات التى عرفها التاريخ .

وكان أكثر قوافل الحجاج الأوربيين الى بيت المقدس تكون فيالق عسكرية أكثرها من جماعة الحجاج ، فكان بها بارونات وفرسان عسكرية طالما هاجمت الأعراب والتركمان ، فاضطر

هؤلاء الى الدفاع عن أنفسهم ، وبخاصة أن التركمان الذين قاموا مقام العرب في سوريا كانو أقل تسامحا من العرب فألزموا حجيج النصارى دخول القدس بخضوع ، ولم يسمحوا لهم بالدخول في شكل عسكرى وعلى ضوء المشاعل كما كان العرب يسمحون بذلك .

وزار بيت المقدس الراهب بطرس الناسك ، فاغتاظ لما رأى من معاملة المسلمين للنصارى ، وخيل اليه أنه مبعوث الرب لانقاذ الأراضى المقدسة من الكفار ، واستعان بالبابا أريان الثانى فأيده ، الأمراء الاقطاعيون ، وبخاصة أن المسلمين كانوا يهددون القسطنطنية ، ويحاولون الاستيلاء عليها ، ولقد لعبت أطماع التجار والأمراء دورا كبيرا في تنشيط هذه الحركة .

وفي ربيع سنة 1096م بدأت الجيوش الأوربية تزحف ، ولكنها تعرضت الى مجاعات وأمراض فتاكة ومن نجا منها عمل في السلب والنهب والتدمير ، وقد روت (أن لومن) بنت قصير الروم أنه كان من أحب ضروب اللهو عند الصلبيين قتل الأطفال وتقطيعهم اربا اربا ، ولكن هذه الجيوش الهمجية العاطفية لم يكن لها غناء وانما فنى أفرادها بالأوبئة والمجاعات والفتن الداخلية ، ثم بدفاع العرب وتلا ذلك الزحف بيش ضخم قوامه مليون أوربى يقودهم الأمراء والملوك وقد استولى ذلك الجيش على القدس في يوليو سنة 1099م ويقول غوستاف لوبون : لم يكتف قومنا الصلبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها ، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على ابادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم 60 ألفا فأفنوهم عن آخرهم في ثمانية أيام ، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا وليدا ولا شيخا ، ويقول غليوم الصورى : أن الصلبيين كانوا من السفهاء الفاسقين والملاحدة المارقين ، ولو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية لخرج من طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجى .

وتوالت بعد ذلك الحروب بين المسلمين والصلبيين ، وقد تم طردهم من القدس على يدى صلاح الدين الأيوبى ، ودخل القدس وأسر ملكها سنة 1187م وأنهى سلطان الصلبيين عليها ،

ولكنه كما يقول غستاف لوبون : لـم يشـأ أن يفعل مـا فعلـه الصلبيون الأولون في المسلمين وقد وجد هؤلاء في حماه أمنا وسلاما .

انزعج ملوك أوربا لاسترداد المسلمين القدس ، فتألفت حملة ضخمة سنة 1189م يقودها أقوى ملوك أوربا وهم : فليب أوغست ملك فرنسا ، وفريدريك بابا ، وولى قيصر ألمانيا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انكليترا ، ولم يكن لهذه الحملة من أثر الا القتال والتدمـير في أثناء الانتصارات الصغـيرة التى كـان يحرزهـا المهاجمون .

ومن الحملات التى كان يقودها ملوك أوربا أيضا الحملة التى قامت من فرنسا بقيادة ملكها سان لويس سنة 1948م وقد اتجهت هذه الحملة الى الاستيلاء على مصر ولكن الجيش المصرى هزمها وأسر الملك وسجنه في دار ابن لقمان في المنصورة وبعد مائتى سنة من الصراع المرير استطاع المسلمون أن يستردوا بلادهم من أيدى الصليبيين السفاكين .

وقد بدأت انتصارات المسلمين تتضح على يد نور الدين زنكى سنـة 1146م وجـاء بعده صـلاح الديـن الأيوبى فحقق أعظـم انتصارات للمسلمين ، وبخاصة في معركة حطين التى أدت الى الاستيلاء على عكا ونابلس والرملة ، ويافا ، وبيت المقدس التى سقط ملكها أسيرا في أيدى المسلمين كما سبق .

وفي عهد السلطان بيبرس سنة 1260 ـ 1277م تهافتت الممالك الصغيرة التى كانت في أيدى الصلبيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط وفي سنة 1293م سقطت آخر مدينة لاتينية في يد ملك مصر السلطان الأشرف خليل ، وانتهى بذلك الصراع الذى شنته أوربا الصليبية على المسلمين .

هذه هى أعمال أوربا التى جعلت تدمير المسلمين نصب أعينها ولكن من لطف الله أن وجدت في استقبالها بقية من بقيت الايمان وفي مقدمتها الملك المسلم ألا وهو صلاح الدين الأيوبى وغيره من الملوك رجع هذا الانتصار الى نفوس المسلمين الطمأنينة بدينهم وحفظ لهم كرامتهم وشرفهم ، وبعد ما فشل الصليبيون في

حملتهم القوية خرجوا من أرض الميعاد مطرودين مهزومين .

وفي الختام نتكلم على تعاليم سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام كيف اعتنقها الصليبيون ، أراد هؤلاء ، أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويقضوا على ما كان للانسانية من عقائد ربانية وتراث مجيد ، وتقاليد سامية يكشف المؤرخون والباحثون في الأديان السماوية عن حقائق مذهلة لأعظم جريمة اقترفها اليهود في حق الانسانية على يد بولس وشركائه من مؤسس الماسونية الذين تظاهروا باعتناق المسيحية لنسفها من الداخل ، وتحويلها من دين مثالى كما جاء به السيد المسيح عليه الصلاة والسلام الى مجموعة من الأساطير والخرافات الوثنية كما هى عليها الآن .

عندما يطالع الانسان الاناجيل أو ما كتبه المسحيون في شرحها فلا يحصل على طائل من الدين الصحيح ، وكل اصحاح ينقض ما قبله ، وكل جملة تهدم ما بعدها فلا هى كتب علم ولا هى كتب دين ، وانما هى مجموعة من أساطير وقصص وحكايات وروايات خاوية من كل معنى خالية من كل مضمون ، لو وجه سؤال الى أى مسيح مهما كانت درجته العلمية أن يبين حقيقة الدين المسيحى وما يعتقده في شخصية المسيح عليه السلام تصويرا حقيقيا يرضى به العقل ويطمئن اليه القلب لما استطاع ذلك ، اذ كيف يستطيع وهو يتلقى من صغره بأن الثلاثة تساوى الواحد والواحد يساوى الثلاثة ، وأن عيسى عليه السلام مكون من ناسوت ولا هوت ، وأن طبيعة اللهوت خلقت طبيعة الناسوت لأجل أن يكون كبش الفداء على البشرية التى تنوء بالخطيئة الأولى .

ان علماء التاريخ المسيحى يقرون بأن الأناجيل الأربعة المتداولة قد تم اختيارها من بين حوالى مائة انجيل كانت منتشرة بين المسيحيين في القرن الرابع الميلادى ، ومن المعلوم بالضرورة أن المسيح عليه السلام قد أتى بانجيل واحد ، وهم لا يستطيعون أن يثبتوا أن أحد الأناجيل الأربعة مطابق بنفسه ومعناه للانجيل الذى جاء به المسيح عليه السلام لذا فمن المحتمل أن يكون الانجيل الأصلى الحقيقى واحد من الأناجيل التى زعموا أنها كاذبة وأسقطوها ، واذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال ، لأجل هذه الأساطير تحشد عصابات التبشير كل طاقتها لتخريب ضمائر

المسلمين ، وزعزعة عقائدهم ، لتصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، الى عبادة آلهة ثلاثة ، وهم الى الآن لم يعرفوا الخالق من المخلوق ولتنقلهم من دين الاسلام الحنيف الى دين سداه الوثنية ولحمته الشرك ، والخرافات جزء منه لا يتجزء ويسمونه دين المسيح زورا وبهتانا ، والمسيح عليه السلام برىء منه ، وهذه العصابة من المبشرين هى من دول الاستعمار ، فانه يساندها ويرصد لها الأموال الطائلة ، ويجند لها الطاقات ، ويبلغ ما ينفق عليها عشرات الملايين من الدولارات بل المآت الملايين .

وعلى الرغم مما قامت به هذه العصابات من هجمات مسعورة على الاسلام والمسلمين ، وعلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا مع الأسف لا نجد من المسلمين ردود فعل تتناسب مع ما يبذله المسيحيون من جهد مستميت في هذا المضمار ، واذا وجد من يريد أن يدلى بدلوه ، فانه لا يلبث أن يفاجأ بالعراقيل توضع في طريقه ، وبالمعوقات تنشط عزائمه ، وممن من أبناء جلدته فيصمونه بالطائفية ، ومن السخرية والاحتقار للاسلام . جعل حكام المسلمين في دساتيرهم التى سطروها (الاسلام دين الدولة الرسمى) ، ووضعوا بعده ألف مادة لهدمه وتأتى على بنيانه من القواعد ، ولعل المسلمين لا يدرون بأن الحروب الصليبية التى اشعلت ضد الاسلام والمسلمين منذ أكثر من 800 سنة لا تزال باقية الى الآن ، ولكن في اشكال وصور مختلفة ، ولا زلنا نعانى من آثارها في الفلبين والحبشية والسودان ، وفي نجيريا وتيلاندا ، وفي بلقاريا والتشاد ، وفي فلسطين وغيرها وستبقى هذه الحروب وتدوم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما قال الجنرال الانجليزى عندما فتح فلسطين ودخل القدس الشريف وقف وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية) وهو كاذب لأن أحداث الساعة تدل على استمرارها .

زحـف التتـار عـلى الممالـك الاسلاميـة الشرقيـة

لم يتأثر المسلمون بالحروب الصليبية التى دامت زهاء قرنين من الزمن واتحدت الكنيسة مع أوربا على حربهم ، ورغم هذا لا زالوا مختلفين ومتنابذين ولم يسلم بعضهم لبعض ، ولم ينظروا في الخطر الذى يهدد كيانهم جميعا ، ولم يرجعوا الى الدين الذى يوحد بينهم ليقفوا صفا واحدا في وجه الغز والمتكالب عليهم من كل ناحية ، ويجعلوا حدا لهذا الافتراق الشنيع الذى تأصل في نفوسهم ، وأسلمت هذه الحالة ـ أيى حالة الصليبيين ـ الى حالة أخرى هى أدهى وأمر من سابقتها ، الا وهو زحف المغول على الممالك الاسلاميـة الشرقية وتحطيمها تحطيما شنيعا ، وأنهـى بذلك الخلافة العباسية الرمزية وتدمير الحضارة البغدادية ، ننقل بعـض الفقرات مـن التاريـخ . كيف أكتسح التـتار الممالـك الاسلامية وتخريبها ، بيد أن الصليبيين كانوا في الشام ومصر وآسيا الصغرى ، وداروا حول هذه الدوائر ، ولم يتجاوزوها .

أما هجوم التتار الكاسح فقد انساب من أقصى الشرق لا يلوى على شيء الا جعله ركاما ولا على قوم الا جعلهم رميما حتى وصلوا الى الشام واستولوا على أكثره ، وراموا مصر ، ثم ارتدوا على أدبارهم خاسئين أمام جيش مصر والشام .

ولتذكر كلمة لا بن الأثير في وصف التتار وما كان منهم في القرن السابع الهجرى فانها كلمة بليغة مصورة قال رحمه الله : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، وها أنا أقدم رجلا وأوخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب على نعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، الى أن حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول : (هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو

قال قائل ان العالم منذ خلق الله سبحانه ، وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التاريخ لم يتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ...

ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى أن ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا الى خروج ياجوج وماجوج ، هؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة (فانا لله وانا اليه راجعون) ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالرياح ... ان قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ... ومنها الى بلاد ما وراء النهر فملكوها ... ثم تعبر طائفة منهم الى خرسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ، ثم يتجاوزونها الى الرى وهمدان الى حدود العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منها الا الشريد الطريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله أحد ، ثم قصدوا بلاد قفجاق ، وهم من أكثر الترك عددا ، فقتلوا كل من وقف لهم ، فهرب الباقون الى الغياض وراء الجبال ، وفارقوا بلادهم ، واستولى هؤلاء التتار عليها ، فعلوا هذا في أسرع زمان ، ولم يلبثوا الا بمقدار سيرهم لاغير ، ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة وما جاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا بها مثل ما فعل هؤلاء ، وأشد ، هذا مما لم يطرق الاسماع مثله ، فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة ، وانما ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحدا ، وانما رضى من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمورة من الأرض وأحسنها عمارة وأهلا ، وأعدل أهل الأرض أخلاقا سيرة في نحو سنة ، ولم يبت أحد ، من الناس ومن البلاد التى لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ، ويترقب وصولهم اليه ، ثم أنهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر ، والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التى يركبونها فانها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات ، ولا تعرف عن الشعير ، فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شيء من خارج .

وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئا ، يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ، ولا يعرفون نكاحا بل المرأة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف من أبوه .

هذا وصف لأولئك الذين ابتلى بهم العالم الاسلامي في القرن السابع الهجرى ، وأختص المسلمون بهذا البلاء ، ولقد انساب أولئك المغول في الديار الاسلامية حتى قضوا على عاصمة الخلافة قال الاستاذ انور : لا يعرف الاسلام من بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطبا أشد من هؤلاء من غزوات المغول ، فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قمم الجبال ، واكتسحت طريقها العواصم الاسلامية ، وأتت على كل ما كان لها من مدنية وثقافة ، يقول الخميسى في تاريخه في سنة ستة وخمسين وستمائة هجرية : وصل الطاغية هلاكو حفيد جنكيز خان الى بغداد بجيوشه ونزل قائده باجنوس على بغداد من غربها وهلاكو من شرقها ، ثم خرج اليه الخليفة العباسى في أعيان الدولة وأكابر الوقت ، فضرب المغول رقاب الجميع ، وقتل الخليفة وداسوه بالخيل ، ودخل التتار المدينة وأقسموها وعمل السيف فيها أربعة وثلاثين يوما وقل من أسلم من سكان المدينة فبلغت القتلى ألف وثمانية مائة نسمة ، وقد نهب المغول دار الخلافة لم يبق فيها شيئا ، ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها) انتهى ...

ويقول الاستاذ أبو زهرة رحمه الله أحب أن أشير هنا اشارة عابرة الى الاستيلاء على بغداد قصبة الاسلام ، أو تخريبها كما هو التعبير الدقيق ، ففى خبرها العبرة ان بغداد لم تبتل فقط بالتتار وهم بلاء في الأرض وشر مستطير ، وهم وحدهم كافون لازالة كل حضارة ، وتقويض كل قائم بل ابتليت بغداد بمن فيها ، فقد كان فيها اليهود والنصارى قد مالئوا التتار ، وكاتبوهم وكان فيها من هو أمر وأدهى وهو العلقمى وزير المعتصم آخر خليفة عباسى كان مقيما في بغداد ، فان ذلك الوزير كان شيعيا غالبيا ارتضى لنفسه أن يمالىء عبدة الشمس والتتار على عبادة الواحد القهار وخان دينه وخان بلاده ، وخان الفضيلة ، قد عمل على أضعاف جند بغداد فقد كان فيها عند توليه مائة ألف جند معهم

الشبكة والسلاح والعدة والعتاد وكان فيهم الأمراء الأكابر الذين كانت لهم حمية الأسود الكواسر ، فلم يزل في تقليل العدد حتى أصبح نحو عشرة الآلاف ثم أطمع التتار ، وكشف لهم الحال ، وضعف الرجال ، فجاءوا ، ولم يكتف بالذى قدمه بل انهم عندما أقبلوا كالوحوش الضارية حسن للخليفة مصالحتهم على أن ينزل على نصف خراج العراق ، ويكون للخليفة النصف الآخر فرضى ، وذهب الخليفة ليفاوض فأعاده هلاكو مذموما مدحورا اذ قد أشار الوزير العلقمى في الوقت نفسه على هلاكو ألا يقبل المصالحة لأن الخليفة ينقضها بعد سنة ، وأشار عليه بقتله ، وأيد العلقمى نصير الطوسى الذى كان في صحبة هلاكو وخدمته .

قتل الخليفة باشارة الروافض ، وانساب التتار ، يقتلون ويخربون في بغداد ولم ينج من أهل بغداد الا اليهود والنصارى ومن لجأ الى العلقمى ، فهؤلاء وحدهم كان لهم الأمان ، أزيلت قصبة الدولة الاسلامية على أيدى عبدة الشمس ، وأغراهم بعض الشيعة فلم هذا ؟ لم يؤثرون حكم الطاغوت على حكم المسلمين ؟ لعل السبب في ذلك أنهم يرون في المسلمين الذين يخالفون طريقتهم ضلالا ، وهذا السبب عام ، ولكن هناك سبب خاص لعله كان أقوى تأثيرا ، وذلك أنه كان في سنة 655هـ وهى سنة السابقة على تخريب بغداد ، كان بين أهل السنة والرافضة حرب مذهبية نهب فيها بلاد الكرخ ومحلة الرافضة ، حتى نهب دور أناس ذوى قرابات للعلقمى ، فأثار ذلك حنقه وهياجه على أن دبّر للاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفضيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد(1) .

وسواء أكان القتال بين الرافضة وغيرهم ما يبرره فان هذا يعطينا صورة عن هذا العصر كيف كان المسلمون في هذا الزمن ، والبلاء بلاء وهو ابادة لا تبقى ولا تذر ، ولا تفرق بين مذهب ومذهب كانوا يتناحرون في نحلهم ، هؤلاء يقتتلون والتتار قد أزالوا كل ما وراءهم من بلاد ، ثم تعطينا صورة أخرى أشد اقتاما ، تبين كيف يعمى التعصب المذهبى القلب والبصرة ،

---

(1) تاريخ البداية والنهاية لابن كثير

فيقدم وزير أعطى أمانة الخلافة والملك ، فيوعز الى من لا دين لهم ولا أخلاقا ليتحكموا في أهل دينه فيبيدونهم عن آخرهم ، وهذا الصنف من الخونة كثير في المسلمين لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، وهم سبب الكوارث للمسلمين في جميع العصور لأنهم منافقون لا يؤمنون بالدين ، ثم تبين لنا أيضا كيف يخون اليهود والنصارى المسلمين عند اشتداد الأزمة ويؤلبون أعداء الأديان وأعداء بني الانسان على من عاهدوهم وحموهم وآووهم ، ولكن هي الحفيظة الدنيئة تدفع الى الأذن من غير نظر لعهد ولا لأمانة ولا لمصلحة اجتماعية .

لقد دخل التتار حلب الشام بعد بغداد ، وذهبوا الى دمشق فاستولوا عليها واستولوا على القلعة بعد مصالحة أحد أمرائهم واسمه (ابلاسان) فقرب النصارى اليه ، وهم تقربوا الى هلاكو ، قد هبت اليه طائفة من النصارى معها الهدايا والتحف جاءت من عنده بأمان أعطاه لها الطاغية ، وكان ذلك وصلا لما بدئى من قبل في بغداد ، بل في كل مدينة دخلها التتار ولنترك الكلمة لابن كثير يشرح ما كان منهم فقد قال : (دخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح ، ويذمون دين الاسلام وأهله ، ومعهم أوان فيها خمر لا يمرون على باب مسجد الا رشوا عنده خمرا قماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، فتكاثر عليهم المسلمون فردوهم الى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم فمدح دين النصارى ، وذم دين الاسلام وأهله) (فانا لله وانا اليه راجعون).

ولكن أن الاسلام قد استطاع أن يصل الى قلوب هؤلاء المغول فقد كان الملوك من بعد هلاكو مسلمين ، وان لم يذق التتار بشاشة الاسلام الا من بعد فترة من الزمن ، الحقيقة أن موقف المسلمين من القرآن في هذا العصر ومن بعده مثلهم كمثل جماعة أحاط بهم الظلام من كل مكان ، فهم يتخبطون فيه ويسيرون على غير هدى ، فتارة يقعون في هاوية وأخرى يصطدمون بحجر ، وثالثة يصطدم

بعضهم ببعض ، ولا يزالون هكذا يخبطون خبطا عشوائيا ويسيرون في ظلام دامس مع أن بين أيديهم زرا كهربائيا لو وصلت اليه أصابعهم فان أدنى حركة يسيرة يمكن أن توقد مصباحا مشرقا منيرا ، هذا مثل المؤمنين وموقفهم من كتاب الله (كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ ، والمأ فوق ظهرها محمول) لا يستطيعون سبيلا الى الهداية وبين أيديهم النور الكامل يقول الله عز وجل : (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم)(1) (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا للنور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)(2) (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجوهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)(3) : ويقول سبحانه وتعالى في حق الكافرين : (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) ولكن فما بال المؤمنين الذين آمنوا بالله وصدقوه وأحبوه واعتقدوه ولا يخلو بيت من بيوتهم من كتاب الله ، قد أعرضوا عنه ان أهل الكفر قد خدعوا المسلمين عن نورهم ، وأبعدوهم عن هديهم ، وضللوهم عن طريقهم ، وأمسكوا بأصابعهم على أن لا تمس الزر الكهربائى — ألا وهو القرآن الكريم — لينير لهم الحياة خدعوهم بالسياسة ، وتارة بالعلم الدنيوى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الأخرة هم غافلون) وطورا بالمال ، وأخرى بالشهوات وخاصة بالخداع وتارة بالقوة والقهر والجبروت ، فكانت النتيجة أن المسلمين اتبعوا الكافرين ، وقد حذرهم الله من ذلك بقوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقاب فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)(1) ولما سبق في علم الله أن الكفار يهددون المسلمين بما بين أيديهم من قوة وبأس ، فأراد أن يستأصل من قلوبهم هذه الشبهة فقال : (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل بـه سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) ثم يذكر الله حادثة تطبيقية مقررونة بالدليل قال : (ولقد صدقكم الله وعده اذا تحسونهم

---

(1) سورة الشورى
(2) — الاعراف

باذنه حتى اذ افشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين)(2) هكذا يحذر الله المؤمنين بالقرآن من أن ينهجوا منهج الكفر ، فيقول : (يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)(3) فأهل الكفر مطبوعون على الخداع وعلى الكيد لأهل الايمان (ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)(4) (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء)(5) ويجب على كل مؤمن أن يبرأ من محبة الكافر ، قال الله تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) فهذا تصوير صادق لعاطفة أهل الكفر نحو أهل الايمان ، ومع هذا فقد نسى المسلمون التحذير (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيض قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بدات الصدور ان تمسكم حسنة تسوءهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)(1) ، ورغم هذا التحذير ، ورغم أن كتاب الله قد كشف عن أنفسهم هذا الكشف بعد كل هذا أنهوى بأنفسنا الى الهاوية ؟ ونسير في أذناب أهل الكفر ، ونعمل كما يعمل أهل الكفر ، وهم يخدعوننا عن هذا بكل وسيلة وبكل أسلوب .

ولما دخل التتار الى الاسلام وأصبحوا بعض أتباعه فعادت أوربا من جديد تتحفز وتعد العدة لاستئناف نشاطها الحربى على العالم الاسلامى واتجهت في هذه المرة الى الهجوم على تركيا زعيمة العالم الاسلامى وموطن الخلافة الاسلامية ، وعلى من اتبعها من الممالك الاسلامية .

---

(3) — آل عمران (1) سورة آل عمران (2) — آل عمران
(3) — المائدة (4) سورة آل عمران (5) — الممتحنة
(1) سورة آل عمران

تــركيـــا والـغـــرب

رجعت الخلافة الاسلامية ـ من بعد ما عصفت بها الأحداث من الداخل والخارج ـ ولكنها لم ترجع الى العرب ولا الى قريش ، بل استولى عليها الأتراك ، ودخلوا الى أرض المسلمين باسم الاسلام ، فانظم اليهم المسلمون أينما كانوا الا قليلا ممن لازم الحياة ، شهد القرن السادس عشر الميلادى دولة اسلامية كبرى ـ هى تركيا ـ تقيم أمبراطورية اسلامية من أكبر الأمبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ويأخذ سلطانها لقب الخليفة ، وأصبح مركز الخلافة في القسطنطينية عاصمة البزنطين سابقا ، فانضم الى هذه الخـلافة الجـزيرة العربية ومـصر والشام ، والعراق والجـزائر وتونس . وشهد هذا القرن تلك الأمبراطورية الاسلامية القوية التى أصبحت تهدد أوربا ، واحتلت منها جزءا غير قليل ، وهو ما يعرف الآن باسم (رومانيا وبلغاريا واليونان ، ويوغسلافيا وألبانيا ، والمجر) ، وجعلت لها كلا من البحر الأسود والبحر الأبيض بحيرة اسلامية ، وقد كان لها أسطول بحر كبير ، وجيش قوى عتيد ، وتسمت باسم الخلافة العثمانية ، وأصبحت مصدر رعب لأوربا وذعر للمسيحيين ، كيف كان موقف الغرب أمام هذه الأمبراطورية الاسلامية الكبرى ، وأوربا اذا شاهدت دولة عظمى للمسلمين لا يستقر لها قرار حتى تقضى عليها .

يقول الاستاذ محمد حبيب تألبت الدول الأوربية على الخلافة الاسلامية ، واجتمعت كلمة المسيحيين على الوقوف في وجه التيار الاسلامى الجارف ، وعقدت المعاهدات وتظافرت القوى والجهود لهذا الغرض ، وكان من سوء حظ الخلافة الاسلامية أن ظهرت هذه الحركة الأوربية في وقت كان سلاطين آل عثمان قد انغمسوا في الترف واستسلموا للدعة والنعيم والشهوات .

وقد اتخذ الصراع ضد تركيا شكلا دينيا واضحا اذ تكون ضدها حلف مقدس من النمساويين وبولندة والبدقية ، وكان لهذا

الحلف أثر كبير في التغلب على تركيا حتى تضعضعت قوتها ، ثم دخلت روسيا في حرب معها باسم الدين ، هذه الحرب تؤيدها جميع الدول الأوربية وأشعلوا فيها الفتن والثورات من الداخل حتى من العرب أنفسهم ، وألبوا عليها كل الممالك التي كانت تحت يديها فبعضها استقل عنها كمصر والجزيرة العربية وبعضها في طريق الاستقلال ، وأنزلت هذه الحروب والفتن التي كانت من الداخل والخارج بالخلافة الاسلامية ضربات قاصمة وخسائر فادحة ، وكانت نتيجة هذه الأحداث العظيمة أن هوت تركيا من شاهق وهان أمرها وضعف شأنها حتى أصبحت تعرف بالرجل المريض .... وهكذا حطم الغرب المسيحى الخلافة العثمانية ، واستولى على الأقطار العربية التى كانت تكون أكبر جزء في جسم الخلافة .

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م وتونس 1881م ومراكش 1911م وان كانت هذه الأخيرة لم تكن تابعة لتركيا واذنت الدول الأوربية لفرنسا ان تحتل لبنان سنة 1860م ثم سوريا سنة 1918م.

واحتلت انجلترا مصر سنة 1982م واحتلت ايطاليا طرابلس سنة 1911م ثم فلسطين من طرف الانكليز عقب ذلك .

وسبب هـذا الاحتلال هـو أن رجـال الكنيسة والمبشرين من رجال الدين المسيحى مهدوا الطريق الى هذا الاحتلال الشنيع لأنهم كانوا في الأقطار جواسيس وعيونا يطلعون الاستعمار على عورات المسلمين وينقلون اليه كلما هب ودب فيها باسم الدين والتظاهر بالشفقة والرحمة على الفقراء والعجزة والمساكين .

الرهبان منذ القرن الثامن الهجرى الموافق للقرن الرابع عشر الميلادى حتى الى القرن الثامن عشر ما أنفكوا في مراكش ، والجزائر ، وتونس ومـصر والشام يمهلـون للاستعمـار حتى تمكنوا فعلا من احتلال هذه الأوطان .

ففى سنة 1911م عقد مؤتمر للمبشرين المسيحيين في لنكاو في الهند ونظر في حالة المسلمين ، فوجد فيها الاضطرابات الخطيرة ، والانقسامات الى طوائف متناحرة قال أحدهم : (ان هذا الانقسام

السياسي الحاضر في العالم الاسلامي لدليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ ، واستشاراته لديانة المسيحية لكي تقوم بالعمل) يشير بذلك الى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتحة في العالم الاسلامي على مصاريعها ، ان ثلاثة أرباع العالم الاسلامي تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الارساليات التبشيرية ان في الأمبراطورية العثمانية ، وفي غرب شبه جزيرة العرب وفي ايران ، والتركستان والأفغان ، وطرابلس الغرب ، ومراكش سدودا في وجه التبشير ، ولكن هناك مائة وأربعون مليونا من المسلمين في الهند ، وجاوة والصين ، ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل اليهم التبشير بسهولة .

وكانت الغطرسة التي جبل عليها الاستعمار تمنعه من أن يتساوى مع غيره من شعوب العالم التي هي من غير جنسه ، فكان يرى أن هذه الشعوب ناقصة في خلقها وتكوينها الفسيولوجي لأنها لم تكن على درجة كبيرة من الذكاء والخلق اللذين يخولانها بتسيير شؤونها والقيام على مصالحها قياما كاملا بخلاف الجنس الأوربي .

هذه هي فلسفة التي يتبجج بها في استعباد الشعود التي هي من غير جلنسه ، وحجته في ذلك العروق الجنسية ، لأنه يرى أن عرقه أفضل من جميع العروق البشرية في الذكاء ، ولهذا فهو أحق بالاشراف على مصالح هذه الشعوب .

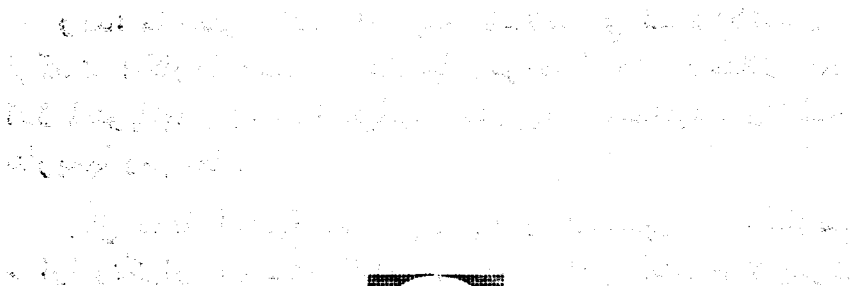
حاول الاستعمار بكل ما أوتي من قوة ودهاء أن يبدّل طباع هذه الشعوب وخلقها حتى تلتحق بطباعه وخلقه فمنع منعا باتا تعليم لغتها وتاريخها وأدابها القومية من الدراسة في المعاهد واستبدالها بلغته وتاريخه وآدابه .

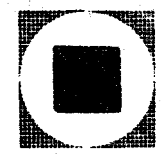
ولم يدر الاستعمار بأن القواعد التي تقوم عليها حياة المجتمع هي وليدة الخلق ، والخلق يتألف من امتزاج مختلف عناصر الشخصية التي يطلق عليها اسم المشاعر ،وقد تتغير الصفة الذهنية بالتربية تغيرا قليلا .

أما الصفة الخلقية فانها تتقلت من سلطان التربية تقلتا تاما ، والتربية عندما تؤثر في الصفات الخلقية لا يكون هذا التأثير الا عند ذوى الطبائع المحائدة لدى الأفراد ، وقلما توجد في أمة

كاملة ، واذا وجدت في أمة لا يكون وجودها الا في أيام انحطاطها ، ومن السهل أن ينتقل الذكاء من أمة الى أخرى . أما الصفة الخلقية فلا تنتقل ، الخلق كالصخرة الثابة التى تلطمها الأمواج يوما بعد يوم في عدة قرون .

وللأخلاق نفوذ كبيرة على حياة الأمم ، والخلق هو الأساس الحقيقي للمزاج الشخصى ، والأمة اذا تغيرت لغتها ومعتقداتها وفنونها بغتة ، وتغيرات كهذه لا تكون حقيقة في هذه الأمة الا اذا استطاعت أن تحول روحها ، ولهذا لم ينجح الاستعمار في تبدل طبائع الشعوب وخلقها ، وباء بالفشل التام رغم المجهودات التى بذلها أنظر الى أحلامه كيف كذبها الواقع وبددتها الحقائق الناصعة باستقلال هذه الشعوب .





ثورة الشعوب الاسلامية الحديثة على الاستعمار الغربي أينما كان

من أحرج الساعات في حياة الأمم وأشدها الساعة التى تفقد فيها الحرية والقيادة الرشيدة ، ومقومات الحياة كالعلم والسياسة والاقتصاد وغيرها فتظهر عليها أمارات الشيخوخة فتصبح بعيدة عن النظم الاجتماعية فتصير مسخرة للعمل والطاعة العمياء لأسيادها .

تخسر هذه الأمة المستعمرة كل شيء في حياتها ، تخسر الوحدة التى هي سبب النجاح والفلاح ، تخسر المعارف والعلوم التى تهديها الى طريق السعادة والنجاة ، تخسر التعاون والتربية والأخلاق الحميدة التى لولاها لما كانت أمة معتبرة في الوجود ، تخسر القدرة على السير الى الأمام .

وهذا ما اعترى الأمة العربية الاسلامية في فترة الانحلال ، فركدت أفكارها وجمدت عقولها ومواهبها لأن الاحتلال كان قتلا لمعنوياتها ، وطمسا لكيانها وتشويها ، لسمعتها ، وتلطيخا لتاريخها ومجدها .

وكل دولة أجنبية استعمرت بلدان المسلمين الا وحاولت مرارا وتكرارا أن تقتل الطموح فيها ، ولكن الطموح لا يموت موتا نهائيا ، فهو كالنار تبقى جذوته ضئيلة غير أنها عاملة نشيطة .

وكل دولة احتلت أقطار المسلمين الا وحتمت عليهم عوائدها وأخلاقها ولغتها وجنسيتها ليمتنقوها ، ويذوبوا فيها شيئا فشيئا حتى تبتلعهم .

دخل الاستعمار أرض العرب ووطن الاسلام ومنازل الوحى ومدارس القرآن ، فدنس بأقدامه الغليظة مقدسات الشرق ، وامتهن البقاع المقدسة فمسك منافيذ الحياة فيها ، واستولى على مرافق العيش منها ، فامتص خيراتها كما امتص روحها وحياتها ،

وصادر عقولها وأفكارها ، وحارب العقائد والمبادىء السامية ، وعفروجه المسلمين ، في الرغام والأوحال ، ومزق الصحف ، ومنع الشعوب من اتصال بعضها ببعض ، وسادها الاقطاع جميعا ، وتحالف عليها الفقر والجهل ، واستعمل معها جميع وسائل الفناء فكابدت من هذا الاحتلال الملعون جميع المحن والمصائب .

كانت روح القسوة التى جبل عليها ، والتشفى التى هى سليقة فيه واضحة في انتصار الاستعمار على المسلمين ، فلم يكن ما أحرزه من نصر في المعارك نهاية المطاف وانما كان بدء المجاور الشنيعة ، وازهاق الأرواح بالآلاف ، وأسكب فيضا من الدماء الغزيرة ، وشملت هذه القسوة الأطفال والنساء والعجزة ، وجرت هذه الويلات الخراب والدمار على البلاد ، وكان السفاكون يحتسون الخمر ، ويرقصون طربا للنصر وتعذيب المواطنين وابادتهم وتدميرهم .

وقد كتب الجنرال نيكلسون الانكليزى يقول : (يجب علينا أن نسن قانون يبيح لنا أن نحرق أو نسلخ جلود المسلمين وهم أحياء لأن نار الانتقام تتأجج في صدورنا ولا تخمد بالشنق وحده) ، وكان هذا الجنرال حسن النية لأنه فكر في سن قانون لسلخ المواطنين أحياء ، أما غيره من الجنرالات الأخرى فقد فعلوا هذا وأكثر دون أن يحتاجوا الى سن قانو ن، وقد كتب المؤرخون الافرنج أنفسهم هذا التاريخ الشنيع وانتقدوا الأعمال البربرية التى قام بها الصليبيون ضد المسلمين انتقادا مرا .

لقى الأحرار والمفكرون من العالم الاسلامى أسوأ المصير في حكم الاستعمار من الظلم والعسف والسجن والنفى والتشريد والتقتيل ، وانفق ثروات البلاد على جيشه وعلى المبشرين الذين يحاربون الاسلام ، ويحسنون للمسلمين اعتناق المسيحية .

ولما تم الاستيلاء على الجزائر ، فتحت فرنسا باب الهجرة من جميع أقطار أوربا ليستوطن الغربيون هذا الوطن ، وكانت تساعد كل من يأتى اليه من الجاليات الأوربية بكل وسيلة ممكنة من المال وغيره كنزع الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة من أيدى السكان المسلمين ، واعطائها الى المهاجرين ، فجمعت بذلك ذل الاستعباد

وذل الفقر عليهم ، فضح الجزائريون من هذه الحالة ، فأصبحوا غرباء في بلادهم محرومين من خيراتها ، بحيث طردوا الى قمم الجبال أو الى الصحارى القاحلة ، وكانت فرنسا ترمى من وراء هذه السياسة تحطيم كل أمل للمسلمين .

ومن بعد ما ملك الأوربيون المهاجرون الأراضى الصالحة ، أصبح المسلمون مسخرين للعمل فيها بأجر زهيد جدا لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وبعد ما استقر الاستعمار في هذه الأوطان بدأ يحطم الدين الاسلامى فأسقط حكمه الذى كان يحكم بين العباد ، واستبدله بقوانيه ، ومنع علومه من أن تدرس وجعل المساجد وشؤونها تحت يده بعد ما خرب أكثرها ، واستعمل بعضها كنائس وثكنات للجند ، وصادر الأموال المحبسة عليها الى خزائنه العامة ، وأغلق المدارس التى كانت تعلم الدين واللغة ، وأصبح يعاقب كل من يعلم هذه المواد الا برخصة وشجع ذوى الأهواء والبدع والخرافات، لتضليل الشعوب وافساد الرأى العام ، وكون جيشا من المسلمين للدفاع عن وطنه الأصلى ، وفتح المستعمرات له ، وسن قانونا خاصا للمسلمين سماه قانون الأهالى بحيث لو تخاصم مواطن مسلم مع أوربى لا يعطى الحق للمسلم أبدا ، ولو كان صاحب حق ، ويعاقب لتجرعه ووقوفه في وجه سيده الأوربى ، واذا رأى مسلم أوربيا سائرا في الطريق ينبغى للمسلم أن يرفع كلتا يديه الى السماء والويل له ان لم يرفعهما .

أسس الاستعمار مدارس لتعليم الناشئة الاسلامية لغته وعوائده وأخلاقه ، والباعث على ذلك لا التثقيف كما يفهم من ذلك ، وانما لفهم كلامه في العمل وقضاء المصالح ولكى يتخلقوا بأخلاقه وعوائده ولينسلخوا من الاسلام ولغته وأخلاقه وعوائده ، كما هو مشاهد في عواصم الجزائر ، أما أن يتلقوا علوما صحيحة عالية فلا سبيل الى ذلك الا أن يخلع هذا المتعلم جنسيته ودينه ، ويعتنق جنسية فرنسية ، فبهذا فقط يسمح له بمتابعة التعليم العالى .

والجزائريون ــ تقريبا ــ كلهم تعلموا في مدارسه ، فكان هذا التعليم سببا في صدهم عن كل ما كان لهم من تراث نفيس ،

وقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم المجيد ، وقتل الاحساس والشعور بقوميتهم الاسلامية ، وتاريخ أمتهم العظيمة ، ولو كان الاستعمار صادقا في تعليم هؤلاء الناشئة لما فرق بين الأوربيين والمسلمين في التعليم ، ولعلمهم العلوم الحية كالعلوم التجربية بكل فروعها من كيماوية وميكانيكية وتطبيقية لأسدى معروفا لهؤلاء المتعلمين وللوطن ، لأن البلاد من بعد خروج الاستعمار منها أصبحت في حاجة شديدة الى من يتقن هذه العلوم ولم تجد من هؤلاء المثقفين من يقوم بحاجيات البلاد بعد ذهاب الأوربيـين منها ، فاصبحت الحكومة تستورد الخبراء من الخارج ، فتعليم الاستعمار لأبناء المسلمين لغته كان القصد منه هو القضاء على الاسلام عن طريق التعليم الأوروبى .

فثقافة هؤلاء المتفرنسين كانت في غاية الخطورة على الاسلام ، فجردوه من روحه وقيمه وأخلاقه ، وأصبحوا يناصبونه العداء ويتهمون أحكامه بأنها رجعية .

وان كان بعض الأفراد استفادوا من هذا التعليم وهم أقلية جدا ، فشذوا عن البرامج المحكمة التى ضربها الاستعمار حول الشبيبة الاسلامية في التعليم ، فهؤلاء على كل حال يحملون علما صحيحا ، وثقافة لا بأس بها وان كان غالبهم يجهل الاسلام .

هؤلاء المتعلمون هم الذين أسسوا الأحزاب الوطنية ، وكانوا في طليعة المجاهدين غيرة عن الوطن ، وهكذا أراد الاستعمار أن يقضى على كل ما كان للمسلمين من خصائص ومميزات ، لأنه يعلم علم اليقين اذا ترك لهم اسلامهم وأخلاقهم فانه لا يضمن وجوده وبقاءه في أوطان المسلمين لأنهم يقظون حساسون يتدفق ماء القوة في عروقهم ونخوة الماضى تدفعهم الى أخذ الحق المسلوب ، وتحطيم الاستعباد الذى يرسفون في قيوده يحرك مشاعرهم الى الاستقلال والسيادة حتى يستردوا مجدهم التليد .

ولما كانت هذه الشعوب تحب الحرية أصبحت في أيام الاحتلال تشعر بالحرمان من الحياة الحرة الكريمة ، فكانت تثور في كل مناسبة ، وتخوض المعارك الدامية ضد المحتل بكل ضرواة وشدة حتى أكتسبتها هذه المقاومة الباسلة التمرس بالأفات والصمود في وجه القوة مهما كانت ، والتهيئى لمنازلتها في كل زمان ومكان

وهكذا كانت ولا زالت ، فلا الاستعمار يفنى ولا هى تستريح .

والأمة المستعمرة لا تبقى تحت الذل والعبودية الى الأبد ، فمن السنن الالهية أن يرفع هذا ويخفض الآخر والعكس (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ولا سيما أمة كأمة الاسلام صاحبة العقيدة الربانية والمبادىء الصحيحة الخالدة الوارثة لرسالات السماء الخاتمة لأنبيائه ورسله ، ولا يعزبن عن البال أن الدين لم يزل طول هذه المدة محفوظا من التحريف والتبديل مهيبا بالمسلمين ناعيا عليهم انحرافهم عن طريقه ، ولم يزل مناره عاليا وضوؤه مشرقا (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الاسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)(1) ولم يزل الكتاب والسنة يبعثان في نفوس المسلمين ثورة على الشرك والبدع وعلى الجاهلية والضلاله ، وثورة على أخلاق الجاهلية وعوائدها ، وثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك ، ولم يزل تأثيرهما في كل دور من أدوار التاريخ الاسلامى ، وفي كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى رجال يقومون بهديه على طريق الأنبياء من الله بهم على المسلمين يحفظ بهم شرف الاسلام وعزته ، ويعيد بهم الحياة الى هذه الأمة عندما تضعف أو تنهار ، فهم أمثلة كاملة ، وأقيسة تامة للدين يجددون لها أمر دينيها ، وينفخون فيها روح الجهاد ويسعون لاقامة حكومة أسلامية على منهج الخلافة الرشيدة ، وهم مصداق للحديث الشريف (لا تزل طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) فان الاسلام فيه من أثر الله ما يعصمه وعليه من اشراف النبوة ما يحفظه .

وفعلا وجد الدعاة الربانيون ، والمجددون لهذه الأمة دينها ، وهؤلاء المجددون هم الذين أهابوا بالأمة بالرجوع الى الاسلام ، والاعتصام بحبله المتين .

وهؤلاء الدعاة الربانيون هم ثلة من العلماء العاملين الذين هم من بقية السلف الصالح .

واذا كان صلاح الدين وملوك المسلمين الذين كانوا معه في ذلك الوقت حاربوا الصليبيين حتى أطردوهم من البلاد ، فقد

---

(1) سورة المائدة

كانت لهم حكومات قارة ، ونظام محكم وجيوش جرارة مدجيجين بالسلاح ، أما محاربة المسلمين للاستعمار في الوقت الحالى فليست لهمحكوماتقارة ولا نظام ولا جيش ولا مال ولا سلاح، انماحاربوا باسم الدعوة الى الجهاد في سبيل الله في أمة مبعثرة مشتتة مغلوبة على أمرها لا تملك من وسائل الدفاع شيئا ، ومع هذا لبت نداء الدعوة ، ونفرت الى ميادين الجهاد عزلاء غير مبالية بما يعترض سبيلها ، وفي النهاية انتصر المسلمون وأخرجوا المعمر مطرودا من بلادهم .

هؤلاء الدعاة الربانيون هم الذين أهابوا بالأمة الى أن تتخلق بأخلاق أسلافها وتسير على مقتضى عقيدتها ، هؤلاء الأعلام هم : جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائرين التى كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس والعلامة الشيخ البشير الابراهيمى ، والفيلسوف الكبير محمد اقبال في البكستان ، والشيخ رشيد رضا ، وحسن البنا بمصر والشيخ السنوسى بليبيا ، والملك محمد الخامس في المغرب والشيخ الطاهر بن عاشور في تونس ، وزعماء الرابطة الدينية في الهند وغيرهم من الدعاة ، والمجددين كثيرون من بناة النهضة الحديثة في أنحاء الأقطار الاسلامية .

وأم النهضة الحديثة هى مصر حرسها الله — فكانت مركزا للقيادة والتوجيه للعالم الاسلامى بما حفظت عليه من تراث اسلامى أصيل ، وبما أحرزت عليه من تقدم ورقى في العلوم والمعارف ، فبفضل دعايتها توحدت الشعوب الاسلامية ودب فيها الوعى ، وباعانتها المعنوية والمادية تحررت بعض الأقطار الاسلامية من ظلم الاستعمار ، فكانت ماوى كل ثائر وموئل كل لاجىء ومستغيث كل مظلوم ، ومدافعة عن كل مغبون ، فتعرضت للخطر مرار وتكرارا من أجل تبنى النهضة والدفاع عن المسلمين ، وبالتالى فلها أيادى بيضاء على النهضة الحديثة المباركة ، ولما رأى الدعاة الربانيون صولة الأجانب على الأمة المحمدية ، فسدوا عليها منافذ الحياة وأفسدوا عليها معانى الرجولة ، ونزعوا منها المثل العليا التى هى مناط الطموح ، فأصبح معظمها يعيش بلا حياة حقيقية وبدون أمل .

قاموا لاستنهاض همم هذه الأمة ، ليحركوا ما كان ساكنا منها ، فناشدوا ضمائرها لتنبعث عقلية مشبعة بالروح الاسلامى في نفوس الأفراد والجماعات ولتبرز الحياة من داخل النفس ، فتحافظ على الكيان الاجتماعى من القلق الدائم ، واضطرابات النفوس المستمرة ونبذ الخصومات والمنازعات من بين المسلمين ، والعدواة المستحكمة الحلقات بينهم ، واحلال محلها الأخوة والوئام ، والاتحاد والانسجام ليقضى على التفرق ونزعات الطوائف ، وعلى مأنجم من الثقافات الأجنبية والحضارة الدخيلة المتعاقبة على أوطان المسلمين ، والمبادى الهدامة التى غرسها الاستعمار في الأمة أيام الاحتلال ، لأن المسلمين عاشوا قرونا كثيرة وهم بعيدون عن تعاليم الاسلام وان كانو متشبثين به دائما رغم أنف الاستعمار .

وهؤلاء الدعاة يعلمون علم اليقين أن المسلمين اذا تمسكوا بالاسلام يكونون أقوياء ما في ذلك شك ولا ريب ، وقادرين على البناء والتشييد في جميع مجال الحياة ، أيام كان المسلمون متمسكين به كان لهم مجد يعنو لجلاله وعظمته كل مجدو قادة وأبطال فتحوا العالم غربا وشرقا ، وأعلام نبغوا في كل علم وفن ، فكانوا هداة العالم ، وكوكب عليائه ، وان أقدس تراث للمسلمين هو الدين الحنيف الذى بين طريق السعادة ، وعلم الأخلاق الفاضلة ، فعليه قام المسلمون وبه فازوا على جميع الأمم ، وعليه شايعتهم وعلى كلمته تابعتهم .

هذه النهضة التى وقعت في القرن الرابع عشر الهجرى حصلت على أيدى نخبة من علماء المسلمين ، تبلورت في حركة اصلاحية شاملة مناهضة لسياسة الاستعمار ومحركة لجمود المجتمعات الاسلامية وركودها ، هذه الحركة كانت هى السبب في تحرير المسلمين من نير الاستعباد .

كان جمال الدين الأفغانى ـ طيب الله ثراه ـ أنبغ عقلية ، وأقوى شخصية في العالم الاسلامى ، وأثبت من غيره من نوابغ الشرق على مواجهة طغيان حضارة الغرب والفلسفة المادية الالحادية التى بدأت تغزو المسلمين حينئذاك فأهاب بالمسلمين الى التمسك بالدين الحنيف لينقذوا أنفسهم من التيارات الغربية

التى تجتادهم ومن سلطان المادة الطاغية ، وله دور كبير في رفع الدين والتمسك بأوامره في نفوس المسلمين ، وكان رضى الله عنه يعتمد على القرآن في توجيه المسلمين مع بقية الأعلام الآخرين الذين أصبح حبهم والانتصار لهم شعار المثقفين الأحرار .

أراد هؤلاء الأعلام أن يصلوا حاضر هذه الأمة بماضيها المجيد الذى وضع المتكبرين الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ورفع المحرومين المضطهدين من الحضيض حتى يصبحوا سادة بعد ما كانوا عبيدا والله سبحانه وتعالى قد حقق عزمهم وسعيهم وجهادهم باستقلال هذه الشعوب وطرد المعمر منها .

قال الشيخ البشير الابراهيمى في هؤلاء الدعاة : (أسسوا هذه النهضة المباركة على صخرة الحق ، وقادوا زحوفها الى الغايات العليا فربوا الأجيال على هداية القرآن والهدى المحمدى وعلى التفكير الصحيح وأحيوا دوارس العلم بدروسهم الحية وغرسوا بذور الوطنية فأحيوا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير ، وحالفها الخنوع والذل ردحا من الزمن ، ولسانا عربيا فصيحا أفسدته الرطانات الأجنبية وتاريخا عف الزمن عليه ومجدا أضاعه الأحفاد) .

قام العلماء الربانيون : وهم روح الأمة وقواد الملة المحمدية ينبهون المسلمين على ما أوجبه الله عليهم فأيقضوا النائمة قلوبهم عما فرض عليهم الدين ، فعلموا الجاهل وأزعجوا الجامد ، ذكروا الجميع بما أنعم الله على آبائهم ، واستلفتوهم الى ما أعد الله لهم ـ ولو استقاموا ـ وحذروهم سوء العاقبة ، ان لم يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كانوا عليه أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فأزالوا اليأس بتذكير وعد الله ، وكان وعده حقا : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا)(1) ، وكانوا يعلنون للجميع بقولهم : (ان للعقائد الراسخة آثارا تظهر في العزائم والأعمال ، وتأثيرا في الأفكار والارادات لا يمكن للمعتقدين أن

(1) سورة النور

يزيحوها عن أنفسهم ماداموا معتقدين هذا الايمان في جميع شؤونه وأطواره) .

الايمان بالله له خواص لا تفارقه ، ونزعات لا تزايله ، وصفات جليلة لا تنفك عنه وأخلاق عادلة سامية لا تباينه ، وكانوا يلقنون الجماهير سيرة سلفهم الصالح ليقتدوا بها فيقولون (صبر المسلمون الأولون في نار الامتحان والابتلاء حتى ظهر ايمانهم ذهبا ابريزا خالصا من كل غش ، وأعد الله لهم جزاء على صبرهم نعيما مقيما ، ما أصعب ابتلاء الله ! ، وما أشد فتنته ! ، وما أدق حكمته في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ، ان ابتلاء الله هو تحمل الصعوبات ، وبذل الأموال والأرواح ، كل خطر فهو تهلكة يتبغى البعد عنه الا في الايمان ، فكل تهلكه فيه فهى نجاة ، وكل موت في المحامات عنه فهو بقاء ، وكل واجب في أداء حقوق الايمان فهو سعادة أبدية .

ان الفرار من محنة الله مجلبة للخزى الأبدى ، ان الفرار من صدمة جيش الضلال وان بلغت أقصى ما يتصور موجب للشقاء السرمدى ، لا سعادة الا بالدين ودون حفظه تتطاير الأعناق) .

سقنا هذه الكلام النفيس من العروة الوثقى ، اعتمد هؤلاء الأعلام في تحريك الجماهير وانهاض عزائمهم على الدين الحنيف ، فكانوا يخاطبون الأمة بالتمسك به ، والالتفات حوله ، وأن تعتصم بحبله المتين ، ففيه الشفاء العاجل لأمراضها الاجتماعية وعللها المزمنة الفاسدة ، ولا شيء ينقذها من هذه الحالة التعساء ، والهوة السحيقة التى سقطت فيها الا الاسلام ، فهو وحده يوحد بين أجزائها وطوائفها ، ويكون فيها التعاون الصادق لتنهض من كبوتها وتخرج من غفلتها وجمودها ، وتتناسى الأضغان والأحقاد حتى ترمى عن كاهلها مخلفات القرون المظلمة قبل أن تتحطم وتنقرض من الوجود لا قدر الله . تابع هؤلاء الدعاة الربانيون دعوتهم بقولهم (الأمة الاسمية لا يسوغ لها أن ترضخ للذل والعبودية ، وترضى بالاهانة والظلم ، وتتقاعس عن اعلان شأنها وبناء مجدها واسترجاع سيادتها ، ولها ملك عظيم على وجه الأرض ، ورحمة الله مفتحة لها وما عليها سوى أن تلجها ، وروح الله نافحة لها فما عليها الا أن تستنشقها ، والفرص

المواتية لها دائما تمد اليها يدها تتطلب انهاضها فأى موجب لليأس ؟ ولماذا هذا القنوط ؟ وبين أيديها كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين ، وهى من بقية الرجال ، وخلف الأبطال معاذ الله ــ أن ينقطع أمل الزمان فيها ، والاسلام متمكن من قلوبها ، وسلطان القرآن متحكم فيها ، فمن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب بسهم من مقته فهو ممقوت) راجت هذه الدعوة المباركة في أوساط العالم الاسلامى فأستيقظ على صيحاتها الداوية من غفلته وسباته ، فكانوا يتلقون هذا الكـلام الربانى بكل شوق ولهفـة ، يرهفون أسماعهم اليـه ويتدارسونه فيما بينهم حتى وعته القلوب ، وصادف من النفوس هوى ، فأستجاب الناس الى صوت الحق الداعى الى الجهاد في سبيل الله فرجـع الناس الى الديـن الحـقيقى ، ونبذوا عنهم الديـن التقليدى الخرافي فصاروا يمتثلون لأوامره القيمة ، وأقبلوا على تأسيـس المدارس الحـرة لتعليم أبنائهم اللغة العربية والديـن لأنهما متلازمان ، وهما الرابطان بين المسلمين ، وموحدانهم ــ في جميع أهدافهم وغاياتهم والمحافظان على تراثهم المجيد وتاريخهم الجليل .

أنشئت في أنحاء الأقطار الاسلامية جرائد ومجلات تدعو الناس الى الاسلام والعمل به والاعتصام بحبله المتين ، فكانت تنشر تعاليم الدين ، وترشد وتوجه وتعظ ، وتنشر المحاضرات العلمية المتنوعة في شتى الميادين ، والبحوث التاريخية ودروس التفسير وشرح الأحاديث النبويـة وبيان الحـكمة واستخـراج الأحكام منها على صفحات المجلات ليطلع المسلمون على ما كان لهم من كنوز قيمة .

وأعلنت الجمعيات الاسلامية التى تأسست في أنحاء الوطن حربا شعواء على الجمود والتخلف والانحطاط الخلقى والمادى والخرفات التى ألصقت بالدين زورا وبهتانا حتى حجبت الدين الصحيح عن الأمة بواسطة الجرائد الحرة ، وكانت منبرا لصوت الحرية والمرآة التى تنعكس عليها أعمال المجتمع .

ولما فطن المسلمون الى حالتهم التى هم فيها فوجدوا أنفسهم مجردين من جميع الحريات وأنهم يتخبطون في ذل كبير وظلم

عظيم يقاسون منه جميع الولايلات ، فتكون منهم زعماء وطنيون قادرين على مجابهة الاستعمار ومنازاته في كل ميدان ، فبدأوا يغرسون المبادىء الوطنية الصحيحة في نفوس الجماهير ، فكان تعاون صادق مع جميع الهيئات والأحزاب الوطنية .

فبهذه الدعوة الربانية ، والأحزاب السياسية التى كانت سببا في وحدة الأمة ويقظتها ، وبهذا الاحساس والشعور بالمسؤولية أصبحت تتجاوب مع بعضها بعضا وتتقارب فيما بينها شيئا فشيئا حتى صارت تتألم بألم واحد ، وتحس بشعور واحد ، والاستعمار لا يخشى من أية قوة كانت الا من قوة الدين هى التى وحدها تهدد وجوده في هذه الأوطان .

امتلاءت نفوس المصلحين والشباب بشعور ديني فياض ، وحماس متقد ، فبعث فيهم الحمية والأنفة والغيرة على ما أصاب أمتهم من المهانة والمذلة فعزموا على بعثها من جديد لتتبوأ مكانتها الائقة بها بين الأمم ، وآلوا على أنفسهم أن ينقذوها مما تردت فيه ، ولوطارت نفوسهم في سبيلها شعاعا ، واعتمدوا في الوصول الى أهدافهم على العقيدة الاسلامية التى لا زالت تجيش بها هذه الشعوب ، والمواهب الكامنة فيها .

عزم المسلمون على أخذ حقهم الطبيعى والشرعى مهما كان الثمن ، فأخذوا يجدون في الروابط والتضامن ، لأن الحياة ليست في السياسة وحدها ، ولا في الكلام والحماس الخاليين من كل معنى ، بل في التكاتف وربط العلائق فيما بين الأمة على أساس المحبة الخالصة والثقة المتبادلة ظهرت الروابط بين المسلمين في هذه النهضة سليمة لم تتأثر بملابسات الحوادث والزمن ، كانت هذه الشعوب تدرك الهوة العميقة والمهالك الشديدة التى بينها وبين تحقيق أمالها ، والعوارض التى تعترض سبيلها في الوصول الى أهدافها ، فتسلحت بالصبر والشجاعة والثبات ، وكانت شاعرة بالتضحية الجسيمة ، والجهد الكبير الذى تبذله الا أنها واثقة من النصر الذى ستحرز عليه في نهاية المطاف .

ولما فشلت جميع المحاولات في التفاهم مع الاستعمار صممت الشعوب الاسلامية على الجهاد في سبيل تحرير أوطانها ، والمسلم

اذا أخلصت نيته لله ووحد النظام فانه صعب المراس شديد الوطء لا ينام على ضيم ، ولا يستكين للذل ، بل يسعى جاهدا لينال الشهادة في سبيل الله ، ولا يخشى العدو ، بل يخاف الله على ماصدر منه من التقصير في حقه ، طموح للمعالى شريف النفس محب للحرية يبذل في سبيلها كل ما يملك .

عزمت الشعوب الاسلامية على أن تجعل حدا لطغيان المعمر وسيطرته ونبذت الخضوع والخنوع ، ورفضت كل رأى سقيم لا ينفع ، أو فكر لا يفيد .

تقدمت الطليعة الواعية من الأمة الى ميادين الكفاح في خطة محكمة من النظام وأعلنتها ثورة دامية عارمة على الظلم والاستبداد والطغيان والجبروت ، وهاهى الهزات تجتاح أوطان المسلمين الواحدة تلو الأخرى ، فما تكاد تهدأ في وطن الا وتشتعل في وطن آخر حتى تحرر المسلمون .

مضى المسلمون في هذه الثورة المباركة ينشدون تطهير بلادهم من الاستعمار النجس عن طريق الكفاح المسلح ، وكانوا لا يملكون الحرية ، ولا الوسائل التى تتكافأ مع حيويتهم غير أنهم استعملوا في هذه الحرب أساليب المقاومة المنظمة التى لا يستطيع العدو أن يقضى عليها ، فأخذوا يحطمون معالم الاستعمار ومنشآته العمرانية التى شادها في هذه البلاد ، وأساطين الاستعمار والغلاة منهم ، وكل من التف حولهم من الخونة تحطيما تاما باذلين في ذلك الدماء الزكية والأرواح الطاهرة والمهج في سبيل تحرير بلادهم من الاستبداد والسيطرة ، فكانوا كالعناصر الطبيعية ينفجرون في كل مكان ، والآيات القرآنية التى كان يرتلها الخطباء عليهم تتنزل على قلوب المجاهدين بردا وسلاما ، والاستشهاد كان يحدوهم في سبيل الله وشعارهم (الله أكبر) .

تخلص معظم العالم الاسلامى من حكم الاستعمار ، وقذف به وراء البحار ، وجاءت ثورة الجزائر الكبرى ، فكانت في زحفها الشديد تحرق وتخرب صروح الظلم ، ولا تبالى بما أمامها من قوة وجند يعد بمآت الآلاف ، ولا بالأسلحة العصرية المتطورة

المختلفة الأنواع والأحجام والأشكال ، فكل هذا لم يستطيع أن يوقف زحف الثورة نحو غاياتها وأهدافها المرسومة لها ، فشقت طريقها من بين قوة الظلم والاستبداد حتى وصلت الى النصر فتحررت هذه الشعوب وأصبحت حرة طليقة .

***

تقلص ظل الاستعمار الثقيل من بلدان المسلمين

استمرت ثورة العالم الاسلامي المباركة في زحفها الشديد أمدا طويلا ، وسرى ، ليهيبها في الشرق والغرب ، وشاركت فيها جميع طبقات الشعب ، فبرهنت للاستعمار على انه ليس عضوا من جسم ، وليس هو كما يزعم ميكز الدائرة بل هو كغيره نقطة من محيطها ، ويفضل اتحاد المسلمين والتفافهم حول الدين الحنيف أكسبهم النصر المبين .

هذا الاستقلال الذى أحرز عليه المسلمون في هذه النهضة المباركة ما هو الا ثمرة من ثمرة جهادهم المتواصل ، ونتيجة أعمالهم المخلصة ، وهذا هو الفرق الهائل بين الماضى القريب واليوم ، وبين الاتحاد والفرقة ، والنظام والفوضى .

هذه الثورة ثورة القرن الرابع عشر الهجرى جعلت حدا لسيطرة الاستعمار على المسلمين وأبرزتهم للوجود على شجيتهم الأصيلة كما كان أجدادهم الميامين في الماضى ، فبرزت العقيدة الاسلامية قوية مؤثرة لا كما كان يظن الاستعمار وبطانته من ملاحدة المسلمين أنها تلاشت وذهبت ولم يعدلها مفعول ولا تأثير .

ضرب الشباب المسلم وفي مقدمته الشباب الجزائرى أروع الأمثلة النادرة في البطولة والثبات ، وفي التضحية والفداء مما أدهش الخصوم والأصدقاء على السواء .

لولا الدين لما حالف هذه الشعوب النجاح ، لأنها كانت تحارب بدون حكومة ولا قيادة قارة ، ولا نظام ثابت ، ومع هذا ظلت واقفة في وجه الغزاة المتكالبين عليها من كل ناحية ، لاريب أن الاسلام هو القوة الربانية الباقية في هذا الكوكب ، وهو خلاصة الأديان السماوية ، والمؤمنون به هم الذين يكتب لهم الخلود والنصر ، لأنهم حاملوا رسالة السماء والمبلغون عن الله ، هم الأمناء على هذا الوجود ، لأن تعاليم الأنبياء لم تخرج من

أيديهم ، ولهذا جعلهم الله شهداء على الناس قال تعالى : (وكذلك جعلنكم أمــة وسطا لتكونوا شهــداء على الناس ويكون الرســول عليكم شهيدا)(1) ، والله لن يتخلى عنهم أبدا لأنهم أكرم عباده في هذه الأرض ، ولن يتركهم وحدهم لهذا الضريم المتأجج والبغى السافر والالحاد الكافر .

ظهرت روابط الدين بين المسلمين في هذه النهضة المباركة قوية ومتينة ، كما كانت أيام عزها وجدها ، لم تتأثر بملابسة الحوادث والزمن ، وأواصر الأخوة التى شادها الأسلام وقررها القرآن ، ودعمها نبى الاسلام ، كانت محكمة الحلقات لم تستطيع يد الشيطان أن تفرقها لأن يد الله جمعتها (وما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان) والاستعمار عجز عن حلها وفصمها .

انتصرت الشعوب الاسلامية ـ في هذه النهضة ـ على أعدائها بعد ما ثارت ثورات كثيرة ولم يحالفها النصر فيها ، ولو لا هذه الثورة الأخيرة لانسلخت عن الاسلام ولكنها برهنت على أنها لا زالت متمسكة به ، ومسيطرة على نفسها ، ومهيمنة على احساسها وشعورهــا ، ولهذا لــم ينجح الاستعمار في هذا الاحتلال ولــم يستطيع أن يكسب عطف المسلمين ولا نال رضاهم ، بل ظللوا رغم احتلال بلدانهم ورغم الحكم الجائر والقوانين الاستثنائية ، والمكائد المبية متشبثين بالاسلام ، وحسب المسلمين من هذه النهضة أنهم قضوا على مــا غرسه الاستعمار فيهم من الخــوف والجمود ، ونزعوا ما بذره فيهم من بذور الاختلاف والشقاق ، والتخاذل فحطموا القيود والأغلال التى قيدهم بها طيلة القرون الماضية ورموا عن كواهلهم مخلفات القرون المظلمة التى كانت تتحكم فيهم ، وتثبط في عزائمهم ، ونفضوا عن كواهلهم غبار الذل الذى غشيهم في هذه العصور المتأخرة حتى ظن الغربيون أن هذه الشعوب لم تعد تتأثر بالاسلام كما كان أسلافهم في الماضى .

أصبحت هذه الشعوب تدير شؤنها بنفسها وتوجه سياستها كما تريد ، وهى سائرة بخطوات ثابتة في سبيل عزها ومجدها ، وبناء مستقبلها ، واحتلت مكانتها المرموقة من بين دول العالم ،

---

(1) سورة الحج

فاصبحت مركز الثقل في المجتمع الدولى ، عزيزة الجانب يخطب ودها الدول الكبرى ، وتنظر اليها بعين الاعتبار والاجلال .

أصبحت متحررة من كل قيد الا قيد التقليد الأعمى للغرب الذى أصبح فاشيا ، وطاغيا على الشبيبة والقادة ، وهو ما غرسه الاستعمارفيهم من ثقافة بتراء،وأخلاق فاسدة ولهذا لم يكونواعلى جانب كبير من الوعى الاسلامى .

وصل المسلمون الى هذه المكانة يوم بدأوا يرجعون الى الاسلام ويعملون متحدين ومتساندين ، فبهذا السلوك المحمود تحققت النهضة الأخيرة التى شقت طريقها الى الأمام ، ولا تزال ان شاء الله سائرة ـ الى أن تتحقق الدولة الكبرى ألا وهى الخلافة الشرعية التى هى حلم كل مسلم فعندئذ تؤدى هذه الأمة ـ رسالتها التى اختصت بها الى جميع الناس ، فتعيد الحرية والمساواة والعدل والحق من جديد بين الأمم التى تتخبط في الفساد الذى عم العالم أجمع .



لا يـزال المسلمـون متدهوريـن رغـم الحـوادث التى المت بهـم

لا زال التدهور ملازما للمسلمين حتى من بعد الاستقلال ، لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية من أقطار العالم الاسلامى غير أنه ترك سمومه تفتك بالمسلمين من بعده فتكا شنيعا ولما تم النصر لهذه الأوطان ، وخرج الأوربيون مطرودين . حمد المسلمون الله على هـذه النعمة الكبرى والمنة العظمى ، وأصبحوا متشوقين ومتطلعين الى الحكم الذى يعيد اليهم شخصيتهم الفذة ، وقوانين الاسلام العادلة التى طالما ناضل المسلمون من أجلها في القديم والحديث ، وبذلوا كل جهد في سبيل اعادتها الى الحياة فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر وكامل الاشتاق متى يعلن دستور البلاد الذى ينبع من صميم العقيدة الاسلامية .

ولكن ويا للأسف ! ، ما كاد المسلمون يذوقون طعم الاستقلال والحرية ، حتى برزت الأمراض الاجتماعية الفتاكة والتيارات الالحادية ، والتفكك الخلقى ، والاباحة الماجنة التى كانت سببا في سقوطهـم في الماضى ، فبدأت تعمـل عملها مـن بعد الاستقـلال ـ بصفة طاغية عاتية تهدد باستئصال الاسلام ، وكل ما للبلاد من قيم روحية ، وأخلاق شريفة ، وعوائد وطباع نقية فاضلة ، فكادت المخلفات الإستعمارية تقضى على مقومتهم الأساسية وعلى شخصيتهم الأصيلة .

بدأت المجتمعات الاسلامية ـ من بعد الاستقلال ـ تمارس شؤون حياتها على نظام أجنبى بحت غير ملتفتة لنظام الاسلام الذى هو عنصر أصيل في حياتها والذى حافظ على شخصيتها عبر القرون والأجيال ، وكان سببا في انتصارها على أعدائها مهما كانوا وفي أى زمن كانوا .

جاء هذا الانحراف الشنيع عن الدين من الثقافة الغربية التى تشبع بأفكارها قادة المسلمين الحاليين ولذا فهم يطبقون قوانين أوربا وعوائدها على المجتمعات الاسلامية وكل من يدعو الى الاسلام يتهمونه بالرجعية والجمود والتخلف .

ان هؤلاء المثقفين بثقافة الغرب لمخطئون في نظريتهم هذه ، وأنهم يجهلون الاسلام رغم انتسابهم اليه ، ولم يعتبروا بالماضي الماثل في الأذهان ولم يدروا أن هذه العوامل تهدم الاسلام ولا تبنى ، وترمى المقومات الاسلامية والخصائص العربية بفاقرة تقسم الظهر . الواجب على قادة المسلمين أن يحافظوا على التراث الاسلامى والتعليم الدينى الذى هو وسيلة الى التثقيف ، والتثقيف أشرف مقاصد الأمة الرشيدة ، والحكومة الرشيدة فانها تلمس المعرفة على تثقيف شعوبها من كل من تستطيعه من جماعات وأفراد ، وتبذل لهم من التنشيط والتسيير ما يحقق ذلك .

فقد كان قبل الاستعمار وفي ابانه ملاجئى دينيه يهجر المسلمون اليها في طلب العلم النافع والعمل الصالح يتجشمون الأسفار والأخطار لتزكية النفس ، وتهذيب الخلق ، والتوصل الى معالم الرشد ، والاستعداد للآخرة ، فترى في كل قطر اسلامى ملاجئى روحية ياوى اليها أهل الطلب من سائر الآفاق مثلا كالزويا في بلادنا ومعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى أسسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والجامع الأخضر كان الطلبة يأتون اليه من أنحاء الوطن ، وكالزيتونه في تونس ، والقروين في المغرب والجامع الأزهر في مصر ، فيتخط الناس الدنيا ومناصبها العالية ، ويلجئون الى المحيطات الهادية الروحية ، وينكبون على اصلاح بواطنهم وسل حظ الشيطان منها حتى ترى رقة في القلوب وانقيادا للحق وخضوعا للشرع فيأتون من كل صقع ليدخلوا في الخير أفواجا .

كان الناس يدعون الى الدين واصلاح النفوس وتزكيتها وهم تذكار لسلفهم الصالح في زهدهم في الدنيا ، والاقبال عن الآخرة ، والاخلاص واتباع السنة .

والمسلمون يعدون الاتصال بهؤلاء والتمسك بأدابهم حقا من حقوق الدين وواجبا من واجباته وكان بعض الأغنياء والأمراء وأرباب الدنيا لهم اهتمام زائد بحسن الخاتمة وأمور الآخرة ، واصلاح القلب وعمارة الباطن ، فاصبح صلاح الدنيا الذى يترتب عليه صلاح الآخرة أشبه شيء بالتهاب السراج قبل الانطفاء ، فقد ذوى أصل الشجرة الدينية ، وانقطعت عنها مادة

الحياة وهب عليها اعصار شديد فيه نار محرقة . سرى الشك وسوء الظن في الأوساط الاسلامية ، والبيوت العريقة في الدين والعلم ، ففضلوا تعاليم الغرب على تعاليم القرآن ، لأن الايمان بالله وبصفاته وبمواعيده قد ضعف من القلوب ، فأصبح الأباء يضنون بأولادهم على الدين ولا يخاطرون بأوقاتهم في سبيل الدين وعلوم الدين ، وأصبحوا يعلمونهم العلوم المعاشية واللغات الافرنجية لا رغبة في تحصيل المنافع ولا دفاعا عن الاسلام ، بل زهدا في الدين ، وفرارا من خطر المستقبل ، وخوفا على أفلاذ أكبادهم من الضياع ، واستسلاما للدهر المتقلب ، وتسلط عليهم خوف الفقر ، وهكذا انقرضت المعاهد الدينية ، ولفظ هذا المعهد الروحى أنفاسه الآخيرة وأتى عهد المادة ، وأصبحت الدنيا سوقا ليس فيها الا البيع والشراء ، روى أن شاعرة جاهلية هى : كبشة بنت معديكرب عاتبت أخاها عمرو بن معديكرب وعيرته بميله الى قبول دية أخيه المقتول فقالت :

ودع عنك عمرا ، ان عمرا مسالم ★ وهل بطن عمرو شبر لمطعم

تصورت هذه المرأة الجاهلية أن بطن الانسان لا يتجاوز شبرا ، فكيف لورأت معدة انسان قرن العشرين تضخمت وكبرت حتى وسعت الأرض ، وتجاوزت فأصبحت لا يملؤها الا التراب .

نعم تضخم الحرص على الدنيا ، وتولد في الناس غليل لا يروى ، أوار لا يشفي ،تسلط على الناس الحرص والجشع،وأصبح الانسان نهما يلتهم الدنيا التهاما ، والسبب في ذلك أنه لا يؤمن بالآخرة وكل انسان متمدن اليوم ـ الا من عصمه الله بالايمان ـ يرى هذا الرأى ، ويذهب هذا المذهب في الحياة ، وكانت الرابطة بين الصغير والكبير في المجتمع الاسلامى مؤسسة على تعاليم الشرع (من لا يرحم الصغير ويوقر الكبير فليس منا) حديث شريف ، ومن الغريب أن المسلمين قد أصبحوا في هذا الزمن في كثير من نواحى الأرض حتى في مراكز الاسلام وعواصمه حلفاء للجاهلية الأوربية وجنودا متطوعين لها ، بل صار بعض الشعوب والدول الاسلامية يرى في الأوربيين ناصرين للمسلمين حامين لذمام الاسلام المستضعف حاملين لراية العدل في العالم قوامين بالقسط .

ورضي عامة المسلمين بأن يكونوا ساقة عسكر الجاهلية بدل أن يكونوا قادة الجيش الاسلامي . ان هذه الأمة التي تدعى الاسلام غالبها قد افلس افلاسا شائنا في الدين والأخلاق وقد أشربت في قلبها حب المال وتسلط عليها سلطان الأثرة والجشع ، احتلت أوربا قلوب المسلمين وأصابهم انحطاط في الأخلاق والعقيدة ، كانت هي سبب انهيار الدول الاسلامية ، ولكن مع ذلك لم يزل المجتمع الاسلامي على علاتـه محتفظا ببعض المبادىء الخـلقية السامية والخصائص الاجتماعية الفاضلة التي لا يوجد لها مثيل في الأمم .

ورغم كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فانهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي تعد خصما للأمم الأوربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم ومزاحمتها في وضع العالم ، والتي يعزم عليها دينها أن تراقب ، سير العالم ، وتحاسب الأمم على أخلاقهـا وأعمالها ونزعتهـا ، وأن تقودهـا الى الفضيلـة والتقوى ، الى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوى ، والتي يحرم عليها دينها وتأبى فطرتها أن تتحول الى أمة جاهلية .

هذه الأمة ربما في يوم من الأيام تكون خطرا على النظام الأوربي الذي بسطه في الشرق والغرب لأن شرارة الكفاح والحياة والطموح لا زالت كامنة في رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافي جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لا يخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد انا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وأنها فتنت بالمال وشغفت بحبه وادخاره كغـيرها من الأمـم ، وأنا خبـير أن ليل الاسلام داج مكفهر وأن علماء الاسلام ليس لديهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ، ويضيء لها العالم ، ولكني أعلم — ان شاء الله — أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم حامية الذمار حارسة الذمم والاعراض دين الكرامة والشرف دين لأمانة والعفاف ، دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد يمحو كل أثر من أثر الانسان ، لا يفرق بين ملك

ومملوك ، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك لا ينهض العالم الاسلامى الا برسالتــه التى وكلها اليه مؤســسه صلى الله عليه وسلــم ، والايمان بها والاستقامة على سبيلها ، وهى رسالة قوية لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ، ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها .

وهى نفس الرسالة التى حملها المسلمون في فتوحاتهم الى العالم ، والتى لخصها أحد رسلهم في مجلس يزد جرد ملك ايران بقوله (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام) رسالة لا تحتاج الى تغير كلمة وزيادة حرف ، فرسالة العالم الاسلامى هى الدعوة الى الله ورسوله ، والايمان باليوم الآخر ، وجائزته الخروج من الظلمات الى النور ، ومن عبادة الناس الى عبادة الله وحده ولونهض العالم الاسلامى واختضن هذه الرسالة بكل اخلاص وحماس وعزيمة ودان بها فانها بدون شك ستنقذ العالم من الانهيار والانحلال ، فالاسلام هو قوة العالم العربى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم روح العالم العربى وامامه وقائده ، والايمان هو قومية العالم العربى التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس يقهر اعداءه ويحفظ كيانه ويؤدى رسالته ، ان العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية ، أو عدوا آخر بالمال ، وانما يحاربه بالايمان والقوة المعنوية ، وبالروح التى حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة ، يستطيع المسلمون اذا حكموا الاسلام فيما بينهم أن ينقذوا أنفسهم من التبعيات ويحولوا العالم من الشر الى الخير ، ومن النار والدمار الى الهدى والسلام ، لقد حول المسلمون في الماضى العالــم الكبيــر الى اعتناق العقيدة الاسلامية والايمــان العميق بها ، والصلة الروحية القوية ، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ ، انصهرت فيه الثقفات المختلفة ، فتكونت منها ثقافة واحــدة هى الثقافــة الاسلامية التى لــم تزل تظهر في نوابــغ المسلمين الذين لا يحصيهم عدد ، واستحق المسلمون قيادة العالم عن جدارة واستقاق ، فكانت أشرف قيادة وأعظمها في التاريخ ،

وقــد أكــرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعــوة الاسلامية وتفانوا في سبيلها .

وبقيت هذه القيادة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون في الثورة عليها وفي التخلص منها ، كما هى عادة الفاتحين مع الأمم المغلوبة على أمرها في كل عهد لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح ، أو المحكوم بالحاكم انما هى صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، فلا مجال للثورة ، ولا مجال لنكران الجميل هذه هى القيادة التى هيأتها البعثة المحمدية ، وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ويسعوا اليها بكل ما أوتوا من قوة ومواهب ، ويتواصى بها الأباء والأبناء ، ولا يجوز لهم في شريعة العقل والدين والغيرة ـ أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان .

ان الطريق الى هذه القيادة ممهد ميسور الى العرب ، وهى طريــق الاســلام والاخلاص الى الدعــوة الاسلامية واحتضانها والتفانى في سبيلها ، فبهذه القيادة تخضع لهم الأمم الاسلامية في أنحاء العالم ، وتدخل أمم جديدة في الاسلام أمم فتينة في مواهبها وقواهــا أمــم تستطيع أن تعارض أوربــا في مــدينتها وعلومها اذا أوجدت ايمانا جديدا أو دينا جديدا(1) .

---

(1) ابو الحسن الندوى

تقليد المسلمين للغرب هو الذى صدهم عن تعاليم الاسلام السمحاء

بعد ما خرج الاستعمار من أوطان المسلمين بدأت الشعوب العربية تنفر من كل ما ينتمى الى الاسلام من عقيدة متينة وأخلاق فاضلة وعوائد حسنة التى هى مادتهم الوحيدة قبل الاحتلال ، وحفظت لهم كيانهم من الانهيار كأمة ذات حضارة عريقة وسيادة في الماضى في وقت الاحتلال ، وارتموا من أول وهلة من — بعد الاستقلال — في أحضان الغرب ، لالشيء الا أنه متقدم في العلوم والتكنولوجية ، وهم متخلفون ، ولكن ما شأن التعكر للاخلاق والقيم الروحية ، والاباحة المطلقة ، وعدم التقيد بأوامر الاسلام ، والتحلل من جميع نواهيه ، كأن المسلمين لم يكن لهم شرع عادل ، ولا أفكار نيرة ، ولا سيادة في الماضي كانت مضرب الأمثال ، ولا عقيدة راسخة هيمنت على الشرق والغرب ، ولا مناهج في الحياة مستقيمة ، ولا تاريخ حافل بجلائل الأعمال .

لكن الموجهين لهذه الشعوب أكثرهم لا علاقة لهم بالدين ، ولا تجاوب بينهم وبين تعاليمه ، ولذا تركوا الناشئة لقمة سائغة لبعض المغرضين الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه .

وها نحن نشاهد الحكومات الاسلامية تجلب القوانين الوضعية من الدول الكافرة والملحدة وتطبقها على المسلمين ، وتركت القوانين الاسلامية العادلة وتستورد من هذه الدول التى لا تؤمن بدين العوائد الفاسدة والأخلاق الساقطة السافلة عن طريق الأفلام ، والجرائد والمجلات والكتب ، والتعليم ووسائل أخرى لتسمم الناشئة ، وتغرس فيها الرذائل لتصدها عن دين الله ، لا زال العالم الاسلامى في مد وجزر كما كان قبل سقوطه بين براثن الاستعمار رغم النهضة الأخيرة التى أصهرته بحوادثها المؤلمة ، وأخرجته منها ابريزا خالصا بعد ما تجرع مرارة السيطرة والحكم الأجنبى عدة قرون .

وها نحن نشاهد أن للعرب صورة واحدة من وقائع كثيرة من عصور الظلام والانحطاط التى سقطت فيها الأمة العربية من عليائها ، فتغلبت عليهم الأمراض الفتاكة التى تفتك بالمجتمعات كحب الرئاسة ، والأنانية الفردية الطاغية ، والاستبداد في الأراء والحكم وتقديم المصلحة الخاصة على غيرها يبدولى أن هذه الخصال المذمومة التى تهدم ولا تبنى ، وتفرق ولا تجمع أصبحت فاشية في الحكومات العربية ، ولا يقضى عليها الا الدين الحنيف ، ولكن هؤلاء الحكام لا يستجيبون له ، فهذه الأعراض عن الاسلام أصبحت تقليدا ثابتا في نفوس حكام المسلمين مع أنهم ينتسبون اليه ، ويدعون المقدرة على تطبيقه وتنفيذه .

بدأ الشباب المسلم ـ من بعد الاستقلال يتنكر للدين ، ويطعـن فيه جهارا وأصبح يشكك الناس في شخصيته الرسـول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه ويقول : ان التمسك بالاسلام رجعى ، والحفاظ على أحكامه وأخلاقه وآدابه تأخر وهمجية وأطلق هذا الشباب الملحد العنان لشهواته الجامحة التى لا تعرف الحدود ولا القيود ، فأباح جميع المحرمات التى تغرى النفوس ، وتقذف في الأفواه ، وصار لا غيرة له على محارمه يفعل كما تفعل المجتمعات الاباحية ، وتحلل من كل ما يأمر به الدين الحنيف ، وصار يسبح في المتناقضات ، ويخبط في متاهات لا أدارى أين يسير ؟ أيسيهر الى الشرق أم الى الغرب ؟ الا أنه لا يسير الى الاسلام ، وهذه التناقضات جاءته من مخلفات الاستعمار التى تركها من ورائه ، وأصبح يغذى فيها من وراء البحار بواسطة الاذاعات والجرائد والمجلات والكتب ، الاستعمار لا يعتمد على الغزو العسكرى فحسب ، بل يعتمد على وسائل أخرى هى أعظم وأشد خطرا من القوات العسكرية كالاقتصاد والثقافة ، واثارة الفتن وبث الشكوك في المعتقدات ، ولكن المسلمين وولاة الأمور تركوا هذه الأمراض المزمنة تفتك بالناس فتكا شنيعا ، ولم يعالجـوها بقوانـين الاسلام التى فيها الشفاء العاجل من بعد الاستقلال ، بل عالجـوها بقوانـين الاستعمار نفسه ، ولهـذا نشجعت الشبيبة على التمرد على الدين واعتنقت الكفر والالحاد ،

وأصبحت لا تتميز عن المجتمعات الالحادية في الرذائل والأخلاق السافلة .

والحكومات الاسلامية هي التى تتحمل مسؤولية هذا الفساد الذى كاد يقضى على ما كان للمسلمين من مقومات وأخلاق وآداب .

ترك الشباب الذى ينتمى الى الاسلام الدين الحنيف ، وبدأوا يسمون علما ويهبطون روحيا وأخلاقيا ، قد قطعوا الصلة بينهم وبين الله ، وبينهم وبين الايمان به عز وجل ، وما دامت هذه المقاطعة للدين سارية المفعول فليس لهذا الشباب من اصلاح ، لأنه أصبح آلة فساد وتحطيم ، فيحطم كل ما شاده المجاهدون الأبرار بعزائمهم لأنه يعيش في فوضى جاهلية جهلاء (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(1) .

ومن المدهش حقا أن الجامعات الاسلامية لا تدرس الاقتصاد الاسلامى فيها ، والمسلمون لا يعترفون بقدرته على حل مشاكل الناس ورعايته الشؤون الاجتماعية .

الاقتصاد الاسلامى لا صلة له بالحركة السياسية ، بل هو في مصلحة الجميع فيضمن القضاء على الرباء وعلى الفوضى التى تنتهى بالناس الى الحرب ، وهذا ما يقوله عز وجل : (يأيها الدين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرباء ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تيتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)(2) .

الحرب القائمة اليوم بين الدول الكبرى هى التى تهدد الناس بالهلاك والدمار نتيجة النظام الربوى .

فالاقتصاد العالمى هو الذى يسير سياسة الحكم ، ويحرك الجماهير ويأتى بالحرب .

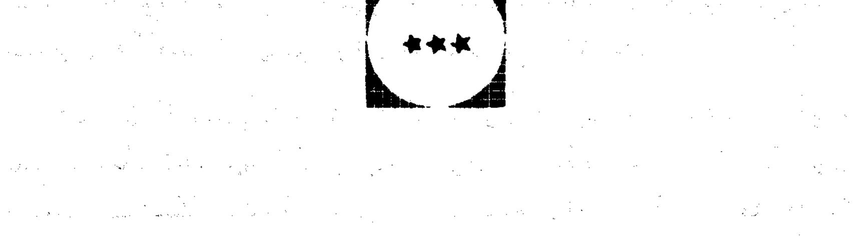
أما نظام الاسلام في الاقتصاد فهو خالق السلام بين النظم الاقتصادية العالمية الرأسمالية والشيوعية .

---

(1) سورة الانعام

(2) سورة البقرة

كيف يتحد المسلمون وعلى من يتحدون ؟ أيتحدون على المبادى الرأسمالية أم على المبادى الشيوعية ؟ أم على الاسلام ؟ فالمسلمون لا يتحاكمون الى الاسلام وان كانوا معترفين به كدين رسمى للدولة .



هــل يجعل المسلمون حــدا لهذه التدهــورات الخطــيرة أم تستمــر الى مــالا نهايــة لهــا ؟

بحث العقلاء والمفكرون من هذه الأمة قديما وحديثا في هذه التدهورات الخطيرة المستمرة ، فلم يجدوا لها علاجا ناجعا الا بالرجوع الى الاسلام وترك الجرى وراء القوانين المستوردة من الخارج ، والكف عن تطبيقها والتشبث بها ، الاسلام هو الذى يحقق لهذه الأمة ما تصبو اليه من آمال وحرية وسيادة هذا هو الحل الوحيد اذا أراد المسلمون .

لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية من بلدان المسلمين ، وذلك بفضل الله ثم بفضل الاتحاد والكفاح المسلح الذى خاضه العالم الاسلامى حتى أخرجه منها لكنه ترك من ورائه مخلفاته ، تعيث في هذه الأوطان فسادا ...

كان من الواجب على الشعوب الاسلامية أن تطبق أحكام الاسلام ــ من بعد الاستقلال ــ مباشرة لتحل محل قوانين الاستعمار الجائرة التى لا تمت بأى صلة الى طبيعة المسلمين ، بعد ما زال حكمه ، والاسلام هو مبدؤهم الأول والأخير ، وأنه يحمل أعدل القوانين وأسماها الى الانسانية جمعاء ، كما هو الواقع ، وكما يعتقده جميع المسلمين ، حتى المنصفون من علماء الغرب وغيرهم ، يتمنون لحكامهم أن يسوسوا رعاياهم على مقتضاه .

فبدون الاسلام لا يستطيع المسلمون أن يكونوا أمة قوية أبدا تصمد أمام أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر ، ولا يكونون وحدة متماسكة متينة تغمرها السعادة والكرامة ، وما فائدة الانتساب اليه بدون العمل به ؟

يجب على المسلمين أن يشرعوا في بناء الدولة الكبرى التى توفر لها من الامكانيات والصلاحيات في هذه الظروف ما لم يتوفر لها في غيرها ، فبهذا وحده فقط يقضون على التدهورات الخطيرة التى أصابت المسلمين في الماضى والحاضر ، وبهذا يكونون قد

اعتبروا بما وقع لهم على أيدى أعدائهم من الذل والاستعباد وبهذا أيضا يضمنون وجودهم كأمة لها رسالة سماوية أمرت بتبليغها الى الناس كافة .

لو سار المسلمون على نهج الكتاب الكريم ، وخطة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده لكانت دولتهم أثبت رسوخا وأضمن دواما ، وأكثر انتشارا واتساعا ، ولأكلت من فوقها[1]. ومن تحت أرجلها من أعدائها ... الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده هو دين ودولة ، وحكم وشريعة ، ومنهج ورسالة ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فقد برىء من الايمان ، ومزق الاسلام ، وحطم الشريعة الغراء تحطيما كاملا ، وعصى الله ورسوله ، وأطفأ نورا ربانيا .

ان الحكومة القائمة بأمر الله ، المنفذة لأحكامه وشرائعه ، الحاملة لرسالته ، المدافعة عن دينه ، والداعية الى طاعة الله وتقواه ، هى عنوان الاسلام وهى ظله في أرضه ، وبها يقيم الله الحجة على عباده ولا يرضى عن سواها ، ولا وزن لما جاء به من العبادات ، والعدل والاحسان ، اذا لم تقم هذه الحكومة بين المسلمين ، فالله سبحانه وتعالى لم يرسل رسوله الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم عبثا ، بل أرسله ليبلغ الناس دين الحق ، وبالنظام الشامل للحياة كلها حتى يكون الانسان جديرا بالاصطفاء ، والتفضيل على كثير من مخلوقاته ، لأنه نفخ فيه من روحه ، وجعله خليفة له ، وأسجد له ملائكته وسخر له الكون . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

لقد شهد المسلمون ـ في العصور المتأخرة ـ نهضات اسلامية على أيدى أناس مصلحين ولكنها لم تدم طويلا ، وفشلت جميع النهضات في العالم الاسلامى ولم تحقق الأهداف المنشودة منها ، لأنها لم تكن متماسكة ينقصها الشمول فاذا كانت هذه النهضة

---

(1) سورة النور

سياسية تهمل العبادات والأخلاق الفاضلة ولا تتمسك بالاسلام ، واذا كانت دينية تزهد في المادة ، وتهمل علوم الطبيعة التى تكون سببا في تقويتها وارتقائها . واذا كانت علمانية تحيل الاسلام الى فلسفة وجدل ، ومن بعد تحيل العقيدة الى شبهات .

الاسلام ليس تصوفا ولا عبادة ولا أحكاما فحسب أنه دين هذه الأشياء جميعا ، فلكم هدى ضالا ، والآن قلبا قاسيا ، وعلم جاهلا ، ونبه غافلا ، وأصلح فاسدا ، وجمع متفرقا ، ورأب متصدعا ، وأصلح مختلا ، ومحا ظلما ، وأقام عدلا ومكن للأمم التى اعتنقته نظاما امتازت به عن سواها ، فالدين كمال وزينة للشخص ، ونظام للملك ، وأظهر الله به النعمة على المسلمين في سلوكهم وأخلاقهم فلله الحمد .

الاسلام مهماز يحث المسلمين على جلائل الأعمال وفضائلها ، ومصباح لبصائرهـم يرشدهم الى طريـق الصواب ، وتقويـم لأفكارهم يعصمهم من الزيغ والزلل ، ورحمة يعطف بها قلوب بعضهم على بعض ، واحسان للبؤساء والمحرومين . ان الشعوب الاسلامية لم تفسد الا عند ما فسدت عقيدتها الدينية في النفوس وأهملت أحكامها القيمة .

الدين ليس قانونا مدينا فيه الضار والنافع ، وليس نتيجة لافكار البشر وأرائهم فيه الخطأ والصواب ، بل هو شريعة فرضها الله يوم فرض الايمان ليعمل بها عباده .

أفبعد هذا يعجب العاقل من حكم الاسلام وسيادته ؟ وآسفاه لقد حسر المسلمون الكثير من الدين ، ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوبا كما قال سيدنا على عليه السلام .

هذا ما أصاب المسلمين في عقولهم وأفكارهم وعزائمهم ، ففضلوا الشر على الخير والأدنى على الأعلى ، فسلط الله عليهم من يسلبهم نعمته التى أنعم الله بها عليهم ، لانهم لم يقوموا بشكرها ، وابتلاهم بأحقر الأمم وحثالة الناس يلصقون بدينهم كل عيب .

الاسلام يقرر أن السلطة العامة تكون بيدى الأمة ، فلا ميراث في الحكم كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يعين خليفة

من بعده أبدا ، ولا أخذ أحد الحكم بالقوة من خلفائه الراشدين ، كما هو الحال في المسلمين اليوم .

الاسلام يأمر بالشورى بين جماعة المسلمين ، ويعتبرها هى الحرية الحقيقية ، ولذا يوليها عناية كبرى قال تعالى : (وأمرهم شورى بينهم)(1) وقال لنبيه الكريم (وشاورهم في الأمر)(2) ، وهى قاعدة عامة في الاسلام يجب أن يطبقها المسلمون في جميع شؤونهم العامة ، وهى ضد الدكتاتورية المستبدة التى طوحت بالمسلمين قرونا عديدة،حتى أصبحت حجر عثرة في سيرهم،فبها يصل المسلمون الى حكمة الرأى وصوابه ، لأن الجماعة الملتزمة بالاسلام عندما تتشاور تكون في جانب الصواب ، وبهذا يتضح أن الصواب في جانب الرأى الجماعى ، وخاصة أهل الحل والعقد ، والخطأ كل الخطأ بجانب الرأى الفردى أيا كان موقعه وسلطته .

أما كيف تتحقق ؟ وما هى الوسيلة الى ذلك ؟ فهذا أمر تركه الاسلام الى جماعة المسلمين والى التطورات الزمانية .

الرئاسة العامة هى حق الأمة لها أن تعزل الحاكم اذا رأت فيه اعوجاجا أو خالف دستور الاسلام ، لأنها هى التى أوصلته الى السلطة ، وما هو الا وكيل عنها أو نائب عليها ، فهو يستمد سلطته منها ويعتمد على تقتها . يجب على الحاكم المسلم أن يضع نصب عينيه العقيدة الاسلامية ، فيحافظ عليها ، فان زاغ مبتدع ، أو ألحد فاسق ، أو سعى مغامرون بالفساد في الأرض أو طعن فيها ، أو عطل أحكامها وتشريعاتها يقوم القانون في الحال لحمايتها وصيانة النظام العام فيها ، ليكون الدين محروسا من التعدى عليه ومحترما في أعين الناس ، والأمة محفوظة من الزلل ، فبهذا تصان محارم الله من الانتهاك ، وتحفظ حقوق العباد من الضياع والتلف .

يجب على المسلمين أن يخرجوا من نطاق الكلمات الجوفاء والتصريحات الرعناء والعصبية الجاهلية ، والدعوات المرتجلة الى ساحة التنظيم والاعداد .

---

(1) سورة الشورى

(2) سورة آل عمران

يجب أن ترتكز نهضتهم الحالية على بعث عقلي يقوم باكتشاف الاسلام من جديد ليستضاءوا بمصدرية الكتاب والسنة ، وأن يشارك أرباب الثقافة وحملة الأقلام ، وذووا الفكر النير من أهل المعرفة والعلم في هذا البعث ليكونوا دستورا اسلاميا للحكم أساسه الشورى ، فعلى العلماء المصلحين أن يقوموا بواجب النصح ، والجهر بكلمة الحق ، وعلى الحاكمين أن يستجيبوا لهذه النصيحة وأن يعملوا بها ويتقبلوها لأنها في صالح الجميع .

المسلمون اليوم على اختلاف مذاهبهم يريدون أن يجعلوا حدا لهذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة من التدهورات المستمرة ، والخلافات التى كانت سببا في هدم الوحدة ، ولا يكون هذا الا بدستور اسلامي هو الذى يجمع المسلمين ويوحد صفوفهم .

اننا ننبه حكام المسلمين أن الأهداف التى ينشدونها لا تأتى الا عن طريق الاسلام البعيد عن روح التعصب ، ولا يحصل الازدهار لهذه الشعوب الا اذا كانت شؤونها مبنية على عقيدة اسلامية ، لأنها تلائم بين المادة والروح وبين العقل والعاطفة ، وبين الجديد والقديم .

يجب على الحكومات الاسلامية أن تسهل كل ما له صفة التدين بين المسلمين حتى يشعروا بشعور واحد ، ويحسوا باحساس واحد ، ويفكروا بتفكير واحد لأنهم يريدون أن يبرزوا الى الوجود كمجتمع ديني بجميع خصائصه ومميزاته ويريدون الانطلاق من واقع الظروف القاسية التى مرت عليهم من القرون المتأخرة من حياتهم الى آفاقهم الاولى من انبثاق تاريخهم المجيد ...

ان التقاليد والأنماط التى سارت عليها الطبقة الحاكمة قبل النهضة الأخيرة لا زالت موجودة الى الآن ، والمسلمون لا يريدون هذه الآفاق المكررة لأنها نتيجة التعصب والركود والجمود .

الثورة هى تحول من نظام قديم فاسد الى نظام جديد صالح هذا التحول حصل بالفعل لكنه كان في الشكل والصور لا في المعانى والحقائق التى يتطلبها المسلمون ، ومادام الوضع الحالى يتنافى مع الاسلام وتعاليمه وروحه وحضارته لا بد أن تسود هذه

الاجتماعات والاضطرابات الخطيرة ، فتصبح غير قارة ، واذا لم تستقر على أوظاع الاسلام فلن يستطيع المسلمون أن يؤدوا رسالتهم في هذا الوجود كاملة .

قادة المسلمين يعرفون الأمراض التى كانت سببا في سقوط المسلمين ، وانحطاطهم وتخلفهم والتيارات التى هبت عليهم حتى أودت بحياتهم . الواجب يحتم عليهم أن يتجنبوا كل الأخطاء التى وقعت للمسلمين في الماضى حتى استعبدوا ... الشعوب الاسلامية لها امكانيات وطاقات هائلة ان أحسن القادة الاشراف عليها ، ووجهوها نحو دينها ، فانها بدون شك ستصبح قوة فعالة في هذا الوجود ، ترجح كفة السلم في العالم .

يا حكام المسلمين ها هى أمتكم قد تحررت شرقا وغربا والطريق أمامكم قد تمهد وأمتكم قد تعودت السمع والطاعة لكم وهى تلبى ندائكم في السراء والضراء ، وتمتثل لأوامركم في الشدة والرخاء ، فان استقمتم فاتها ــ بدون شك ــ ستستقيم لا خوف عليكم منها ما دمتم سائرين على منهج الاسلام ، وأنها لا تخشى الا انحرافكم عن الدين الحنيف فان انحرفتم فلا تستطيعون أن تملكوا زمامها ، وهذه هى الثغرة الوحيدة التى يدخل منها العدو الى صفوفكم ، فقودوها الى مجسدها التليد ، وعزها الطريف . واذا أردتم أن تبقى هذه الأمة متماسكة متحدة جنبوها الأفكار الدخلية ، والقوانين المستوردة التى تروج في بلدان المسلمين ، وتطبق عليهم كقوانين شرعية أصيلة حتى تغيرت معالم شخصيتنا ، وأصبحنا لا نميز بين المسلم وغيره .

فاذا كان حكام المسلمين يحترمون كفاح الأمة فلا بد لهم أن يحترموا كلمتها واذا كانوا يحتاجون اليها فلا بد أن يتقبلوا مشورتها ونقدها وما دامت الأمة تحمل العب أولا وآخرا ، فليس من حق الحاكم أن ينفرد دونها باتخاذ قرارات هامة ، وليس من حقه أن يتجاهل كلمتها بأن تقول (لا ، أو نعم) فالحق فوق الجميع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الحاكم : (من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة) واذا كنا نؤمن بالاسلام كدين من عند الله ونحترمه يجب أن نؤمن به ايمانا كاملا ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه الاسلام بالعرى فقال : (لتنقض

عرى الاسلام عروة عروة فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة) ها نحن نشاهد مصداق هذا الحديث الشريف ، المسلمون اليوم لا يتعاملون بالاسلام فيما بينهم ، ولا يتحاكمون الى كتاب الله وسنة رسوله لقد انفصل ما بينهم وبين الاسلام من عهد وميثاق ، وبعد مـا بينهم وبينـه من روابط وصـلاة فاستبدلوه بقوانـين وضعية أجنبية تهدر الكرامة وتفتل الضمير حتى شاعت الفاحشة في الذين آمنوا .

يقول محمد اقبال الفيلسوف المسلم في المؤتمر الاسلامي الذى عقد في القدس سنة 1338هـ ـ ان الاسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب أولهما الالحاد وثانيا الاستعمار ، ومستقبل العرب رهن بوحدتهم فاذا تمت الوحدة العربية علا شأن المسلمين في كل أنحاء الأرض ، والعرب يحاولون الوحدة الآن خارجة عن نطاق الاسلام ، وأنهم لا يتوصلون الى الوحدة الحقيقية التى تنتظرها الشعوب الاسلامية منهم .

المجتمع الصالح يجتمع فيه صنفان من الناس السراة والهداة ، فالسراة هم الأمراء المخلصون الصالحون ، والهداة هم العلماء الربانيون الذين يعرفون الحق ويصرخون به دون أن يخافوا في الله لومة لائم . كما قال الشاعر الحكيم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سلدوا

قيادة الجاهلين تكون عندما ينعدم العلماء المتفقهون الناصحون قد يوجد الحاكم المقتدر ولكنه محتاج الى مذكر ومبصر ، فاذا وجد بجانبه العالم الناصح المخلص كمل أمر هذا الحاكم كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عندما تولى الخلافة فقال : (أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم) هذا الكلام في غاية الصواب والعدل ، وصاحبه يشعر بمسؤولية كبرى ملقاة على عاتقه ، ولهذا فهو يطلب من الأمة أن تعينه اذا استقام في حكمه واذا حاد عن الحق فلا طاعة له .

يا حبذا لو يقتدى أمراء المسلمين بهذا الخليفة العادل الذى رد الأمن والطمأنينة الى النفوس في زمن قصير جدا .

يجب على حكام المسلمين الا يقلدوا الغرب في فصل الدين عن الدولة والا يقولوا ان الاسلام لا يحقق نهضتنا في التقدم العلمي التكنولوجي كما يقول الملاحدة الا اذا اعتنقنا مبادئ الغرب العلمانية ، ونبذنا مبادئ الاسلام الرجعية هذا هو الخطأ الذي وقع فيه حكام المسلمين من بعد الاستقلال فقلدوا الغرب في كل شيء ، في الحكم والشمارات والتعليم ، فأصبحوا يعلمون في مدارسهم اللغات الحية كما يسمونها ، وتركوا التعليم الاسلامي ، واللغة العربية فيها فأصبحت بلدان المسلمين قطعة من أوربا ، ما ترى في دوائر الحكومة ومصالحها المتعددة المتنوعة وفي الشوارع والبيوت الا الرطانات الأجنبية لأنهم جعلوها رسمية وتركوا لغة البلاد ، وكذلك التقاليد والعوائد الأوربية فاذا مشيت في شوارع المدن الكبرى تحس كأنك في أوربا لا في بلدة اسلامية لأنك لم تعثر على أي شيء من شعائر الاسلام . فنشأت الشبيبة على حب التقاليد الأجنبية والتخلق بأخلاقهم وحب لغتهم وبغض اللغة الوطنية فأصبحت تحارب الاسلام جهارا وعلى مسمع ومرأى من الحكومة التي هو دينها الرسمي ، والاستهتار بالأخلاق الفاضلة والقيم الانسانية ، وصارت تنفر من كل ما ينتمي الى الوطن من عوائد وأخلاق ، وتكره الشخصية الوطنية لأنها تسممت بهذا التعليم الأبتر .

وهناك بعض الدول معاصرين ليسوا من الغربيين ، ولا اعتنقوا جنسيتهم وقد توصلوا الى الصناعات الحديثة كما وصلت أوربا بدون أن يتسبدلوا عقائدهم ولا لغتهم كاليبان والصين الشعبية .

كذلك المسلمون يجب عليهم أن يأخذوا العلوم التكنولوجية والأساليب الفنية والاختراعات العلمية والنظم الحديثة فتضيفها الى ما لنا من مقومات أساسية . هذه العلوم أخذها الغربيون عن المسلمين في الماضي فكانت نواة لنهضتهم الحديثة ، ونحن الآن — بدورنا — أن نأخذها منهم ونعربها ونضيفها الى العلوم الاسلامية كما تفعل سائر الأمم .

واذا فصلوا بين الدين ـ الذى هو عبادة فقط ـ و بين العلم ، فالاسلام دين العلم أول كلمة نزلت من كتابه كانت (اقرأ) ، لم تكن (قاتل) ، ولا (اجمع المال) ، ولا (ازهد في الدنيا) . (اقرأ) هذه أول كلمة أنزلت من القرآن وجاء بعدها ذكر العلم . من الله على الانسان بالعلم ، لابما أعطاه من مال ولا من قوة ولا جاه ، بل علمه ما لم يعلم .

وكل علم يحتاج اليه مجتمع اسلامى ، يكون فرض كفاية على القادرين عليه فهل في الوجود دين ـ الا الاسلام ـ يجعل تعلم الكيمياء والطب والطيران ، من الفروض الدينية ؟

الاسلام دين القوة ، ولكن بلا ظلم . الاسلام للدنيا والآخرة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة)(1) وهو يريد للمسلمين أن يصدقوا في ايمانهم باللهوأن يتبعوا الشرع ، وأن يكونوا مع هذا أرقى الأمم وأقوى الأمم ، وأعلم الأمم وأغنى الأمم ، ليجمعوا حسنة الدنيا وحسنة الآخرة .

أليس القرآن فيه الشفاء من جميع الأمراض الاجتماعية ؟ أليس في أحكامه العدل والمساواة بين الناس ؟ ألم يأت بقوانين عادلة ما حرمت من الأشياء الا ما فيه مضرة وفساد ، وحثت على كل ما فيه مصلحة ومنفعة ؟ ألم يجعل الناس أحرارا في معاملاتهم وتصرفاتهم في ممتلكاتهم ما داموا في دائرة الحق والعدل ؟ .

الشريعة الاسلامية وافية بحاجيات الناس ، فوضعت القوانين العادلة لو طبقت لكانت كفيلة بحل جميع المشاكل ، فمبادئها صالحة لكل زمان وجيل ، وهى تكتب النصر والتفوق لمعتنقيها ، وتخلع عليهم رداء العزة والكرامة ، ومتى يثق الناس بهذا الدين ، وتطمئن نفوسهم اليه يصبحون سادة كراما موفورى الكرامة أقوياء لأنه مفتاح السعادة .

لو أصلح المسلمون ما بأنفسهم واعتصموا بحبل الله جميعا كما أمروا وأصلحوا ذات بينهم لعادوا الى ما كانوا عليه من المجد والعظمة ، ولو أنهم احتكموا في خصوماتهم الى كتاب الله وسنة رسوله لما اختلفوا ولو أنهم نشروا العلم الدينى والاصلاح الحقيقى في أوطانهم لما تفرقوا قال الله تعالى : (ولله العزة ولرسوله

(1) سورة البقرة

وللمؤمنين)(1) أيها المؤمنون أين ما وعدكم الله به من العزة أتشكون في وعد الله ؟ والله لا يخلف الوعد ، المسلم يعبد ربه بظاهره وباطنه ويجاهد في سبيل الله بسيفه وقلمه ولسانه لاعلاء كلمة الله وينفق في الخير ماله ابتغاء وجه الله ، ان يعمل يعمل لله ، أو يتكلم يتكلم بالحق وان أضر نفسه فعال منفاق مصداق .

المسلمون في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كلمتهم واحدة ومهمتهم واحدة وجهادهم لله وقتا لهم في سبيل الله من افتقر عانوه ومن حضر عدوه ومن غاب افتقدوه ، ومن مات شيعوه ، ومن مرض عادوه وبالدين تكون سعادة المسلمين ، ولما تفرقوا شيعا وأحزابا واختلفوا مذاهب ونحلا وتبايتوا أهواء وسبلا ، وملأوا المجالس جدالا ذهب سلطانهم ، وضعف كيانهم ، وصغر شأنهم وتداعت عليهم الأمم ، وكذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

اليوم الذى تخلى فيه العالم الاسلامى عن الدين والأخلاق تخلت عنه السعادة وتاهت به الحياة في مجال القلق ، ومتاهات الحيرة ، ومجالات الشك والاضطراب ، الفقر الحقيقى ليس هو فقر المال ولا الاوراق المالية ، وانما هو فقر الكرامة والأخلاق ، فقر الانسانية ، فقر الصفات والشمائل والمحامد والعلم .

أزمة المسلمين ليست أزمة الاقتصاد والسياسة والمال ، الأزمة في الواقع أزمة الرجال ، أزمة الضمير ، أزمة الخلق ، أزمة الدين ، أزمة الوعي والنضج والرشد ، أزمة الأخلاق أزمة العقيدة ، أزمة المثل العليا ، أزمة المبادىء والقيم والمعانى والمفاهم ، أزمة الأمانة والواجب والنصيحة ، أزمة الضمير والايمان ، فهذه الأزمات كلها ناشئة عن عدم اهتمام المسلمين بأمور الدين وجهلهم به .

الاسلام جاء ليجمع القلب الى القلب ، ويضم الصف الى الصف ، جاء ليكون مجتمعا راقيا من عوامل الفرقة والضعف المعنوى والمادى وأسباب الفشل والهزيمة ، حتى يصل الى المقاصد السامية والأهداف النبيلة التى جاءت بها رسالة سيدنا

(1) سورة المنافقين

محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من عبادة الله واعلاء كلمته ، وإقامة الحق ، ونشر العدل وفعل الخير والجهاد من أجل استقرار مبادئ الاسلام التي يعيش الناس في ظلها آمينين مطمئنين .

جاء الاسلام ليربط المسلمين برباط الأخوة التي لا تنفصم عراها ، فتزول أمامها جميع الفوارق من نسب ومال وجاه الى غير ذلك مما درج عليه الناس من المميزات (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم)(1) هذا الاخاء يستلزم تبعيات وحقوقا ، فليس هو اخاء عقيما لا ثمرة له . أوجب الاسلام على المسلمين أن يحترموا بعضهم بعضا ، وأن يحافظ كل فرد على كرامة أخيه من أن يعيبه ، أو يحط من قدره أو يطعن في شخصيته ، أو يلقبه بلقب يكرهه ، فهذه السيئات تقطع الصلة وتمزق روابط المودة ، وتنشر العدواة في النفوس . أمر الاسلام المسلمين بالتواضع فيما بينهم ، وخفض الجناح ، ولين الجانب ، فالمسلم لا يتكبر ولا يختال ولا يزهو بنفسه . قال تعالى في حق المتكبرين (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخدوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)(2) وقد جاء في الحديث الشريف : (ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

الاسلام يأمر بتعاون المسلمين فيما بينهم حتى يتحدوا لتقوى جماعتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا بني اذا أصبحت وأمسيت وليس في قلبك غش لأحد فافعل فان ذلك من سنتي ، ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

هذا الحديث الشريف ينبه المسلمين من غفلتهم ويحثهم على أن يقوموا بواجبهم نحو بعضهم بعضا ، فكل واحد منا عليه واجبات وحقوق ومسؤليات نحو المجتمع .

(1) سورة الحجرات
(2) سورة الاعراف

فاصلاح المجتمع متوقف على اصلاح الفرد ، فان كان الفرد شاعرا بواجباته الكثيرة نحو ربه الذى خلقه وأغدق عليه من نعمه الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى وخافه في السر والعلن ، واستحضر عظمته في ضميره وخشيته في قلبه فيصبح هذا الفرد لا يتعدى ما أمر الله به ولا يتجاوز ما نهاه عنه حينئذ يسير في طريق الصواب الذى لا اعوجاج فيه ، فيصير انسانا كاملا يؤدى رسالته التى خلق من أجلها . ان المتهاونين فيما كلفوا به من تطبيق الاسلام مكذبون ، ولهم الويل في الدنيا ، والندامة والخزى في الأخرة ، فهل يليق بنا معاشر المسلمين أن نقطع الصلة بيننا وبين تعاليم الاسلام،أو نحصرها في طائفة معينة؟أم ننتظر هاديا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟ استولت علينا الأهواء فأنستنا ما أوجب علينا الايمان . أو طبعت النفوس على الشر فضلت سواء السبيل ، عجباً يامرنا ربنا بالتعاون على البر والتقوى ، ونحن نتعاون على الاثم والعدوان .

كان المجتمع الاسلامى فيما مضى تنظره شعوب الدنيا بعينى الاجلال والاكبار فما لنا ونحن لم نكن كما كنا من قبل ، لأننا غيرنا ما بأنفسنا ، فغير الله ما بناء .

يجب على المسلمين أن يحاربوا الشهوات التى تزين لهم مخالفة الدين والعقل ويبتعدوا عن الأرواح الخبيثة التى حذرهم منها القرآن كالنفس الأمارة بالسوء واتباع شياطين الانس والجن حتى يرجعوا الى طريق الصواب ، فالمسلم يجب عليه أن يلازم الاستقامة في الأقوال والأفعال ، ويأخذ نفسه بالوفاء بالعهد وصدق العزيمة ، وعدم مجاراة السفهاء ، لهذا كان المسلمون كما قال الله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(1) يجب على المؤمن أن يسعى طلب العلم لأنه ، الطريق الوحيد الى معرفة الله قال تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء)(2) كلما تعمق العالم في العلم تكن خشية الله عز وجل لأنه يرى نواميس الكون من الاتقان في الصنع ، والحكمة في التدبير مـا يجعل المؤمن يخر ساجدا لله ، فالذيـن يتخصصـون في علـم

(1) سورة آل عمران
(2) سورة غافر

التشريح يرون فيه من احكام التركيب ومن اتقان الصنعة في مختلف الأجهزة الجسدية وفي مفردات هذه الاجهزة ما يضطرهم اضطرار الى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والابداع لو كانوا يفقهون ، وليس علم التشريح وحده هو الذى يبهر العالم المتبحر فيه ، وكذلك علم الفلك يبهر العالم الفلكى ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء ، وهكذا نجد انبهار النفس في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية أرضها وسمائها وما بينهما . ان العلم النافع هو أهم مطلب في هذه الحياة ، وأجل مقصد في الوجود ، فالعلماء هم الذين يضيؤون مسالك الحياة ويسيرون بالناس قدما الى السمو والكمال ، طلب العلم في الاسلام ليس نافلة ولا أمراً كماليا ، وانما هو فرض وضرورى .

العلم الصحيح هو دليل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضلة ، وكلما ازداد الانسان علما ازداد اعتقادا بالله واستقامة ومعرفة في الحلال والحرام ويصير قادرا على قيادة نفسه وضبطها وتهذيبها يقول الله سبحانه وتعالى في حق العلماء الصادقين (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)(1) وصل هؤلاء العلماء الربانيون الى هذه الدرجة عن طريق العلم الذى يثمر الخشية ، والى التوحيد الحقيقى ، والتوحيد هو سمة الدين الاسلامى وسمة المتدين الصادق .

يشهد علماء التوحيد مع الله ، ومع الملائكة الأطهار ان الله واحد في ملكه لا شريك له ، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل اليه العلماء من تكريم الله لهم بحيث قرنهم مع الملائكة المقربين في شهادة التوحيد ، وشهادة التوحيد أقصى ما يمكن أن يسير اليه السالك في معراجه الى الله سبحانه وتعالى وهى لا تتحقق الا في العلماء المؤمنين العاملين ، ان شهادة التوحيد قد وجه الله اليها الأنظار بأساليب شتى ، وهذه الأساليب ما لا يقدرها في روعتها الرائعة الا العلماء العاملون قال الله سبحانه وتعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى الله خير أما تشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

(1) سورة آل عمران

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهار ،، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاءالأرض اله مع اللهقليلا ما تذكرون)(1) الى آخر الأيةالكريمة، ثم يعقب الله على هذه الأيات بأنه مهما بلغ العلماء بعلمهم فان المجهول لديهم كثير وأنه لا يعلم هذا المجهول الا الله سبحانه (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون)(2) ومن أجل شهادة التوحيد حث الاسلام على العلم وجعله من أسس الدين ، العلم هو السبيل الوحيد الى بناء العقيدة الصحيحة وهو الحادى الى هداية الانسان وسعادته ، ولهذا رفع الإسلام من شأنه ونوه بمكانته ، وحث الناس على اعتشاقه وقد مثله بالنور والجهل بالظلمات قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)(3) ولقد وجه الاسلام الناس الى أخذ الأحكام عن العلماء فقال عز وجل : (فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)(4) والعلم في نظر الاسلام حق مشترك بين الناس ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم الذى هو قدوة المسلمين وأسوتهم أن يقول : (وقل رب زدنى علما)(5) في كل يوم بل في كل لحظة ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلمين واذا ما أزداد المسلم علما أزداد خشية واذا ازداد خشية تحقق فيه اسلام الوجه لله على أكمل صورة ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ولله عاقبة الأمور(6) .

---

(1) سورة النمل
(2) سورة النمل
(3) سورة الانعام
(4) سورة الانبياء
(5) سورة طه
(6) سورة لقمان

الاحتــلال الفرنســي للجزائــر

كانت الجزائر ـ في ابان الاحتلال وقبله ـ دولة مزدهرة وقوية ومنظمة في جميع الميادين ، في الداخل والخارج وكانت دول أوربا تخشى بأسها وسطوتها ، ولا سيما في البحر الأبيض المتوسط ، وتجارتها الخارجية كانت تصدر الى أوربا وغيرها ، والزراعة والصناعة والثقافة كانت على أحسن ما يرام ...

قال السيد عباس فرحات في كتابه ليل الاستعمار ، ان الجيش الفرنسي استأصل مدينة عريقة في القدم ، وفكك هيئة اجتماعية لها نظام محكم القواعد حكم نظام حياتها ...

كل المؤرخين يشهدون بأن الجزائر قبل الاحتلال كانت دولة عصرية آخذة في التصاعد الحضارى ...

قال العالم الفرنسى م دوبار ادى : (ان الجزائر العاصمة تطلق على جميع القطر الجزائرى ، وكانت مقر الحكم وقاعدة الدولة ، ولم توجد في التاريخ أيى دولة أشد حرصا على مال الدولة من حكومة الجزائر) ان بيت المال كان يدار بنزاهة وأمانة لا مزيد عليهما ، ومن ناحية الادارة كانت الجزائر مقسمة الى أربعة مناطق : منطقة الجزائر العاصمة ، ثم منطقة تيترى أيى المدية ، فمنطقة وهران ، فمنطقة قسنطينة ، وكان على رأس كل منطقة عامل يسمى الباى ...

وقال المؤرخ الفرنسى : (شارل أندرى جوليان في تاريخ شمـال افريقيا كانت التجارة الخـارجية في الجـزائر مزدهرة ، وكانت تقدر في ذلك العهد بعشرة ملايين ذهبا ، واللغة العربية هى لغة البلاد الرسمية ، والتدريس بها منظما) وقد لاحظ الجنرال فيالار سنة 1834م أن الجزائريين يتقنون القراءة والكتابة كلهم ، في كل قرية توجد فيها معاهد ، وجامعات في العاصمة ، وقسنطينة ، ومازونة وتلمسان ، ووهران ماعدا التعليم في الزوايا الكبرى وكان مزدهرا ، وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر .

المواد التى تدرس في هذه المعاهد لم تكن تختلف عن المواد التى كانت تدرس في باقى أنحاء العالم الاسلامى ...

أما الصناعة فكانت مزدهرة أيضا ان زرابى مدن سطيف والقرقور ، وجبل عمور وتلمسان كانت مشهورة ، وأما صناعة النحاس والفضة والذهب فكانت الأساس للصناعة الجزائرية ، وكذلك الفلاحة كانت راقية ومزدهرة ، قال الجنرال كافينياك : (كان لزما علينا أن نقدر الويلات حق قدرها التى جرتها الحرب على العرب الى يومنا هذا أن العربى متمسك بأرضه أشد مما تتصوره ، ملكيته منظمة أحسن مما يقال عنها ، وفي هذا الباب اننا محتاجون الى الكثير من الدروس من طرف العرب) .

بدأ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م ، وكان الأتراك هم الذين يحكمون البلاد ، وسبب هذا الاحتلال هى الديون المترتبة في ذمة فرنسا ، فلما طلبت الحكومة الجزائرية بتسديدها أعلنت فرنسا على هذه الحكومة حربا شعواء وهجمت جيوشها على عاصمة البلاد ، وتمركزت قواتها في ساحل البلاد ، والحكومة الجزائرية كانت لا تتوقع هذا أبدا ولما عجزت عن صد هذا الهجوم السافر ، وقع حسين داى باشا صك الاستسلام وقبل الشروط التى أملاها عليه قائد الحملة الفرنسية وغادر البلاد وذلك في شهر تموز من السنة المذكورة ، فدخلت الجيوش الفرنسية الى العاصمة فنهبت وسلبت كما هو شأنها من غير وازع ولا رادع ...

ولما استولى الغزاة الجدد على العاصمة وتمركزوا في بعض النقاط من الوطن فأول شيء بدأوا به هو القضاء التام على كل ما كان للجزائريين من اقتصاد زاهر ومدينة راقية ، وانحصر حربهم في العقيدة التى يحملها الشعب بين طياتها طيلة اقامتهم في هذا الوطن حتى طردوا منه سنة 1962م .

اختل نظام الحكم في البلاد بعد مغادرة الداى ، فاستقلت كل ناحية بنفسها وأخذت تنظم السكان للدفاع عن الوطن فسكان قسنطينة قد التفوا حول الحاج أحمد باى وحصنوا مدينتهم تحصينا محكما ، وأما سكان غرب الجزائر فقد اجتمع رؤساء

القبائل والعشائر المختلفة في مؤتمر عام بايعوا بيعة شرعية الأمير عبد القادر بن محى الدين الهاشمى ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، وكان الأمير يومئذ في الرابعة والعشرين من عمره عالما فاضلا تقيا نقيا شاعرا فصيحا شجاعا باسلا بعيد النظر عميق التفكير ولد سنة 1807 وبويع بالامارة سنة 1832م فأنشأ دولة فتية قوية عاشت سبعة عشر عاما ، ولو كان يشرف على الأمة من قبل الاحتلال لما آل أمره الى الاستسلام ولما استطاع الجيش الفرنسى أن يحتل البلاد ...

يقول المؤرخ الفرنسى (أوستان برنار) عن أخلاق الأمير وصفاته ودينه وشجاعته ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ قال ان الأمير عبد القادر قد حج مع والده سنة 1827م ، ولما استولى الفرنسيون على وهران قام الشريف محى الدين والده يقاتلهم ، وفي تشرين الثانى من سنة 1832م ، اجتمعت في سهل (ايغريسن) ثلاث قبائل وهى : هاشم ، وبنو عامر ، وغرابة منادية بعبد القادر أميرا على البلاد ...

وقد بدأت ثورة الأمير صغيرة ولكنها مألبثت أن أشتدت واتسعت بسبب ترددنا وحاجة البلاد الى حكومة تقضى على الفوضى العامة التى انتشرت في كل مكان وكنا عاجزين على القضاء عليها ...

ولقد أظهر الأمير بعد أن أسند اليه الأمر على الرغم من أنه ابن الزاويا والطرق حنكته السياسية وبراعته العسكرية كانتا فائقتين ، وكان يتمتع بصفات تدل على أنه خلق ليحكم ، كان بسيطا في لباسه ، متواضعا في معشره أنيقا جميلا فصيحا شجاعا فارسا ، وبالتالى فقد كان له هدوء الدبلوماسى المسلم وسكينته ولباقته ، وكان متدينا عن اخلاص ومن صميم فؤاده ، ولم يطلب الامارة لاسباع أطماع نفسه ، بل طلبها ليقود أمته في طريق الفلاح ، كان قاسيا عند اللزوم رحيما عند الاقتضاء ، وكانت شدته ولينه بحسان وتقدير ، وقليل مثله في المسلمين من كان يدرك معنى الدولة ادراكا تاما كما كان يدركها هو بكل تفصيلاتها وجزئياتها من حيث النظام والادارة ، وجباية الضرائب ، وتنظيم

الجيش ، وكان أجل وأبرز أعدائنا في الجزائر واذا كان قد فشل في بناء أمبراطورية اسلامية واسعة ، فليس مرد ذلك كله الى مناهضتنا اياه ، بل كان السبب تفرق المسلمين عنه ، وعدم اتحادهم تحت لوائه لحرمانهم من الشعور الوطنى والقومى ، وتفرقهم هذا كان له أوفى نصيب في سبب فشلة (انتهى) .

بايعت الأمة الجزائرية الأمير بن شيخ طريقة القادرية واضطلع بالمسئولية الكبرى التى أينطت به فأخذ يعد العدة اللازمة لمواجهة العدو ومنازلته ، فبدأ يجمع الأعراش والقبائل ليكون منهم جيشا منظما يدافع عن الوطن ، وكان يحث على الجهاد والصبر ، فنفرت الأمة الى ميادين القتال والمعارك واستجابت الى ندائه ودعوته ، واستطاع الأمير أن يخضع قبائل وهران وقبائل تيترى ، وقضى على جماعة التيجانية الذين كانو يوالون الفرنسيين ونظم البلاد تنظيما اداريا ، وكان جيشه منظما ومدربا على فنون الحرب والقتال ، وعدده احدى عشر ألف جندى ما بين راجل وفارس ، وأنشأ مصنعا لصنع المدافع وآخر لصنع البارود ، وبنى حصونا وأقلعة على حدود بلاد القبائل التى كان يخشى انتفاضها ضده ، ووحد منافسيين له انحازوا الى صفوف العدو رغبة منهم في التوصل الى مطامعهم الشخصية .

الشعب كان لا يعرف ما يدور في الجو السياسى لولا دعاية الأمير ، ولما علم بدخول جيش أجنبى الى ترابه ، وتمركز في السواحل ، وفي العواصم الكبرى ، وانهزام الحكومة المركزية أمام جيوش الاحتلال هب من نومه هبوب العاصفة لانقاذ بلاده من شر هؤلاء الغزاة ، انظم الى المقاومة المنظمة التى كانت تحت اشراف الأمير عبد القادر ، فاستنزف هذا الشعب كلما كان له من ثروات مادية وطاقات بشرية لم يكن الاحتلال بالأمر السهل ، ومن الغرابة أن يجرد شعب من وطنه ، ومن ثرواته المادية والروحية ويبقى مكتوفى الأيدى لا يدافع عن نفسه خصوصا اذا كان شعب أبى لا ينام على ضيم يحب الحرية والاستقلال حريصا على كرامته وشرفه كالشعب الجزائرى .

امتازت مقاومة الشعب الجزائرى للاستعمار الفرنسى

ببطولة نادرة احتلال الجزائر لم يكن نزهة عسكرية كما يدعى بعض الفرنسيين ، بل كان اصطداما بقبائل قوية الجانب شديدة المراس قوية الشوكة لا كما كان يظن الاستعمار أنها قبائل متأخرة ، وظن باحتلاله العاصمة أنه بذلك قد استولى على البلاد ، ولما اصطدم بالشعب في المعارك الدامية تبين له خطؤه وتقديره ، واقتضاه الأمر من بعد ذلك على أن يدفع ثمن الاحتلال باهضا ، لأن مسلمي الجزائر كانوا لا يسلمون في شبر من أراضيهم الا اذا سالت فيه دماء غزيرة من الجانبين ، فكانت خسارة في الأنفس والأموال كبيرة جدا ، فالاستعمار ضحى من ناحيته مالا يقل عن أربعين ألف جندى ، وأنفق أموالا طائلة على هذه الحرب القذرة ...

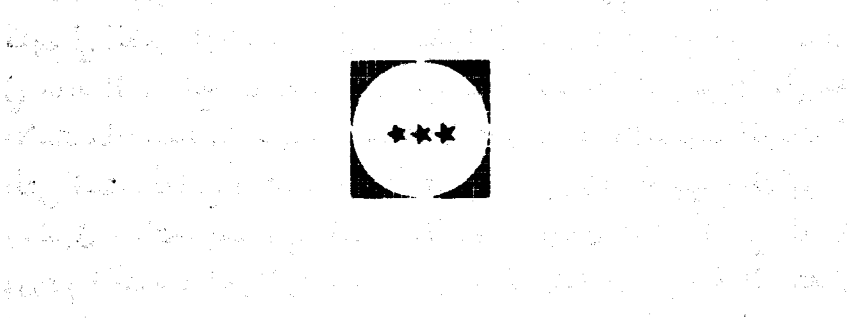
الشعب الجزائرى مسلم ما في ذلك لبس ولا غموض ، ورغم الحكم المحلى فانه مكون من سلسلة متراصة قوامها العروبة والاسلام ولكن ينقصه الوعى .

كانت الشعوب الاسلامية حينذاك متخاذلة فيما بينها بسبب فقد الروح الاسلامية ، والظروف كانت تعمل لصالح الاستعمار ، والفرص مواتية له ، فاضطر الأمير الى دخول المغرب العربى ، وقد سمح له بذلك السلطان عبد الرحيم بادى الأمر باللاتجاء الى بلاده ، فطلب الفرنسيون من السلطان تنفيذ شروط المعاهدة التى عقدوها معه اثر معركة (ايزلى) وهى التى انتصر فيها الفرنسيون على المغاربة ، وتنص هذه المعاهدة بأن السلطان يحجز الأمير في احدى المدن الساحلية اذا ما وقعت يده عليه ، ولكن السلطان لم تصل يده الى الأمير قط بل كان يناحز الفرنسيين على الحدود الجزائرية المغربية وكان فريق من الجزائريين يحمل بين طياته الخيانة لأمته والغدر بمواطنيه . انحاز هذا الفريق الكبير الى صفوف العدو ، وأصبح يقاتل معه ، فكان سببا في جلب الكوارث والنكبات والويلات التى حلت بهذا الوطن ، فخذلت هذه القبائل الخائنة الأمير وجيشه الذى كان يدافع عن الوطن والاسلام ، فأصبح مشردا ومطاردا من كل ناحية لا يستقر في مكان ، فرأى أنه لا مفر من الاستسلام الى

الجيش الفرنسي بعد ما قبل جميع شروطه ، فأمر الأمير اتباعه بالاستسلام قبله ، واشترط أن يسمح له بالذهاب الى الاسكندرية أو الى عكا . فرضي الفرنسيون بذلك .

هكذا قدم الأمير نفسه الى عدوه ، وكان ذلك في شهر كانون الأول سنة 1847م على يد الجنرال لاموريسير ، وقدم اليه سيفه وخاتمه كرمز للاستسلام ولما استسلم حيته حامية فرنسية التحية العسكرية .

استسلم الأمير عبد القادر لعدوه بعد ما قضى سبعة عشر عاما في الكفاح والجهاد ، استسلم نتيجة تخاذل المسلمين الذين لم يبق لهم من الاسلام الا أسمه .



فضائـع الاستعمـار الفرنسـي ابـان الاحتـلال

لما عجز الفرنسيون عن مقاومة الجزائريين عن طريق الحرب المشروعة لجأوا الى أعمال العنـف الوحشية البربرية باحـراق القرى والدواوير ، والقتك بالأبرياء والضعفاء مثل النساء والعجزة من الرجـال والأطفال ، تعرض الجـزائريون للابـادة والتخريب العام من هذه الأعمال الاجرامية ، وقاسى الأمير في هذه الحروب ، وجميع سكان القطر مصائب كثيرة وأهوالا عظيمة ، ولم تكن معاملة الغزاة للأسرى المستسلمين بأفضل من المحاربين ، فكانوا يقتلون الأسرى ويصلبونهم قال : (شارل أندرى جوليان في كتابه تاريخ شمال افريقيا انهم ـ يشير بذلك الى سأسة فرنسا وجنيرالتها في الجـزائر ـ لـم يحرقوا البلاد خفية ، كمـا قتلوا أعداءهم جهارا بلا شفقة ولا رحمة لا يمنعهم من ذلك لا رادع ولا وازع كانوا بالعكس يفتخرون بضرواتهم ووحشيتهم فقدوا كلهم من أديم واحد من الملكيين الى الجمهوريين الى أشياع نابليون فبمجرد نزلهم بأرض الجزائر ، تعتريهم حمى النهب والقتل ، والتخريب ، كان هذا هو الطريق المؤدى الى نشر البلاغات الحربية الطنانة ، الى المجد العسكرى ، والى تسلق مدارج الرقى ، وكانوا كلهم في الضرواوة سواء من روفيقوا الى ترزيل الى غيرهم ، فكلهم في هذه الفضائح سواء لا فرق بينهم . اننا اذا نظرنا الى طبيعة الاستعمار فنجدها طبيعة واحدة لم تتغير أبدا فالأساليب الوحشية التى استعملها في احتلاله من القتل الجماعي والتعذيب والنكيل ، والحرق والتخريب هى نفس الأسلوب الذى استعمله في ثورة 1954م فالشعب الجزائرى كان معرضا للابادة من بداية الاحتلال الى نهايته ، كان هذا الغزو مدفوعا بعنصرية بغيضة وروح صليبية) .

ورغم هذا الاحتلال وسيطرة الاستعمار على الوطن سيطرة تامة كانت بعض القبائل تشن الهجومات العنيفة عليه في الفينة بعـد الفينة بخلاف الثورات الجـهوية التى لـم تتركه يتمتـع

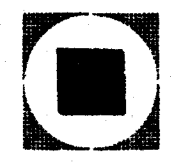
بالاستقرار ، ولم يفتأ الشعب يطالب بحقه في الحرية والاستقلال الى بداية الثورة الكبرى سنة 1954م .

وبعد ما انتهت المقاومة المنظمة ، وتمكن الاستعمار من احتلال الوطن ، أخذ يثبت دعائمه ، ويفرض حكمه الاستبدادى على المسلمين ، وكان يحارب في عوائدهم وتقاليدهم ، وأول شيء بدأ به هو الاطاحة بنظام الاسلام فأسقط حكمه الذى كان قائما في هذه البلاد ومنع علومه من التدريس ، وأغلق المدارس والمعاهد ، وحطم الجامعات ، وجعل المساجد تحت اشرافه مباشرة بعد ما خرب أكثرها ، ورجع بعضها كنائس وثكنات للجند ، وضم اليه الدور وجميع الأشياء المحبسة على الأيتام والفقراء والمساكين ، وأصبح هو المالك الشرعى لها والمتصرف فيها ، وقضى على كل ما كان للمسلمين من نفوذ وسيادة في بلادهم ، ومنع اللغة العربية من التدريس وأصبح يعدها لغة أجنبية ويعاقب كل من يعلمها بالسجن والغرامة المالية ، وكون من المسلمين جيشا قويا للدفاع عن وطنه ، ولفتح المستعمرات له في العالم وفي تموز سنة 1834م قرر البرلمان الفرنسى اعتبار الجزائر أرضا فرنسية ، وأهلها مواطنون فرنسيون ففتحت فرنسا أبواب الهجرة الى الجزائر من جميع أقطار أوربا وكانت تساعد كل من يأتى اليها من الجاليات الغربية بكل وسيلة ممكنة من المال وغيره ، وكان كلما يأتى فوج من المهاجرين الى الجزائر الا وانتزعت الأراضى الصالحة للزراعة من بين أيدى السكان المسلمين ودفعتها الى هؤلاء المهاجرين الوافدين على هذا الوطن من كل حدب وصوب فجمعت على المسلمين بذلك ذل الاستعباد وذل الفقر والجهل حتى ضج الجزائريون من هذه الحالة لأنهم أصبحوا غرباء في بلادهم محرومين من خيراتها .

قال السيد عباس فرحات انتصار الاستعمار الذى تغلب بعدده وعدته هو حكم على الجزائرى بأنه أصبح آلة يستخدمها العدو للازدهار ورفاهيته ، أوصد في وجهه أبواب العمل وحتى أبواب الأمل ، فجرده حتى من شخصيته في نظر القانون الاستعمارى ، ولم يبق الجزائرى جزائريا دون أن يعود من جهة أخرى فرنسيا ، فأصبح هو والعدم سيان لا جنسية له ولا وطن ،

فصار غريبا وحيدا طريدا شريدا لا دار تأويه ولا قانون يحميه لا في بلاده ولا في فرنسا ولا في أيى بلاد من بلاد الله ...

ولما تم للأستعمار في هذا الوطن ما أراد من الحكم والسيادة اتجهت أنظاره الى تونس الخضراء القطر الشقيق ففتحها بسهولة ، وبدون مقاومة تذكر ، وعقد مع المسؤولين معاهدة حماية وذلك في سنة 1881م ولم تنيه مطامعه عند هذا الحد ، والمملكة الشريفة لا زالت تنعم بالاستقلال ، ومنفصلة عن أختيها الشقيقتين لا بد من ضمها اليهما ، فأخذ يتحكك عليها حتى وقع معاهدة حماية معها ، وتمت هذه المعاهدة في سنة 1912م فأصبح شمال افريقيا جميعا في قبضته وتحت سيطرته مستعمرة كبيرة يعامل أهلها معاملة واحدة لا فرق بين حماية وغيرها .



عوامل ثورة الجزائر الكبرى

كانت الأمة الجزائرية مضطهدة منذ الاحتلال الفرنسي الذى وطىء أرضها سنة 1930م ، ومنذ ذلك الوقت وهى محرومة من جميع حقوقها الطبيعية والشرعية بعيدة عن وسائل الحياة ، وكانت تعامل معاملة سيئة من طرف الاستعمار ، كالاحتقار والاهانة والازدراء بكرامتها وشرفها ، ونزع أملاكها وتسخيرها للعمل ، وعدم احترام مقدساتها ، وغطرسة الحكام وتجبرهم .

كل هذا كان يترك آثارا سيئة في نفسها ، ولن تستطيع أن تفرج عن كبتها لا بكلام أو دفاع أورد فعل ، لأن سيف الاستعمار كان مصلتا دائما فوق رأسها ، ولهذا ماكادت تعلن ثورة 54 حتى انفجرت كالبركان ، ونفرت الى ميادين القتال خفافا وثقالا .

ومن العوامل القوية التى نشرت الوعى الوطنى في الشعب ودفعته الى الثورة هى الأحزاب السياسية الوطنية التى تأسست من أجل هذا الغرض فكانت تهدف الى مقاومة الاستعمار وتحرير الوطن ، فنبهت الرأى العام ، وأيقظته من سباته فدبت الحياة في أوصاله ...

وتأسيس الأحزاب يرجع الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ان المحاضرة الأولى للحركة الوطنية وقعت في سنة 1924م ألقاها الأمير خالد في باريس حضرها عدد كبير من مهاجرى شمال افريقيا ، وعلى عقبها تفرق الجمهور وهو يهتف (تحيا شمال افريقيا حرة مستقلة) ، وفي شهر سبتمبر من نفس السنة تأسس نجم شمال افريقيا في باريس ، وكان الغرض منه أنه يدافع عن مصالح العمال المادية والمعنوية والاجتماعية ، ومن بعد تولدت منه حركة تهدف الى استقلال أقطار شمال افريقيا ، الرئيس الأول لهذه الحركة هو السيد محمد جفال مع أعضاء مكتبه ، وفي سنة 1929م حلت هذه الحركة من طرف السلطة الفرنسية غير أنها تابعت سيرها في تسرتام ، وفي نفس السنة أعتقل رئيسها مصالى الحاج وغادر التراب الفرنسي ، والتجأ الى جنيف حيث التقى

بالمسلم الغيور الذى كان يشرف على جميع حركات العالم الاسلامى ورائد النهضة الحديثة السيد : شكيب أرسلان رحمه الله ..

وكان الهدف من تأسيس حزب الشعب هو تأسيس دولة حرة مستقلة عن فرنسا ، وكان يحارب الاندماج ، واتباعه هم الذين قاموا بتنظيم ثورة 54 .

حزب البيان والحرية الذى يرأسه السيد : عباس فرحات الذى كان فيما بعد رئيسا للجمهورية الجزائرية المؤقتة وكان عامة أعضائه لهم ثقافة أجنبية عالية ، وبعضهم مثقفون بالثقافة القومية .

بدأ السيد : عباس فرحات حياته السياسية بنشر مقالات عن حالة الجزائر التعساء في جريدة (ترى دونيون) أى صلة الوصل ، وذلك في سنة 1924م يندد بسياسة الاستعمار الغاشمة ، ويطالب باصلاحات هامة تدخل على الوضع الجزائرى منها احترام الاسلام ، فمن العبث محاربته لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب وتهديم ، وفي وجه كل عدو باغ ، كما يقول السيد عباس فرحات ، ويواصل كلامه ويقول : ان سياسة المساواة في الحقوق هي التى وحدها الكفيلة بضمان مستقبل مشترك ، ان التمسك بفكرة الغالب والمغلوب يقتضى حتما الى الويلات والنكبات .

هذان الحزبان الوطنيان أيى حزب الشعب وحزب البيان متفقان في الغاية والأهداف ، ومختلفان في الوسائل والأساليب ، فسار كل حزب في اتجاهه على حسب الخطة التى رسمها لنفسه ، والطريق الذى إختار سلوكه حتي يصل الى غايته المنشودة ألا وهو الاستقلال عن فرنسا ، وكل حزب كان يبث دعاته في كل ناحية من نواحي الوطن لينشروا المبادىء الوطنية والوعى بين المواطنين ، وانشأ كل حزب جرائد كانت تصدر باللسان العربى والفرنسي ، فكانت تطلع على الشعب بأفكار جديدة وآراء قيمة ، وكانت توزع نشرات في الفينة بعد الفينة تحث المواطنين على مواصلة السير جنبا الى جنب ويدا في اليد ...

وكان كل حزب يعقد اجتماعات جهوية ومؤتمرات عامة وندوات صحفية في الداخل والخارج تطالب بحقوق الشعب وتندد

بأعمال الاستعمار نحو المواطنين الأحرار ، وكثيرا ما كانت تقع مشادة عنيفة بينه وبين المناضلين ومصادمة دامية تسفر عن جرحى ونفي وامتلاء السجون والقتل والتعذيب ومصادرة الأموال حتى أصبحت هذه الأحوال عادية .

وبجانب هذين الحزبين تأسست حركة دينية اصلاحية واذا قلنا حركة دينية فهي عبارة عن الروح الوطنية الخالصة والقومية الصميمة ، لأن الدين لا يفرق بين الأخلاق والاقتصاد ، ولا بين السياسة والاجتماع ، فهذه الأشياء كلها جزء لا يتجزأ منه .

هذه الحركة هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنشئت سنة 1931م تحت رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس تغمده الله برحمته ، فكانت على رأس هذه الهيئة نخبة من العلماء العاملين منهم الشيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ العربي التبسي الشهيد ، والشيخ مبارك الميلي ، والشيخ الطيب العقبي ، وخير الدين ، وتوفيق المدني وغيرهم كثيرون .

فمبادىء هذه الهيئة هي مبادىء الاسلام نفسه ، وكانت تعمل على تنقيته من الخرفات والبدع التي طرأت عليه لتربيط ماضي الأمة الاسلامية بحاضرها لأن المسلمين الحاليين ركنوا الى الجمود والغفلة وعدم الاهتمام بالدين الذي هو مطية الى الدار الاخرى ، والمتدينون منهم من توغل في الزهد ، واستسلموا للواقع ، وتشبثوا بالبدع والعادات السيئة التي حجبت حقائق الاسلام .

أخذت هذه الهيئة على عاتقها أن تحارب الأفكار الدخيلة والعوائد الفاسدة ، والانحراف الشنيع ، وتنشر الدين الصحيح الخالص من جميع الشوائب لتعود روحه الطاهرة الى النفوس فتصلحها مما طرأ عليها من مخلفات العصور المظلمة ، وترجع الى اللغة العربية مكانتها في هذا الوطن بعد ما كادت أن تضمحل منه ، وصارت أجنبية وغريبة عنه ، فبدأت هذه الهيئة تنشر العلم وتحارب الجهل الذي خيم على هذه الأمة ، وتحي تاريخ المسلمين وتراثهم المجيد ليطلع الأحفاد على ما كان لهم من ماض مجيد ، وأدب قيم نفيس وحضارة مزدهرة ...

أعضاء هذه الجمعية كلهم ، لهم عقيدة راسخة وقدم ثابت في العلوم والمعارف والفنون ، وشهرة واسعة في الأخلاق والتربية ، وأنهم يمثلون السلف الصالح في عقيدته أحسن تمثيل ، تحملوا مسؤولية الدعوة الاسلامية ليبلغوها وينشروها بين الناس كافة ، وكانوا شاعرين بما يعترض سبيلهم من العراقيل والصعوبات التي ينصبها لهم الاستعمار ، والذين يمتصون دماء الأمة بإسم الدين ، ولكنهم عازمون على تبليغ رسالتهم مهما كان الثمن ومهما كانت الأحوال والظروف .

كان يرأس هذه الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس قدس الله روحه ، فكان نابغة عصره في العلوم والمعارف وداهية في السياسة ، وآية في الأخلاص والجرأة والاقدام له مواقف مشهورة لا زالت ماثلة في الأذهان الى الآن ...

أنقل بعض الفقرات التي قالها فيه صديقه وزميله في الكفاح الشيخ البشير الابراهيمي طيب الله ثراه قال فيه : (باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر ، ووضع أسسها على صخرة الحق ، ومنشيء مجلة الشهاب مرآة الاصلاح وسيف المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدى المحمدى ، وعلى التفكير الصحيح ، ومحي دوارس العلم بدروسه الحية ، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن ، وغارس بذور الوطنية الصحيحة ، وملقن مباديها علم البيان وفارس المنابر .

وحسبه أنه أحيا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير ودنيا لابستها المحدثات والبدع ، ولسانا أكلته الرطانات الأجنبية ، وتاريخا غطى عليه النسيان ،ومجدا اضاعه ورثة السوء ، وفضائل قتلتها رذائل الغرب) ، عيون البصائر .

توزع أعضاء هذه الهيئة المحترمة على عواصم القطر وأخذوا يبينون للناس تعاليم الاسلام الصحيحة التى نزل بها الوحي الشريف ، وكانوا يفسرون القرآن الكريم تفسيرا سلفيا لو فهمه الأعاجم لدخلوا في الاسلام ، فكانوا يستخرجون منه الأحكام والنواهي والوعد والوعيد ، ويشرحون أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويلقون سيرته المطهرة للناس ، وسيرة

خلفائه الراشدين ، وصحابته الأبرار وفتوحات الاسلام في الشرق والغرب ، وتاريخ المسلمين العام والخاص ، ويعلمون اللغة العربية وآدابها وفنونها وكانوا يهيبون بالأمة أن تتمسك بالكتاب والسنة وتترك البدع والخرافات اللتين لم تكونا من الدين في شيء ...

اختار الأمام عبد الحميد بن باديس الاقامة في عاصمة النهضة العلمية وهى مدينة قسنطينة وكانت مسقط رأسه للتدريس ، وتصدر لتعليم الطلبة في الجامع الأخضر واعتنى ـ رحمه الله ـ بتربيتهم عناية كبيرة حتى تأثروا بسيرته السلفية ، وكان يتولى بنفسه شؤونهم الخاصة من نفقة وكسوة ومسكن ، وكان يعدهم ويهيئهم ليكونوا في المستقبل دعاة للاسلام ، وكان يحرر جريدة البصائر التي هى لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، ويقوم بدروس الوعظ والارشاد للكبار ، فكان يبين حكم القرآن السامية ومعانيه القيمة بأسلوب سلفى محكم جذاب ، وقد فسر القرآن بهذه الطريقة في ربع قرن من الزمن الا أن هذه الثروة العلمية النفيسة قد ضاعت ـ لا شك ـ أنها لو كانت موجودة لأجيت أمة ، والسبب في ضياعها هم تلامذته لأنهم لم ينقلوها عنه ، وكان يجول في القطر للدعوة وتأسيس المدارس والمساجد والقاء المحاضرات والدروس ، ويتصل بالشخصيات والجمعيات ، وينشر الاصلاح ، ويحذر من الغفلة والجمود والبدع والخرافات الى غير ذلك من نشر الدين .

حل العلامة الجليل والحافظ الكبير ، والنابغة في المنقول والمعقول ، والأديب الشهير ، والكاتب البارع الذى لآنت له اللغة العربية فكانت أداة طيعة في يده فضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمى طيب الله ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه ـ بعاصمة تلمسان ، فأخذ ينشر العلم والمعرفة والاصلاح في هذه المدينة العريقة ، فأحيا ما كان دارسا منها ورجع اليها سمعتها التاريخية ، وكان يحول ـ رحمه الله ـ في دائرتها يؤسس المدارس لتعليم اللغة ، وينشيء المساجد لاقامة شعائر الدين ونشره ، وأنشأ مدرسة في مدينة تلمسان ، وسماها دار الحديث ، وكان يعلم فيها كتاب الموطأ للامام مالك ـ رحمه الله ـ وأنشأ مدرسة أخرى للبنات ، وسماها مدرسة عائشة رضى الله عنها ومسجدا .

واتخذ الشيخ العربى التبسى مدينة تبسة مقرا لدروسه الاصلاحية ، وأنشأ مسجدا ومعهدا لتعليم الطلبة الكبار ومدرسة للأطفال لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن ، وكان ينشر الاسلام في تلك النواحى الفيحاء وتمركز الداعية الكبير الشيخ الطيب العقبى في عاصمة الوطن ، واتخذ نادى الترقى مركزا لدعوته ومحاضرته ودروسه الاصلاحية ، وحل المؤرخ الجليل الشيخ مبارك الميلى عاصمة الجنوب ــ الأغواط ــ وكان داعية للاسلام في تلك النواحى ، وله تأليف جليلة منها تاريخ الجزائر ، والشرك ومظاهره ، وكذلك بقيت الأعضاء الآخرين ، كل واحد منهم اتخذ ناحية ينشر فيها الاصلاح والتعليم ، ويحارب البدع والخرافات ، وكل عضو من أعضاء هذه الجمعية المحترمة كان يجول في دائرته ويعقد اجتماعات يوجه فيها الأمة الى الدين ، فسرعان ما اقبلت على هذه المعاهد السلفية لترتوى من منابعها الصافية وكانت الجمعية تعقد اجتماعات عامة وخاصة سنويا في العاصمة ، فالاجتماع العام يحضره جمع غفير من الناس من كل ناحيةمن نواحى الوطن ، يقدم فيه رئيس الجمعية أعمالها التى انجزنها في بحر السنة الماضية بالتفصيل ، ويطلعهم على الأعمال التى تكون في المستقبل فيعاهدون بعضهم بعضا ويجددون العزم على مواصلة السير الى الأمام ــ ... ومن بعد تحضر الجماهير الغفيرة الى الحفلة العامة التى تقيمها الجمعيةليتكلمفيها الخطباء والشعراء ، فكان الحاضرون يسمعون البيان العربى يتدفق من ينبوعه صافيا ، فيثير هؤلاء الخطباء حماس الجماهير بفصاحتهم ويتأثرون بكلامهم ونصائحهم ، فكان هذا الاجتماع أشبه شيء بسوق عكاظ في الجاهلية .

سادت هذه الحركة الدينية القطر كاملا حتى أصبح المدرسون في كل ناحية يفتحون المدارس والنوادى ويؤسسون الجمعيات ويحثون الأمة على التمسك بالدين الحنيف والرجوع الى العمل بـه لتعيد مجدها وعزها ، وكانـت مقالات الارشاد والتوجيه الصحيح تنـشر على صفحات جرائد الجـمعية وتفضح أعمـال المستعمر ... صادفت هذه الحركة الاصلاحية ميلا في النفوس ،

وهوى من القلوب ، وأعجب بها الشعب أيما اعجاب ، فأقبل عليها من كل ناحية ولا سيما سكان المدن .

وصارت الأمة تتسابق الى انشا المساجد والمدارس الحرة ، وكانت تتعاون على نشر العلم والمعارف ، والتضحية في سبيل اصلاح الأمة بكل نفس ونفيس ، فأصبحت الأمة تعتنى بتربية ابنائها تربية علمية عصرية وطنية فكانت ترسل الكبار منهم الى الخارج ليتعلموا العلوم على اختلاف أنواعها ، اما الى فرنسا أو الى تونس ، أو الى المغرب الأقصى أو الى الأزهر الشريف بواسطة جمعية العلماء وبارشادها ، وأنشأت معهدا سمته باسم رئيس الجمعية في مدينة قسنطينة ، فأنتشر الاصلاح الدينى واللغة العربية في أنحاء الوطن ، فبدأت الحركة العلمية تسود المواطنين ، فصارت المدارس تعد بالعشرات والتلاميذ بعشرة الآلاف .

رجعت هذه الحركة الدينية الأمل في النفوس والثقة بالمستقبل ، والاعتزاز بالشرف القومى .

الشعب الجزائرى مسلم يستجيب للدين اذا وجد من يوجهه ويحافظ على تقاليده وعوائده ، ولا يتفاد الا به ، ولا يخضع الا له غير أن الأغلبية منه جاهلية بتعاليمه ، ولم يبق لها من الدين الا العاطفة ، ولهذا لمادعاه قادة الثورة باسم الدين فلب النداء في الحال وقدم في سبيل الدعوة الى الثورة كلما يملك من نفس ومال وجهد .

أسفرت هذه الدعوة المباركة أى دعوة الاصلاح عن استيقاظ الرأى العام .

هذه الهيئة هى التى بعثت الاصلاح والوطنية من جديد في الأمة الجزائرية ، وشمل الاصلاح جميع الميادين من سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية ..

حاربت هذه الجمعية الجهل المتفشى في المجتمع والفساد بجميع أنواعه وألوانه ، وآلت على نفسها ألا تترك العمل حتى تنهض الأمة مما تردت فيه ، وتتخلص من العوائد السيئة والتقاليد المنافية لتعاليم الدين حتى يعود الاسلام واللغة العربية الى هذا الوطن من جديد .

كان الاستعمار يحصى على هذه الجمعية أنفاسها ، فيلقى القبض على أعضائها ، ويزج بالمدرسين في السجن ، ويغلق المدارس فكان واقفا لها بالمرصاد لأن هذه الجمعية المحترمة كانت أشد عليه من الحركات الوطنية الأخرى المجردة عن الدين ، والفرق بين هذه الحركة ، وحركة الأحزاب الوطنية فحركة الأحزاب الوطنية سياسية محضة ، فاذا حصلت البلاد على الاستقلال لا تبالى بعد ذلك على أيى شكل يكون حكم البلاد ونظامه شيوعيا كان ، أم رأس مال ، بخلاف الحركة الدينية فزيادة على استقلال البلاد تريد أن تكون شخصيتها بارزة في الحكم ، وأن يكون مستمدا من روح الاسلام ومن القومية العربية ...

ومن العوامل التى ساعدت على تأييد الثورة في الجزائر وتشجيع الشعب على خوضها ميثاق جمعية الأمم التى أصدرته بعد الحرب العالمية الثانية ، ينص هذا الميثاق على منح الشعوب المستعمرة حق تقرير مصيرها بنفسها ، هذا الميثاق تحررت به شعوب آسيا وافريقيا تقريبا ، وكاد ظل الاستعمار الثقيل يتقلص من هاتين القارتين ، ولن يعود اليهما أبدا ، ولم يبق بين الدول الكبرى المتقدمة صناعيا ، والشعوب المتأخرة المغلوبة على أمرها الا المعاملات الحرة التى أساسها المحبة والمودة ... وكذلك من العوامل التى ساعدت على ابراز الثورة الجزائرية كفاح العالم الاسلامى المتواصل في الشرق والغرب ، بعثت هذه الحركة التحريرية حماسا فياضا في الشعب الجزائرى ، فمنذ بداية القرن الحالى والعالم الاسلامى يكافح ويناضل حتى استقلت شعوبه وتحررت من سيطرة الاستعمار بما في ذلك طرابلس الغرب من بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم جاء دور المغرب العربى الكبير ، فأخذت شعوبه تستعد وتتهيأ لخوض المعركة الفاصلة معركة التحرير الكبرى ، ولما لم يستجب الاستعمار لمطالبه الطبيعية وحقوقه الشرعية ثارت تونس في سنة 1951م وتابعها المغرب العربى .

وكان أول من أعلن العصيان في وجه الاستعمار جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله ، فكان يعارض القوانين التى تصدرها السلطة الفرنسية بشدة ، وكان يحضر اجتماع الأحزاب الوطنية

التى كانت تطالب بالاستقلال ، وكان يوجه الأمة نحو أهدافها الحقيقية ، ويؤسس المعاهد العلمية ، فأنزعجت فرنسا من هذه الأعمال ، فالقت عليه القبض ، وأبعدته عن بلاده مع عائلته الى جزيرة (مدغشقر) في المحيط الهادى فبقى فيها معتقلا الى أن تم استقلال المغرب العربى على يد شعبه الباسل .

كان الشعب الجزائرى في هذه الفترة ـ هاديا الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وكان متدمرا من هذا الهدوء الذى لا مبرر له في الوقت الذى ثار فيه شقيقانه ، وأحزاب هذه الأقطار كانت متضامنة فيما بينها بحيث اذا ثار قطر من الأقطار الثلاثة فبقيت الأقطار الأخرى تثور لآن الوطن واحد والمحتل واحد ... لكن قادة الشعب الجزائرى كانوا يعرفون عقلية الاستعمار المتحجرة وتعلقــه الشديد بالوطــن الجزائرى ، ومواقفه الصلبة تجــاه المواطنين لأنهم اصطلوا بناره منذ فتحوا أعينهم ، واختبروا سياسته في حــرب الهند الصينية رغــم بعدها الشاسع ، واصل الحرب فيها بضع سنوات فكيف بالجزائر التى لا تبعد عن فرنسا الا بمقدار ساعتين فقط عن طريق الجو ؟ وكانوا على يقين من أنه لا يريد أن يسمع باستقلال الجزائر لأنه يعتبرها أرضا فرنسية والجزائر مصدر القوة والثراء له ، وما دام يملكها يستطيع أن يسيطــر على البحر الأبيض المتوسط وعلى قــارةـ افريقيا . كان قادة الثورة متيقنين من هذا كله ، وزيادة على ذلك من أنه اذا ثار الشعب فان الاستعمار سيبطش به بطشا كبرا ، ولــذا يجب عليه أن يستعــد استعدادا كاملا بخلاف القطريــن الشقيقين ، فان لهما معه معاهدة حماية وكيانهما باق على كل حال ، أما الجزائر فهى مستعمرة هذا هو سبب التريث .

والحكومة الفرنسية من جهتها كانت تعرف مسبقا أن الجزائر لن تبقى مكتوفة الأيدى أبدا أمام هذه الثورة التى تجتاح المغرب العربى الكبير ، وتعلم أيضا شدة مقاومة الجزائريين وصلابة مواقفهم ، ولهذا لما ثارت الجزائر سنة 1954م تساهلت فرنسا مع الشعبين الشقيقين في الاستقلال ، وجمعت قوتها ورمت بها الثورة الجزائر العارمة الكبرى .

ومن العوامل التى دفعت الأمة الى اعتناق الثورة هى ضغط الحكومة الفرنسية نفسها على الشعب وتنكيلها به تنكيلا شديدا ظنا منها أنه يرهب القوى ويتراجع عن الثورة .

ففى بداية الثورة وقفت الأمة الجزائرية منها موقف الحذر والتريث حتى يتضح أمرها غير أن الحكومة الفرنسية اعتبرت الأمة كلها ثائرة من أول وهلة فكان اذا أحدث الثوار شيئا من أعمال التخريب في ناحية ما من نواحى الوطن تسلط عذابها على جميع سكان الناحية لا فرق بين البرىء والمتهم ، ولا بين صديقها وعدوها فتنكل بأصدقائها الخلص كما تنكل بأعدائها ، ولما رأى المحايدون واصدقاؤها هذه الحالة أصبحوا ثائرين .

وكذلك من الأسباب القوية التى أرغمت الشعب على خوض غمار الثورة ، وتأييده لها بكل ما يملك من قوة وجهد المنظمة الارهابية التى أسسها غلاة المعمرين وأطلقو عليها اسم اليد الحمراء ...

هذه المنظمة أهلكت الحرث والنسل ، وخربت الديار ، والبلاد وأتلفت الأموال ، وأزهقت الأرواح بالمآت ، وعاثت في الأرض فسادا كبيرا ، فكانت تدك المنازل دكا ، وتدهم السكان ليلا ، فتروع النساء والصبيان ، وتخطف الشخصيات في لباس النوم ، فتنفذ فيهم حكم الاعدام حالا ، وكانت تفعل هذه المناكر الوحشية على مرأى ومسمع من الحكومة ، فضج الناس من هذه الأعمال الوحشية ، وأصبح الناس يلتحقون بالثورة رجالا ونساء وهذه المنظمة الملعونة تأسست في أول الثورة وبقيت الى نهايتها .

ولما تحققت أن الثورة في تصاعد والجيش الفرنسى في حالة عجز عن اخماد الثورة فسلحت السكان الأوربيين وتواطأت مع قادة الجيش الفرنسى على ابادة الشعب فكانت تشحن السيارات بالمتفجرات الشديدة المفعول وتضعها في مراكز العمل ، أو في المحلات العامة ، فتنفجر هذه المواد ، فيسقط الناس بالعشرات موتى وجرحى ، والسكان الأوربيون يطلقون النار من الشرفات على المارين في الطريق فيتساقطون ما ترى الا الجثث المنتشرة هنا

وهناك ، وتضع القنابل لهدم المنازل ونسف المحلات التجارية وغيرها ، وتخريب منشآت الحكومة واتلاف ما فيها كالمستشفيات والمعامل والمدارس ، والمكتبات العامة الى غير ذلك من التخريب العام الشامل ، بحيث ما كاد الأوربيون يغادرون البلاد حتى تركوا اقتصادها مخربا ومنهارا تماما .

لهذه الأعمال الوحشية وأمثالها شجعت الشعب على خوض الثورة والدفاع عن النفس والأموال والعرض ، ولا طريق له الا هذه الطريق فهو مرغم على سلوكها ، ولهذا وقف كرجل واحد في وجه الاستعمار طيلة سبع سنوات ونصف ، والحرب متواصلة ليل نهار ، والمعارك دائرة رحاها في كل ناحية ، وكان في زحفه الشديد ينتقل من نصر الى نصر ، ومن قوة الى أقوى حتى اعترف الاستعمار له بحق تقرير مصيره في الحرية والاستقلال .

الاستعداد للثورة

كانت حركات الانتصار للحريات أكثرها اتباعا من الأحزاب الأخرى ، وأشدها استعداد للكفاح المسلح ...

ففي سنة 1947م قام بعض المناضلين من هذه الحركة يطالبون بسرعة الاعداد للثورة ، وقد تمكنوا فعلا من انتزاع قرار من المكتب السياسي لهيئة التنظيم السرى الذى يهيء وينظم الاستعداد للقتال ، وفعلا تشكلت منظمة سرية وأطلق عليها أسم (لوص) معناها الشباب الثورى ، وعهد بقيادتها الى السيد أحمد بن بله وجماعة أخرى معه كالسيد محمد بن الوزداد ، والسيد بوجمعة سويداني ، وسرعان ما اندمج الشباب الثورى في هذه المنظمة ، وهذه التشكلات العسكرية كانت هى نواة جيش التحرير فيما بعد .

أخذت (لوص) تنتشر وتتسع حتى شمل تنظيمها كل أقاليم الجزائر ، وكانت دائبة على تدريب أعضائها على السلاح ، وقسمت القطر الجزائرى الى خمس ولايات كل ولاية تشتمل على 23 دائرة ، وكل دائرة تضم عددا من الخلايا ، وحرصا على هذا التنظيم السرى حدد أعضاء الخلية بثلاثة أفراد لا يعرفون غيرهم ، وقد نجح هذا التنظيم السرى نجاحا كبيرا فكانت السلطة الفرنسية تجهل وجوده تماما ، وفي 1950م اكتشف الفرنسيون التنظيم السرى في مقاطعة وهران فتعرض أعضاؤه لحملة من الأرهاب والتنكيل ، وقدم رئيس هذا الجهاز السرى للمحاكمة مع بضعة وعشرين شخصا من أعضائه ، وحكم عليهم بمدد متفاوتة بالسجن بتمهة التأمر على سلامة الدولة .

وفي خلال اكتشاف هذا النظام السرى كان الخلاف الحزبى قد تعمقت جذوره ، وتعرض لهزات عنيفة فقدته السيطرة على هذا التنظيم ، وفي سنة 1952م عقد قادة الحزب في الجزائر العاصمة مؤتمرا في غيبة زعيمه الحاج مصالى ، واتخذوا عدة قرارات منها تاليف لجنة جديدة لقيادة الحزب . من ذلك الوقت أصبحت هذه

اللجنة تعرف باللجنة المركزية للحزب ، لكن سرعان ما كان رد الفعل من طرف زعيم الحزب فاصدر بيانا بحل هذه اللجنة المركزية...

بدأ الشعب يتذمر من حركة الانتصار لأنها اشتغلت بالخلاف الحزبي في وقت لم تسمح لها الظروف بذلك ، لأن الوقت يدعو الى الاتحاد والعمل والتكتل نظرا للثورة التى كانت مشتعلة الأوار في القطرين الشقيقين ، وليس من المعقول أن تتمادى هذه الحركة في نزاعها فتضيع الفرص المواتية من بين أيدى الشعب ، وتذهب المصلحة الوطنية .

مل الشباب المتحمس هذه السياسة وسئم الانتظار وأمقت هذا الانشقاق الذى وقع في صفوف المناضلين وأصبح ينظر باستخفاف وسخرية الى مشاحنات السياسيين ، وعلى هذا الاعتبار قرر الشباب المتحمس أن يستقل بالعمل عن الفريقين معا فأنشأ لجنة وأطلق عليها أسم (كريا) معناها جمعية الكفاح الوطنى الثورى ، ولم تلبث يسيرا حتى اندمجت مع بقية منظمة (لوص) وأصبح الجميع يعرف باسم (كريا) وهذه اللجنة كانت مؤلفة من تسعة أشخاص ، ثلاثة منهم كانوا يقيمون في القاهرة وهم محمد خيذر ، وآيت أحمد ، وانضم اليهما أحمد بن بله بعد ما تمكن من الفرار من السجن وذلك في سنة 1952م ، أما الستة الآخرون هم : رابح بطاط ، كريم بلقاسم ، محمد العربى بن المهيدى ، محمد بوضياف ، مراد ديدوش ، مصطفى بن بو العيد ، وكانت الملاقاة بينهم دائما في جنيف .

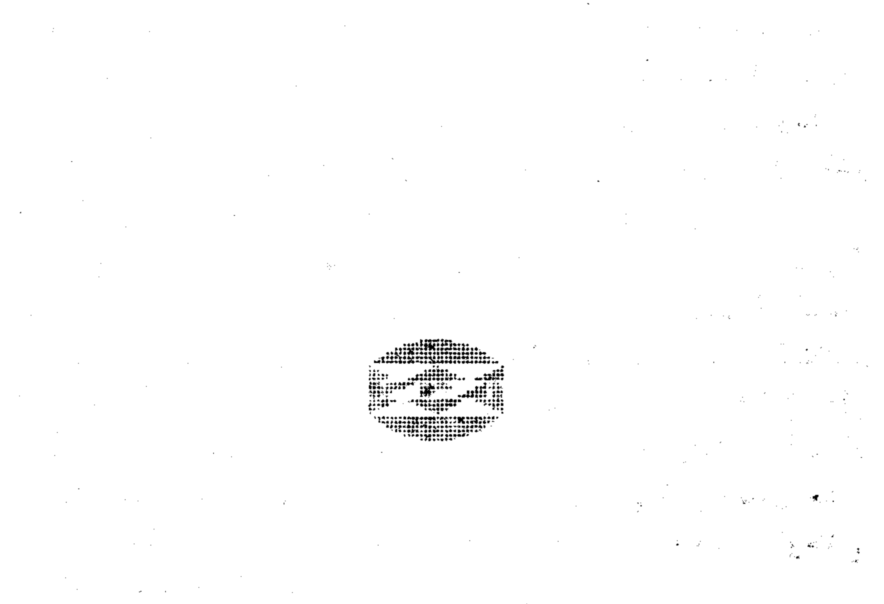
وفي أبريل سنة 1953م عقد قادة (كريا) اجتماعا سرا بمدينة الجزائر اتفقوا فيه على الاحتفاظ بمركز القيادة العامة لأحمد بن بله على أن يقوم به في القاهرة بالادارة السياسية والتنظيم الخارجى للثورة وانتهى الاجتماع باصدار منشور وزع على المناضلين ، واستمرت (كريا) في تغذية الجماهير بالمنشورات في الوقت الذى كان يدور فيه التنظيم الثورى على قدم وساق حتى اذا ما أقبل عام 1954م كانت الجمعية الثورية للكفاح الوطنى قد أمتدت منظماتها الى أكثر مناطق الجزائر ...

وفي شهر يوليو 1954م اجتمع اثنان وعشرون شابا هم قادة العناصر الثورية لمنطقة العاصمة وقسنطينة ووهران وأصدروا

نداء الى الشباب الوطني يدعونه الى وقف النزاع الحزبي ونبذ الخلاف والفرقة والتجمع على صعيد الكفاح المسلح ضد الاستعمار ...

وفي منطقة القبائل اجتمع ثلاثة وعشرون شابا وهم قادة التنظيم الثوري في بلاد القبائل ، وقرروا تلبية الدعوة الى بدء الكفاح المسلح ، وذهبوا بدورهم يهيئون القوة الوطنية للقتال .

وفي 20 يوليو خرج أول فريق للثوار الى جبال أوراس حيث اتخذوا من قرية (ونز) مقرا لقيادتهم ، ومنها بدأوا ينتقلون ما بين المدن والقرى الجبلية لجميع المتطوعين وتدريبهم على القتال وكانت قيادة هذه المنطقة تنتقل ما بين العاصمة وقسنطينة والقبائل ووهران ، وبعد هذه الجولة التي استمرت ثلاثة أشهر كانت عوامل الثورة قد نضجت ولم يبق الا توجيه الضربة الأولى .



تخطيط للثورة وتنسيقها في الداخل والخارج

في شهر يونيو سنة 1954م اجتمع ستة من الجزائريين الثوريين المناضلين وهم السادة : مصطفى بن بو العيد ، ومحمد بن العرب بن المهيدى ، وبطاط رابح وبوضياف محمد ، وديدوش مراد ، وكريم بلقاسم ، وكانوا متصلين بالثلاثة الآخرين الذين هم في القاهرة .

نظر هؤلاء الثوار فيما يدور حول الوطن من المعارك الشديدة التى تجرى في القطرين الشقيقين فقرروا الاعلان عن الثورة خوفا من اضاعة الفرص ، واطلاع الاستعمار على خطتهم السرية ، فرسموا للثورة تخطيطا محكما ، وتنسيقا في الداخل والخارج ، واتخذوا المركز الرسمى للثورة في القاهرة ، وعلى الحدود الجزائرية من جهة تونس ومراكش مراكز للذخيرة والمؤن ، ومستشفيات لمعالجة المرضى والجرحى ومأوى للفارين من الحديد والنار ، وملاجيء للمشردين والتائهين وتدريبا للجنود ، ومن بعد ما يتم تدريبهم يدخلون الى الوطن ليبيا شروا العمليات الحربية ، وكان قادة الثورة الذين يشرفون على تسيير العمليات العسكرية التى تدور رحاها في الوطن من هذه المراكز .

انقسم هؤلاء الثوار الى طائفتين : طائفة ذهبت الى الخارج تبث الدعاية وتهييء الجو العالمى وخاصة المسلمين الذين تربطهم بهم رابطة قوية ، لأن العالم الاسلامى باعتبار الروابط الدينية واللغوية والتاريخية ووحدة المصير المشترك أمة واحدة ، ولهذا لما أحتل القطر الجزائرى سنة 1830م من طرف الاستعمار الفرنسى أصبحت الأقطار الأخرى كلها مهددة بالاحتلال ، ومن بعد سقطت واحدة تلو الأخرى في قبضته ، وكذلك لما اندلعت الثورة في الشرق العربى الاسلامى امتد لهيبها المقدس الى شمال افريقيا فتحرر كما تحرر الشرق .

اتصل الثوار الذين ذهبوا الى الخارج بالحكومات العربية وبرؤسائها وبأجهزة الاعلام ، وعقدوا صفقات تجارية مع المنظمات الغربية لشراء السلاح والمعدات الحربية .

وما كادت الثورة تتغلغل وتعمق في الوطن حتى كانت اذاعات الدول العربية تشيد بأعمال المناضلين ليطلع العالم أجمع على ما يقع في هذه البلاد ، وفي مقدمة هذه الاذاعات اذاعة صوت العرب من القاهرة التى لها الفضل الأكبر في اثارة الجماهير الجزائرية وتحمسها للثورة ، والمذيع المشهور السيد : أحمد سعيد رمضان لم يدخر وسعا ، ولم يألو جهدا في التعريف بالقضية الجزائرية والتنديد بالاستعمار ، فانه رافق كفاح الجزائريين من أوله الى آخره ، كان يذيع باللغتين العربية والفرنسية ، هذه الاذاعات لها فضل كبير في توحيد الصفوف وايقاظ الرأى العام ولفت أنظاره الى القضية .

وكان القادة يعقدون ندوات صحفية في عواصم العالم الكبرى ، فتنقلها هذه الاذاعات في حينها ، وسفراء الدول الإسلامية كانت ألسنة حدادا في الدفاع عن الجزائر في جميع المحافل الدولية ، وشعوب الشرق العربى كانت تنظم أسبوعا كاملا في كل سنة لجمع التبرعات الشعبية ، بل خصصت مقدارا كبيرا من ميزانيتها العامة تدفعها للجزائريين في كل سنة ، وكانت هذه الحكومات تأوى اللاجئين وتمد الثورة بالعتاد والذخيرة الحربية ، في كل وقت وتداوى الجرحى في مستشفياتها وتمنح الرخص لمسيرى الثورة ليتجولوا في البلاد لبث الدعاية في أقطار العالم ، وتبنت شعوب آسيا وافريقيا قضية الجزائر في جميع مراحلها وأطوارها ، وتولت الدفاع عنها لدى جمعية الأمم فكانت تشرحها للوفود شرحا مفصلا ، وترد على أقوال العدو ، وتفند آراه وحججه وتسعى في جلب أصوات الوفود الأخرى للقضية عند الاقتراع .

انقسمت الهيئة الأممية في قضية الجزائر على قسمين فالدول الشرقية والاشتراكية كانت تؤيد القضية الجزائرية وتناصرها ، أما الدول الغربية فانها وقفت بجانب الاستعمار الفرنسى تشد أزره وتؤيده في عدوانه وظلمه ، وكانت تعارض بشدة عرض

القضية الجزائرية على جمعية الأمم ، ولكن رغم هذه المعارضة عرضت أكثر من خمس مرات على هذه الهيئة ...

ولما اقتنعت الهيئة الأممية بعدالة هذه القضية وتحققت من أن فرنسا لم تكن جادة في حلها بدأت تتذمر منها وكانت توصي في كل مرة تتقدم فيها القضية بأن تحل حلا سلميا على مقتضى قرار هيئة الأمم .

وكانت وفود آسيا وافريقيا في هذه الجمعية لا تريد مناقشة القضية الجزائرية على هذا المنبر العالمي الا تفهيم الرأى العام في هذه القضية العادلة . وأما انها متيقنة بأن الصلح لا يكون الا مع فرنسا وحدها .

وبمجرد الاعلان عن الثورة في الجزائر كان لها صدى كبير ، واعانة فعالة من طرف العالم الاسلامى ، بل اعتبرها ثورته ،

وبفضل هذه الدعاية الحكيمة والخطة الرشيدة توصل قادة الثورة الى أهدافهم التى رسموها من أول مرة ، فأصبحت ثورة الجزائر حديث المجالس العالمية سواء منها الخاصة أو العامة وبفضل الدعايـة المحكمة جلبـت عطف الشعوب ، وأصبحت تنظـر الى الجزائريين بعين الاكبار والاعجاب ، وكسبت أصدقاء في الخارج ، فكانوا يمدونها بما تحتاج اليه من اعانة أدبية ومادية ، واحتلت الصدارة في صحف العالم ، وألفت فيها عدة أسفار تنويها ببطولة الشعب واعجابا بعبقريته الفذة ، قام القادة بهذه الأعمال كلها ، وبالفعل جعلوا قضية الجزائر قضية عالمية لا محلية كما تدعي فرنسا .

أما الطائفة الثانية فانها توزعت على القطر الجزائرى لتقود المنظمـات السريـة التى كانـت تحـت اشرافهـا ، والاتصـال بالشخصيات البارزة من الشعب لتلقين النظام الذى تسير عليها الثورة ...

سار هذا النظام منذ بدء الثورة على عاملين أساسيين : العامل الأول هو ايجاد القوى التى بها تستطيع الثورة أن تقف في وجه العدو ، بحيث تحمي نفسها منه وتدافع عن وجودها ، ولهذا ما كاد الشباب يسمع باعلانها حتى نفر الى مراكز التجنيد الموجودة

في قمم الجبال ، وهذا بفضل الدعاية المحكمة والأعمال المنسقة ، فكانت الأمة الجزائرية تتسابق الى الثورة رجالا ونساء بحيث لو كان لـدى القادة السلاح الكافى لانخرط الشعب كله في سلـك المجاهدين ولكنهم كانوا يقبلون من الشباب قدرما يحتاجون اليه ، والذى يليق منهم بالخدمة العسكرية ، وكان المشرفون على التجنيد يشترطون فيمن يريد أن يلتحق بجيش التحرير أن يبرهن على حسن نيته بحادثة ما من الحوادث الفدائية تعين له ليكون مقبولا ، والباقي من الشباب يرجئونه الى مناسبة أخرى ، أو يستغلونه داخل المدن والقرى يعمل ما من أعمال الثورة ، وكانو يرغبون في الشباب المثقف الذين لهم علم أو صناعة أو مهنة ، وجلب القادة الفنيين من الخارج لتدريب الجنود على حرب العصابات والسلاح الذى يأتي من الخارج تدريبا عصريا حتى أصبح الجند من جيش التحرير كامل الأدوات والمعدات الحربية لا ينقصه شيء عن الجند العصرى في الأمم الراقية ...

ولما يتم تدريبهم يرسلونهم الى داخل الوطن أو جهات معينة منه أفواجا وكتائب متـتابعة ليصطدموا بالجـيش الفرنسى في معارك واشتباكات عنيفة تستمر أياما وليالى ، وعندما يتم تسليح الجند الجزائرى تظهر بطولة أبناء الأطلس التى هى سليقة فيهم ، واذا بلغ الاتحاد مكانة من الأمة ، الجزائرية والاحساس من مشاعر أفرادها رأيت في الدهماء منها والخاصة همما تعلو وشيماتسمو ، واقداما يقود ، وعزما يسوق فيصبح الكل يطلب السيادة والغلب ، فتتلاقى هممهم وتتلاحق عزائمهم في سبيل المجد ، فيزيلون كل من يقف في طريقهم من الصعاب ، فكان جيش التحرير ينزل ضرباتــه القاصمة بالعدو فيتمكن الرعــب من جنوده وفيالقــه فيلوذون بالفرار ويولون الأدبار .

والعامـل الثانى هى الدعايــة التى اتخذهــا الثوار لاثــارة الشعــب ، وبفضلها ثارت الأمــة الجزائرية ، وكانت تقبــل على التضحيات على اختلاف أنواعها ، وهى التى وحدت صفوف الشعب ، وكان الدعاة يتقنون أساليبها اتقانا عجيبا ويحذقون فنونها تمام الحذق ، واعتمدوا فيها على الدين ، فكانوا يقولون للأمة الدين قــد أوجب عليكم جهاد الكفار بأمــوالكم وأنفسكم ، ويلزمــون

الجند باقامة شمائره من صلاة وصيام واقامة الحدود الشرعية على السكارى والزناة والمعتدين على الحرمات التى حرمها الاسلام ويطبقون أحكامه على الأمة ويعلمونه للأبناء ، والأمة الجزائرية ـ كما قلنا ـ متأثرة بالدين ، فلما رأت الثورة سائرة على منهج دينى اندفعت في أحضانها بقضنها وقضيضها ، وكثيرا ما كان الناس يطلبون الاستشهاد في سبيل الله .

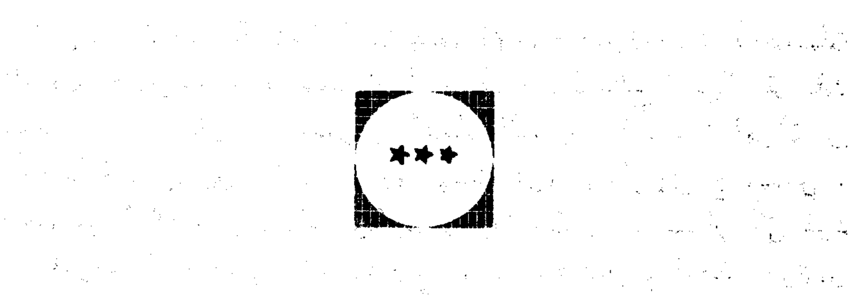
والناحية التى لا يزال سكانها لم يثوروا بعد على الاستعمار فاذا قصدها الثوار فتثور في الحال وتصير مسرحا للحوادث الدامية ، فيعمدون الى قتل معمر أو خائن أو نسف شيء من منشآت الحكومة ، فتعاقب هذه السكان من دون تفريق أو تمييز ، ولما رأى سكان هذه الناحية العقاب الجماعى فيلتحقون بصفوف الثوار ، وكانت هذه خطة الحكومة في كل ناحية تقع فيها الحوادث .

جند قادة الثورة كل من كان له مقدرة من الرجال والنساء حتى الصبيان على العمل ، وكذلك جنود المسلمين الذين هم كانوا في صفوف الجيش الفرنسى ، وكان كل واحد من هؤلاء المجندين يندس بين الناس ، وينقل الى الثورة كلما يهمها من الأعمال والأقوال ويدعون الى مؤازرتها ... أصبحت الثورة بفضل هذه الخطة المحكمة حديث البيوت والمجالس الشعبية ، وكانت هى الشغل الشاغل للأمة فكان كل فرد مهتما بها ، والأخبار عن حوادث الفدائيين كانت كالسيل الجارى لا تنقطع أبدا ، والناقلون لها يتفلسفون فيها فلسفة عجيبة بحيث يحيطونها بهالة من التقديس والمجد حتى يتمنى كل فرد أن يشارك فيها ليكون بطلا وزعيما ...

بهذه الدعاية المحكمة تشجعت الأمة وارتمت في أحضان الثورة ، وسرعان ما تناست كلما كان لها من مصالح فردية ونزعات شيطانية ، وصارت تتنافس في أعمال الثورة ، فخرجت المرأة من خدرها الى ميادين القتال ، وأصبحت تزاحم الرجل في العمل ، وصاحب المال أخرج ماله ليكون وقودا للثورة ، فصار كل فرد من أفراد الأمة مسؤولا عنها وفي أوت سنة 1956م انعقد مؤتمر للثورة في وادى ابن سلام أيى (واد الصومام) تأسس فيه مجلس وطني وانبثقت عنه لجنتان لجنة للتنسيق ، وأخرى للتنفيذ ... فلجنة التنسيق كانت تنسق البرامج لكل عمل من أعمال الثورة

فقسمت القطر الى ولايـات ، وأسندت كـل ولاية الى ضابـط عسكرى يدير شؤونها مع مستشاريين ، فيتسلم هذا الضابط من هذه اللجنة السلطة العسكرية والمدنية ويصبح مسؤولا عما يقع في منطقته لأنه هو القائد العام لها فيدير العمليات العسكرية على اختلاف أنواعها ، وينظم الخلايا السرية ، ويشرف على أعمال الفدائيين ، ويبث العيون والجواسيس في صفوف العدو ومراقبة حركاته وتنقلات جنده مراقبة تامة ، ونقل أخباره الى القيادة العامة ، والوقوف بالمرصاد للخونة والجواسيس ويحكم المدنيين ، ويرعى مصالحهم وشؤونهم العامة ، فيحافظ على أمنهم وسلامتهم والدفاع عنهم وتقييد المواليد والوفيات ، وأخذ الاشتراكات والتبرعات والزكوات وجمع المؤن من سلاح وكسوة وحبوب وغيرها ، والنظر في الخصومات التي تقع عادة بين الناس بواسطة لجنة تعين أفرادها الهيئة العليا للمنطقة ، فكان القضاة ينصبون مجالسهم للحكم في القضايا والنوازل ليلا ، وذلك بمحضر الخصوم والشهود ، والحكم الصادر ينفذ في الحال ، كل هذه الأمور وغيرها يكون رئيس الولاية هو الآمر بها ، وعلى علم من تنفيذها ، وعلى اتصال تام مع لجنة التنسيق فيما يجرى في منطقته من الحوادث .

أما البنود التي اشتمل عليها هذا المؤتمر فيما يخص توقيف القتال والتفاوض مع فرنسا فانه سيأتى فيما بعد .



تكـويـــن جبهـــة التحـريـــر

في اليوم العاشر من تشرين الأول سنة 1954م اجتمع قواد التنظيم الثورى بمدينة الجزائر في أحد بيوت المواطنين لبحث الخطوة اللازمة اتخاذها بعد أن تهيأ الاستعداد الثورى المسلح المنظم للعمل ...

قرر المجتمعون أن يأخذوا على عاتقهم المسؤولية التاريخية باعلان بدء الشعب الجزائرى كفاحه الوطني المسلح هذا الكفاح الذى تبلور خلال المعارك في الثورة المظفرة الحاضرة وكانت مجهودات التنظيم الثورى قد أصفرت عن ثلاثة آلاف ثائر وطنى من مختلف مناطق البلاد ، وعلى رأسهم ستة من الشباب الثورى ، هم الذين التأم عقدهم في هذا الاجتماع ، ولما اطمأنوا الى ما تحت أيديهم من تنظيم ثورى مسلح قرروا بدء المعركة ، وحددوا ميقاتا لها بحيث يعلن عنها في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أول نوفمبر 1954م وفي هـذا الاجتماع التاريـخى اختفى اســم (كوريا) وبرز اســم جبهة التحرير الوطنى التى توحدت فيهـا جميع العناصر الثورية وجميع طبقات الشعب .

وما كادت الثورة تبدأ أعمالها حتى ذابت فيها جميع الأحزاب والهيآت ، ولم يبق الا الزعيم الحاج مصالى والفريق الذى ثبت معه ، وقد خسر كثيرا من اتباعه لأنهم انضموا الى الثورة وذهبت سمعته ولم يعدله نفوذ ...

رسمت جبهة التحرير ميثاقا وطنيا وأهدافا للثورة وهذا الميثاق هو دستور الكفاح الشعبى الوطنى ، فصدر نداء جبهة التحرير الأول الى جماهير الشعب الجزائرى يوم 31 أكتوبر سنة 1954م يعلن أهداف الثورة وميثاقها ، ويدعو الشعب الى تأييدها والاندمـاج فيها ، هـذه الأهـداف : هى التحرير الكامل مـن الاستعمار ، واقامة حكومة وطنية ديمقراطية جمهورية ، كما ألقى هـذا المنشور تبعة تأخـير القضية الوطنية على التوجيـه الخاطىء الذى كان يقوم به قادة الأحزاب السياسيين ، وأعلن

هذا الميثاق أن الثورة مكونة من الشباب الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية قيادة الكفاح الشعبى في طريقه الثورى السليم لأنهم يمثلون الأحزاب والهيآت والعناصر الوطنية وانتهى الى مناشدة الشعب وتأييد الجبهة والالتفاف حولها .

تولى هؤلاء القادة الستة القيادة العسكرية فتوجه كل واحد منهم الى المنطقة التى حددت له ليقود ثورتها وفق ما يلى : ديدوش مراد قائدا في شمال منطقة قسنطينة ، ابن بو العيد قائدا في جبال الأوراس ، بطاط رابح في العاصمة ، محمد بن المهيدى العربى قائدا في وهران ، كريم بلقاسم في منطقة بلاد القبائل ...

وعلى اثر اتخاذ هذه القرارات السابقة ، كلف هؤلاء القادة محمد بن بوضياف أن يلتحق بالقادة السياسيين الذين هم في القاهــرة ليفضى اليهم بنتائــج الاجتماع ، وليعمــل معهم عــلى قيادة الثورة من الخارج وتزويدها بما تحتاج اليه من سلاح ومال مستندين في ذلك الى معونة الشعوب العربية ، كما عهد اليهم بتعبئة رأى العالم الدولى لمناصرة الثورة وفضح جرائم الاستعمار ولما نشط القادة العسكريون في خوض المعارك نشط كذلك القادة السياسيون في الخارج في تكوين فروع لجبهة التحرير في القاهرة وعواصم الدول الكبرى ...

تم الاعداد والتنظيم بين الجماهير الشعبية في ثلاثة أشهر وقد تم في سرية ونظام دقيقين ، فلم تشعر السلطة الفرنسية بتكوين الجبهة الا بعد صدور أول منشور لها وكان قلم المخابرات السرى الفرنسى يجهل هذه الحركة تماما حتى فوجئت الحكومة بالثورة ، وأعلنت عن غفلة من أعين الرقباء ، والشعب ، وان كان وجودها متوقعا لكنها جاءت على أيدى أناس لا يعرف عنهم الشعب أكثر من أنهم أتباع ومأمرون لا متبوعون ، أما كونهم كيف انفصلوا عن حركة الانتصار ، وأصبحوا يعملون للثورة المسلحة سراحتى تهيأت أسبابها ولوازمها فأعلنوها للشعب وللعالم أجمع ؟ فهذا لم يكن يخطر على بال أحد سواء من الأمة أو الحكومة الفرنسية .

ولاهمية هذا النداء نبته هنا كاملا وهذا نصه ...

الجزائر 31 أكتوبر 1954م جبهة التحرير الوطنى الى الشعب الجزائرى ... الى المكافحين في سبيل القضية الوطنية ، اليكم

وحدكم نتوجه بندائنا هذا ، فأنتم الذين ستكونون لنا أو علينا ... الى جماهير الشعب بصفة عامة ، والمكافحين بصفة خاصة ... الغرض من اصدار هذه المنشورة ، هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التى دفعتنا الى الكفاح ، وكذلك لكى نشرح لكم برنامجنا .

ان كفاحنا مبني على أساس التحرير الوطنى في نطاق الشمال الافريقى ، كما أننا نرغب في أن ننزع عنكم تلك البلبلة التى يعمل على تمتينها الاستعمار وعملاؤه من الاداريين والسياسيين المتعفنين ، ونعتبر — قبل كل شيء — أن اقتراب حلقة كفاحنا الماضية قد وصلت اليوم الى حلقتها الأخيرة ، ان مراحل كفاحنا الطويل ، قد وصل اليوم بالحركة الوطنية الى مرحلتها الأخيرة ، تعمل حركتنا الثورية على توفير كل الظروف المواتية لحفز كفاحنا التحريرى ، ونرى أن يكون الشعب في النطاق الداخلى موحدا تحت شعار الاستقلال والعمل ، وفي النطاق الخارجى ستعمل ثورتنا على ايجاد الجو الهادىء الذى يساعد على حصولنا على معونة اخواننا العرب وحل مشاكلنا الثانوية بالطرق الدبلوماسية ان الحوادث الثورية الجارية اليوم في كل من مراكش وتونس لتبين بوضوح كيف يكون الكفاح التحريرى لشمال افريقيا ؟ وفي هذا بالخصوص نود أن نقول بأننا كنا منذ زمن طريل أصحاب فكرة ووحدة شمال افريقيا ، وتوحيد الكفاح والعمل من أجل التحرير والوحدة المنشودة ، ولكن لم تتكون هذه الوحدة بكل أسف حتى اليوم ، الا أننا نرى اليوم كلا من تونس ومراكش قد أخذت بعزم طريق الكفاح المشترك من أجل الحرية والوحدة بينما تخلفنا نحن عن المسير ، وبقينا نعانى آلام من سبقنا في الطريق الذى كان من واجبنا أن نكون أول من سلكه ، فقد كنا في الماضى أصحاب الدعوة لهذا الطريق ، وهكذا تنكبت حركاتنا الوطنية بسبب اعوام مضت علينا من الخمول والعمل الروتينى والتوجيه الخاطىء ، وافتقاد التأييد الواجب من الرأى العام ...

كل هذه الظروف والعوامل جعلت الحركة الوطنية تتكمش يوما بعد يوم وهذا ما جعل الاستعمار يعتقد أنه أحرز من وراء ذلك نصرا كبيرا في حربه ضد القوى التقدمية الجزائرية .

الساعة خطيرة ، وتخشى أن يستمر الحال على ما هو عليه فيستعصى من بعده العلاج ، ولذا قام نفر من الشباب المكافحين المخلصين ، وتحملوا مسؤولية الكفاح على عاتقهم وجمعوا حولهم اغلبية العناصر الوطنية الشريفة من مختلف الأحزاب والهيآت والطبقات مكونين بذلك جبهة وطنية متحدة ، وبذلك يتحقق الوقت الذى يمكننا فيه أن نخرج القضية الوطنية من طريقها المغلق الذى أوجدها فيه نفوذ السياسيين المحترفين ، وكفاحهم حول أشخاصهم الى طريقها الصحيح في جانب اخواننا المراكشيين والتونسيين في المعركة الثورية الحقيقية .

أولا : هدفنا الاستقلال الوطنى ـ اقامة حكومة جزائرية ديمقراطية ذات سيادة في نطاق النظام الاسلامى ـ احترام جميع الحريات العامة بدون تمييز بين لأجناس والعقائد .

نحن نؤكد في هذا الجانب اننا مستقلون عن الجانبين اللذين يتنازعان السيادة الحزبية ، وفقا للمبادىء الثورية ، لا تكون حركاتنا موجهة ضد أى هدف كان سوى الاستعمار ، الذى هو عدونا الوحيد العنيد الأعمى الذى يرفض دائما أن يمنحنا أقل حركة بوسائل الكفاح السلمى ، لقد وضعنا المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار شخص ، ونحن نعتقد أن كل ما سبق أسباب كافية لكى ندخل التجديد على حركاتنا ، فنتقدم اليكم تحت اسم جبهة التحرير الوطنى ، وذلك لنتجنب كل الأخطاء الممكنة ، ونقدم امكانيات الكفاح الوطنى لكل المواطنين الجزائريين من كل الطبقات الاجتماعية ومن كل الأحزاب والحركات الجزائرية الخالصة النقية لنخوض معركة التحرير دون أى اعتبار آخر ، ولكى نبين لكم بدقة أهداف كفاحنا نرسم فيما يلى الخطوط الرئيسية لبرنامجنا السياسى .

ثانيا : الناحية الداخلية ـ اجراء عملية تطهير سياسية لاعادة الحركة الوطنية الى طريقها الطبيعي وبذلك نمحى كل ما بقى من الفساد الذى تسبب في تأخيرنا الحالى .

I ـ تنظيم وتعبئة النشاط الثورى للشعب الجزائرى للقضاء على النظام الاستعمارى .

ثالثا : الناحية الخارجية ـ الخروج بالقضية الجزائرية الى المجال الدولى .

أ ـ أن يكون الشمال الافريقى موحدا في نظامه الطبيعى وهى العروبة والاسلام .

ب ـ تأكيد محبتنا الفعالة لكل الشعوب التى تساعد حركتنا التحريرية .

رابعا : أساليب الكفاح : استمرار الكفاح بكل الوسائل حتى تتحقق أهدافنا وفق مبادينا الثورية في المبادىء الثلاثة السابقة ، ولكى نحقق أهدافنا سيكون لجبهة التحرير الوطنى عاملان رئيسيان يؤيدهما معا عمل داخل سياسى وحزبى ، تقوم بهما في ميدان السياسة والحرب ، وعمل خارجى يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام دول العالم وشعوبه مع التحصيل على معونة حلفائنا الطبعيين من اخواننا العرب ، وهذا العمل شاق يتطلب تعبئة كل القوى والموارد الطبيعية ...

سوف يكون الكفاح شاقا وطويلا ولكن النتيجة النهائية مؤكدة ببلوغ أهدافنا ، وأخيرا كى نبين رغبتنا في السلام ونتجنب الخسارة في الأرواح وسفك الدماء واراقتها ، نقدم للمناقشة عرضا شريفا الى السلطات الفرنسية ، ان كانت هذه السلطات تنطوى على نوايا حسنة بأن تبادر الى الاعتراف لكل الشعوب التى تستعمرها بحق تقرير المصير ، ونحن اذا نقدم هذا العرض انما لنسد الطريق على الذين قد يحلو لهم أن يسيئوا تأويل حركتنا من العناصر المتمردة وعرضنا يتلخص في الأتى :

أ ـ فتح مفاوضات مع المخولين لسلطة التحدث باسم الشعب الجزائرى على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية .

ب ـ التمهيد لهذه المفاوضات يجب أن نخلق جوا من الثقة وذلك بالافراج عن المعتقلين السياسيين ، ورفع كل الاجراءات الاستثنائية وفق تلك التى تتخذ ضد القوى الوطنية المكافحة .

ج ـ الاعتراف بالجنسية الجزائرية ، وذلك بموجب اعلان رسمى لمحو كل فكرة أو قانون يجعل من الجزائر أرضا فرنسية

رغم الحقائق التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والتقاليد ، فاذا اعترفت فرنسا بكل ما تقدم نضمن لها ما يلى :

أ ـ المصالح الاقتصادية للأشخاص والعائلات الفرنسية التى أكتسبت بطرق مشروعة وشريفة ستكون محترمة .

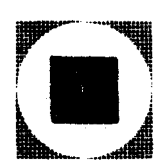
ب ـ الفرنسيون الذين يرغبون في البقاء في الجزائر لهم الحق في الاختيار ما بين البقاء على جنسيتهم الأصلية ، وفي هذه الحالة يعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين الجارية ، وبين الحصول على الجنسية الجزائرية ، وفي هذه الحالة يعتبرون مواطنين جزائريين في الحقوق والواجبات ...

ج ـ تحديد العلاقات بين الجزائر وفرنسا بموجب اتفاقية تعقد بين الدولتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل .

أيها الجزائرى :

نحن ندعوك أن تفكر في مضمون ميثاقنا السابق وواجبك أن تؤمن بـه ، وتنظم الى صفوفنـا لتنقذ وطنـنا ونعيد اليـه حريته .

ان جبهة التحرير الوطنى جبهتك ونصرها نصرك أما نحن فقد صممنا على السير بالكفاح حتى النهاية واثقين من حقيقة مشاعـرك المعاديـة للاستعمار واننا اقويـاء بتأييدك ، ونضحى بأغلى ما نملك في سبيل الوطن .



تنبيــــه

لا أذكر المعارك الحربية التي دارت رحاها طيلة سبع سنوات ونصف في هذا الوطن ، من تخوم صحرائه من الجنوب الى البحر في الشمال ومن الحدود المغربية من الغرب الى الحدود التونسية من الشرق .

كل هذه البقاع الفسيحة بما فيها من جبال وسهول وصحارى ، ومدن وقرى كانت مسرحا للاشتباكات الكثيرة ، والمعارك الدامية ، والاغتيالات والتخريب والهدم ... ولا أذكر أعمال المعمرين الأوربيين وبطشهم الشديد بالمسلمين ، ولا المنظمة الارهابية التي اقترفت أكبر الجرائم وأشنعها ، وتكالبها على الأبرياء العزل من السكان ، وأعمالها الوحشية التي تجاوزت كل حد ، فكانت تدخل المنازل ليلا ، وتخطف الشخصيات ، وتخرج منها الكلام بالقوة ، ومن بعد تقتلها أو تدفنها حية حتى تموت ، ومن بعد صارت تستعمل القتل الجماعي على مرأى ومسمع من الحكومة الفرنسية ، ولا أعمال الفرقة الأجنبية ، وجنود المظلات الذين كانوا يرفعون الشباب والشيوخ في الشاحنات الى مراكز التعذيب ليستنطقوهم وينكلوا بهم حتى مر الشعب على أشد العذاب وأقساه هولا ، ولا الخسائر التي لحقت المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وكذلك لا أتعرض للخسائر التي ألحقها الثوار بالمعمرين من الأوربيين الذين كانوا عرضة للشعب في جميع مطالبه وحقوقه الشرعية وخطفهم للغلاة منهم والضباط من الجيش الفرنسي ، وذبح الخونة والجواسيس ، ومصادرة أموالهم ، ولا العزائم التي تسلح بها الشعب ، ولا الاستماتة التي أبداها في مقاومة الاستعمار حتى أحرز على النصر ، ولا الدعاية التي جهزلها الطرفان المتحاربان كل امكانيتهما ، فكل طرف كان يستعمل أساليب وأنواعا من الدعاية ليجلب الشعب الى جانبه ، ولا الأموال التي كانت تنفق على هذه الحروب الاستعمارية ، ولا البرامج التي سطرت للقضاء والتغلب على الجانب المعادى فهذا كله لا أتعرض

له ، لأن الثورة الجزائرية عمت الوطن كله ، وهزت كيان الشعوب المستعمرة للمطالبة بحقها ، فأصبحت تقاوم الاستعمار بالسلاح حتى أحرزت على استقلالها .

وتفصيل حوادث الثورة ليس في مقدور أى فرد كان أن يقوم به وحده ، لأنها اجتاحت البلاد كلها وطالت مدتها ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحصى حوادثها الكثيرة ، اللهم الا اذا تألفت لجان من جميع الولايات التى كانت ابان الثورة ـ عندئذ ـ يستطيع رجال كل ولاية أن يسجلوا حوادثها على حدة محافظة على التراث النفيس الذى هو شرف الأباء والأجداد ، ووفاء للشهداء الأبرار ، والمجاهدين الأبطال .

فبذلك يكون للجزائريين تاريخ طريف أضافوه الى تاريخ أمتهم التليد قديما وحديثا ...

وانما أذكر الخطوط الرئيسية للثورة والحوادث الهامة ، والمراحل التي اجتازتها ، وأتبع سيرها من بدايتها الى نهايتها ، ولا أدخل في التفاصيل وانما أشير الى بعضها لأنها متعددة النواحى مترامية الأطراف ، لعبت فيها الشجاعة والبطولة دورا هاما ، هذا قوى بسلاحه معتمد عليه ، والآخر قوى بحقه وبائمانه وارادته التى لا تخضع ولا تلين .

من الذى كان يظن أن الشعب يقف في وجه أعظم دولة وأضخم جيش مسلحا تسليحا عصريا ينتزع منه استقلاله ، ولا أحد كان يعلم أن في الشعب عباقرة .

يستطيعون أن يسيروا العالم ، ومن كان يتكهن أن الفدائيين يغوصون على الموت غوصا ، وهم غض الشباب رطب الاهاب ، كل هذا لم يستطع أحد أن يعرفه قبل الثورة ، وانما الفضل يرجع اليها هى التى أكتشفت المواهب التى كان منطويا عليها هذا الشعب .

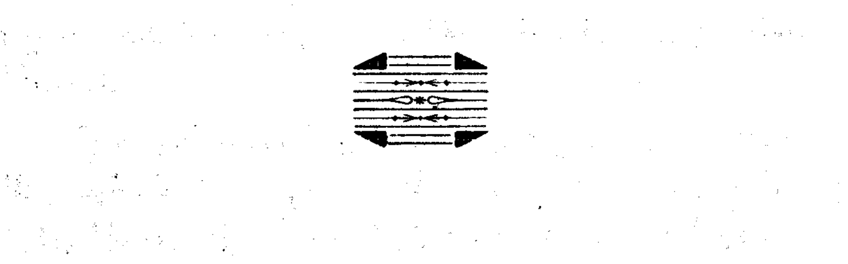
نترك تفصيل حوادث الثورة لغيرنا ، وانما قصدنا الوحيد ـ في هذا الكتاب هو بيان مفعول الدين كيف حرك الجماهير الى الجهاد في سبيل الله ، فأصبح هو العامل البارز فيها ، فوحد بين صفوف الشعب فصار كل فرد من أفراده لا يدخر جهدا ولا وسعا

في سبيل ما يقدمه الى الثورة ، وأمد المجاهدين بقوة معنوية فعالة لا ينضب لها معين في جميع مراحلها وأطوارها واستجاب الشعب له من صميم أعماقه ، واستهان بما كان له من نفس ومال في سبيل الله ، وفضل الموت على الحياة ، ولو لا الدين لما حالف النجاح الثورة أبدا ، ولم تستطيع أى قوة في العالم أن تزحزح الاستعمار من هذا الوطن .

الدين هو القوة الفعالة في هذا الوطن ، فكل من استمسك به فقد فاز ونجا ، وكل من ابتعد عنه فقد ارتكس وهلك ، ولهذا اعتمد عليه قادة الثورة في دفع الشعب الى الجهاد والتفانى والاخلاص في سبيله ، وكان العدة والزاد ، والحصن الحصين الذى يلجأ اليه المجاهدون في كل زمان ومكان .

لولا النهضة الأخيرة للشعوب الاسلامية لانسلخت عن الاسلام ولكنها برهنت على أنها لا زالت متأثرة به .

وهنا يبدو بوضوح وجلاء أن أشد الأديان مراسا في اباء الاستعباد هو الاسلام الحنيف .



بـدايـة الثـورة في الجـزائـر

في منتصف الليل من أول نوفمبر سنة 1954م — دوت أرض الجزائر بالطلقات النارية ، وتوال هجوم الثوار على معسكر الاستعمار الفرنسي ومنشآته العمرانية طول الليل في مختلف الجهات من أرض الوطن ، وكانت جبال أوراس ميدانا لأعنف الهجومات ، وأول طلقة كانت من مدينة أريس ، ووقعت كذلك حوادث في المدن الأخرى من القطر ... أصبحت اذاعة العالم وصحفه تنقل أخبار الثورة وتذيعها عليه ، فدهش الناس من هذه الأخبار ، وكانو اما بين مصدق لها ومكذب ، وكانوا يسألون بعضهم بعضا ويعقدون اجتماعات ، ويناقشون الأخبار فيما بينهم ، ويعرضون تعاليق الصحف ويسمعون الى كلام المسافرين لعلهم يعثرون على خبر صحيح يشفى غليلهم ويطفىء أوراهم ، وتراهم يتهامسون في الطرق والمقاهى والمحلات العامة ، والسرور باد على محياهم ، والقلوب تكاد تطفر من بين الضلوع من شدة الأنباء السارة ، والأعين تدور يمينا وشمالا ، ودموع الفرح تترقرق في الآماق .

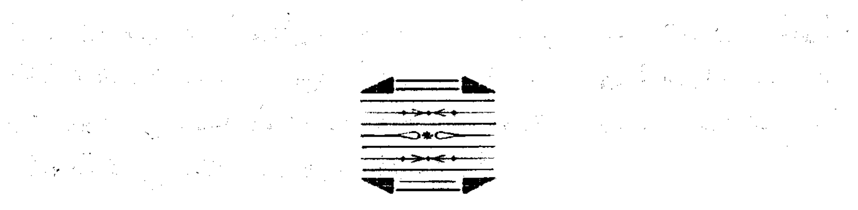
ولما انتشرت الثورة في الوطن ، وأصبحت حقيقة تنفس الناس الصعداء بعد ما كان في النفوس حسرة ومرارة ، وفي الحلق غصة وفي الصدور ثورة مشبوبة من الحالة التى ارتكس فيها الشعب الجزائرى .

وفي صبيحة هذا اليوم صدر بلاغ رسمى من السلطات الفرنسية هذا نصه : (حدث أثناء الليل في عدة مناطق مختلفة من أرض الجزائر على الأخص شرق قسنطينة بمنطقة أوراس عدة عمليات حربية مختلفة بلغ عددها ثلاثين عملية ، قامت بها فرق صغيرة من الأرهابيين أسفرت عن قتل ضابط وجنديين في مدينة خنشلا ، وباتنة ، وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل ، وكذلك أطلق الرصاص على مراكز الدرك ، وألقيت بعض قنابل الحارقة المصنوعة صنعا محليا ، ولكنها لم تسبب في أضرار سوى

في مخازن شركة الحبوب ببلدية بوفريك ، وشركة (سلتاف) للحديد والفليين ، والحاكم العام يؤكد أنه قد اتخذ فور هذه الحوادث الأجراءات اللازمة السريعة لمواجهة هذه الحالة ، والتى هى بين أيدى القائد العام حيث يجرى تنفيذها ، كما استدعينا بعض القوات الاحتياطية لتدعيم قواتنا بمناطق الحوادث .

ان الشعب الذى يثق فيما يتخذه الحاكم العام من اجراءات لتهدئة الحال وضمان الأمن للقضاء على الأقلية المجرمة ، قد سيطر عليه الهدوء ، وضبط الأعصاب في جميع أوساطه ـ امضاء (روجى ليونار) الحاكم العام . في الجزائر أول نوفمبر سنة 1954م .

هكذا سجلت السلطة الفرنسية ثورة الشعب الجزائرى .



أعـمـــال جبـهـة التحـريـر

اتخذت جبهة التحرير لجيشها جبال الجزائر محطة رحالهم ، ومراكزها الرسمية لحصانتها ومناعتها ووفرة السكان فيها ، فمنها كان جيش التحرير يوالى هجوماته على العدو ، ويواصل كفاحه ضد المحتل ، وهو في مأمن ومنجاة منه ويستعين بالسكان على أعماله الشاقة واختلط بهم اختلاطا تاما .

قررت جبهة التحرير تعبئة جميع موارد الشعب سواء كانت مالا أو انسانا ، أو غير ذلك من الأشياء الأخرى التى تحتاج اليها الثورة ، لأن الثورة من الشعب والى الشعب ، فيجب أن تستمد قوتها منه .

وقفت الأمة الجزائرية من الثورة في أول الأمر موقف حذر وتربص حتى تبين أمرها وبعدما أتضح شأنها،اندفعت في تيارها، وارتمت في أحضانها بفضها وغضيضها وأصبحت تبذل كلما كان في وسعها من قوة وجهد ، وكل فرد كان يقدم لها الاعانة اللازمة التى يستطيع عليها عن طيب قلب وهو راض بالمسؤولية التى تناط بعهدته ، وأنه على علم بما ينجم عنها من أخطار ، ولربما ذهبت بحياته ، ولكن في سبيل الوطن تهون كل تضحية حتى دهش قـادة الثورة من هذه الأعمال المشجعة والتضحيات الجـسيمة ، فوجدوا كل اعانة وتأييد من طرف الشعب الذى كان يرى لهؤلاء القادة فضلا كبـيرا عليه لأنهم فتحوا له طريق الحـياة الحـرة ، ونفسوا عن كبته الذى لازمه دهرا طويلا ، ومحوا عنه ذل العار والمذلة التى لحقته من طرف الاستعمار ...

كـان سـلاح الثوار في أول الأمر سلاحا تافها فأغلبيته من بناديق الصيد وبعض المسدسات ، وشيء قليل من الرشاشات ، وبعض المتفجرات من الصنع المحلى ، والباقى من الجنود ليس لهم سـلاح ، وانما كانـوا يحملـون الأدوات المنزليـة كالفئـوس والشاغور ، والخناجر والعصي يلوحون بها في الهواء والخرطوش كان لديهم قليلا جدا غير أن هذا لم يكفهم عن القتال ...

كان الفدائيون من جهتهم ينسفون منشآت الحكومة ، ويتلفون انتاج المعمرين ، وجيش التحرير كان يتعرض للجند الفرنسي في كمائـن فيباغتونه بضربـات هائلة فيتملكه الرعـب فيلـوذ بالفرار ، والبعض منهم يسقط موتى فيغنم المجاهدون غنائم كثيرة من السلاح والذخيرة ، ويجردون الموتى من السلاح وكذلك الأسرى ، وكانت لهم مهارة فائقة في ابتكار الأساليب الحربية ، واستخراج السلاح من ثكنات الجند الفرنسي ليسلحوا به من لا سلاح لهم ، ولهم مندوبون في الشرق والغرب لشراء السلاح ، وجلبه الى الجزائر . اعتمدت الثورة على المتطوعين من الشعب ، سواء كانوا كبارا أم صغارا ، غير أنهم كانوا يرغبون في جنود المسلمين الذين يعملون في الجيش الفرنسي ، وأصحاب الحرف والمهـن ...

انتشر الثوار في شرق قسنطينة وشمالها ، وبلاد القبائل ، واعتصموا بالجـبال الشامخات ، مثل جبـال أوراس ، والقل ، والحروش ، وسكيكدة ، وميلة وغيرها ... أصبحت هذه النواحي كلها مسرحا للحوادث الكثيرة والمعارك الدامية وانقطعت الصيلة فيها ، ما بين الحكومة وسكان هذه المناطق ، واذا أرادت أن تتصل بهم ، فتصحب معها قوة كبيرة من الجند ، فأصبح سكان هذه المناطق في حيرة من أمرهم ، فالثوار يأتونهم ليلا ، ويدعونهم الى مؤازرة الثورة ، واعانتها بمالديهم من طعام ، ومال ورجال ، وحكموهم حكما اداريا منظما ، وكل من يخالف أوامرهم يعاقب في الحال ، والحكومة الفرنسية من جهتها تأتيهم نهارا ، فتأمرهم بأن يعتزلوا عن الثوار ، ويقطعوا كل اعانة وصلة بهم ، والويل لمن لم يتمثل لهذا الأمر ، وثبتت عليه الاعانة والتأييد للثوار ، فتعاقبه في الحال بنسف منزله بالقنابل أو المدفع وتارة بالقتل أو السجن ، فاضطر السكان الى أن يكونوا مع الثوار في الليل فيعملون لهم كلما يطلبونه منهم ، وفي النهار يصبحون خاضعين للحكومة الفرنسية ، هذه الكيفية سادت القطر كله . كثر هجوم الثوار على منشآت الحكومة فكانوا ينسفون المعامل والجسور ويقطعون أعمدة التيلفون ، والمواصلات السلكية ، والسكك الحديدية ويفجرون قنوات الماء ، ومحطـات الكهربـاء ، ويتلفون منتوجـات المعمرين كالكـروم

والأشجار وحرق صابات القمح وأدوات الفلاحة ، ونسف مساكنهم ومراقبة الطرق ، وتفتيش السيارات والحافلات وحرقها في بعض الأحيان اذا كان صاحبها لم يدفع الاعانة الى الثورة ، ولم يمتثل للأوامر التى أعطيت له ، وخطف بعض الشخصيات من غلاة المعمرين ، أو من أعوان الحكومة من الذين يزعمون مسلمين ، أو الخونة من منازلهم ، فينفذون فيهم العقاب حالا ، وكانوا يشنون الغارة الشعواء على المدن في الليل ، فيطلقون الرصاص على الثكنات ومراكز الحكومة ، وأحيانا يصطدم جيش التحرير مع الجيش الفرنسى في اشتباكات دامية لكن سرعان ما ينسجب جيش التحرير من ميدان المعركة بعد ما يضربون ضربتهم ، واذا حصروا فيخرقون الحصار المضروب عليهم ويفلتون منه ، لأنهم غير متكافئين في السلاح مع الجيش الفرنسى . دب الذعر في المناطق التى انتشرت فيها الثورة ، فكثر فيها القتل ، وتعطل كثير من المصالح الادارية ، وأصبح المسافر الى هذه النواحي يخشى على حياته رغم الجيش الفرنسى المنتشر فيها ، لكن الثورة استفحلت فيها ، وتفاقم أمرها ، وأخذت في الانتشار بسرعة مدهشة في نواحى الوطن ، واشتهرت في العالم ، فكان الأحرار منه يكتبون عنها المقالات الضافية ، ويحثون الحكومة الفرنسية على منح هذا الشعب الاستقلال ، والمفاهمة معه قبل فوات الأوان ، وكانت محطات العالم العربى تشيد بموافق المجاهدين في الحرب ، وتثنى على شجاعتهم وبسالتهم ، هذه الأخبار كانت تنتزل على قلوب الشعب بردا وسلاما ، وتزيده حماسا واستمساكا بقضيته العادلة .

توسعت جبهة التحرير الوطنى في الحرب ، وذلك بفضل السلاح الذى كانت تستورده من مصر وغيرها الى تونس ، ثم الى الجزائر ، وظلت هذه طريقه الوحيد مدة الثورة بخلاف السلاح الذى كان يأتى عن طريق البحر ، فكانت المراكب البحرية تأتى به من أوربا ، وتفرغ شحناتها على شواطىء الجزائر ، كان الأسطول الفرنسى يحرس شواطىء ، البحر الأبيض ويفتش المراكب التى تقترب من المياه الاقليمية ، وصادر كثيرا منها .

أرادت جبهة التحرير أن تبرهن على اتحادها مع المغرب ، وتربط حركة النضال الجزائرى بالحركة الوطنية في الشمال الافريقى ، فأظهرت التضامن والاتحاد في الذكرى الثانية لعزل جلالة محمد الخامس رحمه الله عن عرشه وذلك يوم 20 أوت سنة 1955م ، فشنت هجوما على المدن والقرى الواقعة شمال قسنطينة مثل عين أعبيد ، وسكيكدة ، وعنابة ، وغيرها من بقية المدن الأخرى .

ثارت هذه النواحى كلها على المعمرين من الفرنسيين القاطنين في هذه الجهة فقتلوا وخربوا كلما وصلت اليه أيديهم ، ويقدر عدد القتلى من المعمرين بحوالى واحد وسبعين قتيلا ...

هالت هذه الحوادث السلطة الفرنسية وأزعجتها ، فانتقمت من سكان هذه المناطق شر انتقام ، فهجم الجيش الفرنسى على الدواوير والقبائل ، ففتك بالعجزة والضعفاء والأبرياء فتكا شنيعا ، فكان يحرق الدواوير بما فيها ويتبع السكان الهاربين الى قمم الجبال ، والمختفيين في بطون الأودية ، ويأتون بهم في شاحنات فيجمعهم في مكان واحد ويطلقون عليهم النار .

ورغم هذا العذاب والتقتيل ضاعف سكان هذه المناطق من نشاطهم الحربى ، وصاروا يتسابقون الى الجهاد في سبيل الله رجالا ونساء وكانوا يقدمون أموالهم الى الثورة قياما بواجب الوطن وحقوقه المقدسة وفي أيلول سنة 1955م أصدرت جبهة التحرير منشورا الى نواب المسلمين على اختلاف مجالسهم بأن يقدموا تسليماتهم من هذه المجالس لكى لا يتركوا للحكومة الفرنسية أى وسيلة تتذرع بها ...

فبهذا التسليم قطع الشعب صيلته بالحكومة ، وأصبحت جبهة التحرير الوطنى تمثل الأمة تمثيلا حقيقيا ، وبهذا التسليم انحل المجلس الوطنى الجزائرى الذى أسس من بعد الحرب العالمية الثانية .

أصبحت الهيئات والمنظمات الوطنية تذوب في الثورة ، مثل النواب الذين نظموا هيئة وطنية ، وطالبت من الحكومة الفرنسية

أن تتفاوض مع الثوار وفي سنة 1955م وصلت الثورة الى مقاطعة وهران تحت قيادة العرب بن المهيدى وبدأت تنتشر يمينا وشمالا .

أصدرت القيادة العليا للثورة الى الشخصيات البارزة والأحزاب والهيئات أن ينضموا الى جبهة التحرير لتوحيد الكلمة وجمع الصفوف وفي هذه السنة 1955م قدمت جبهة التحرير قضية الجزائر الى هيئة الأمم المتحدة لتنظر فيها وذلك بواسطة الوفود الأسوية الافريقية فسجلت في جدول أعمال هذه الهيئة ولكنها لم تناقش ، لأن الوفد الفرنسى امتنع عن حضور جلسات هذه الهيئة .

وفي هذه السنة 1956م ألقى القبض على السيد رابح بطاط الذى كان مسؤولا عن العاصمة من طرف السلطة الفرنسية ، وتمكن كذلك الجيش الفرنسى من القبض على قائد جبل أوراس السيد مصطفى بن بو العيد ، وحبسه في سجن قسنطينة .

وفي سنة 1955م عقد رؤساء شعوب آسيا وأفريقيا مؤتمرا في مدينة (باندوك) من جمهورية أندونوسيا المسلمة لتأييد الشعوب المستعمرة لهاتين القارتين ، وللحد من سيطرة الاستعمار ، وكان أقطاب هذا المؤتمر هم السادة : السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، والسيد نهر رئيس الولايات الهندية ، والسيد شواى لاى رئيس الصين الشعبية ... فقرر هذا المؤتمر باجماع اعانة الشعب الجزائرى على استقلاله ماديا وأدبيا ونص في لوائحه الداخلية على أن هذا المؤتمر سيعقد في كل سنة في عاصمة من عواصم هاتين القارتين ، يكون اما بطلب من أهلها ، أو اللجنة الدائمة هى التى تعين مكان الاجتماع .

ونحن شاهدنا اعانة شعوب القارتين الفعالة للجزائريين كيف كانت تمد الثورة بكل ما تحتاج اليه من العتاد الحربى والذخيرة ، والدفاع عنها لدى جمعية الأمم .

وفي كانون الثانى سنة 1956م تأسس الاتحاد العام للعمال الجزائريين تحت اشراف جبهة التحرير الوطنى ، وفي هذا الشهر استشهد السيد مصطفى بن بو العيد ، وفي نيسان من هذه السنة

1956م التحق عباس فرحات رئيس حزب البيان مع السيد توفيق المدني كاتب هيئة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعض الشخصيات من الجمعية بالقاهرة انضموا الى أعضاء الجبهة السياسية الخارجية .

وفي هذه السنة تكون اتحاد الطلبة الجزائريين ودعتهم جبهة التحرير الى مقاطعة الامتحان في الكليات الفرنسية ، ولقيت هذه الدعوة استجابة واسعة من طرف الطلبة ، ودعت كذلك التجار والفلاحين والشعب كله الى تموين جبهة التحرير بالمال والأشياء الضرورية ، وفي هذه السنة أصدرت الجبهة مجلة عربية أسبوعية للتحدث عن أعمال الثورة ، وهي مجلة المجاهد ، وفي التاسع من شهر نسيان سنة 1956م ــ ألقي القبض من طرف السلطة الفرنسية على كاتب هذا الكتاب ، وذلك في مسجد (بلكور) من العاصمة في يوم الجمعة بحيث أنزل من فوق المنبر انزالا ، وخطف من المحراب خطفا ، وفي الخامس من شهر تموز من هذه السنة وقع اضراب عام في الجزائر بمناسبة احتلال الجزائر من طرف الاستعمار دام خمسة أيام ، وكان انتصارا عظيما لجبهة التحرير ... توسعت أعمال الفدائيين في هذه السنة في الأرياف وخاصة في المدن ، وانتشرت الدعاية بصفة واسعة في الخارج للتشهير بالقضية الجزائرية وبصفة خاصة في أمريكا الجنوبية وآسيا وشمال أروبا .

موقـف الحـكومة الفـرنسية من الثـورة
وصداهـا في الداخـل والخـارج

كانت الحكومة الفرنسية متألفة حينذاك من أحزاب اليسار ، ورئيسها (م مانديس فرانس) ينتمى الى الجناح الأيسر من الحزب الراديكالى ... والحاكم العام على القطر الجزائرى هو (م ليونار) الذى قدم تصريحه الرسمى عن حوادث الثورة التى أشرنا اليها سابقا ...

حاولت الحكومة اخفاء الحقيقة وتجاهلت الثورة ، وزعمت أنها من فعل العصاباتقطاع الطرق الذين لا هدف لهم سوى السلب والنهب ، والحقيقة أنها كانت عالمة بأنها ثورة لا شك فيها ، ولذا وقفت منها من أول وهلة موقفا ايجابيا ، فاعتقلت عند بدايتها نحو ألفى شخص من المشكوك فيهم وحلت الأحزاب ، وأودعـت بعض أعضائها السجن ، وقـد أدلى رئيس الحـكومة بتصريح قال فيه «ان الجزائر فرنسية والتفاوض الوحيد هو الحرب» .

واجهت الحكومة الفرنسية الثورة بموقفين حازمين : الموقف الأول عسكرى بحت ففى اليوم الثانى وصلت الى ميناء عنابة ثلاث فرق من جنود المظلات ، وأعلن الحاكم العام في الجزائر حالة الطوارئى في المناطق التى كانت مسرحا للحوادث ، وبدأ يطبق فيها القوانين الاستثنائية ، ففرض الاقامة الجبرية على بعض الاشخاص ، وأخذ يراقب المتنقلين والمسافرين ، ومنع الاجتماعات العامة ، وكان البوليس يراقب الجزائريين ، وأنشأ محاكم عسكرية لا يجوز الطعن فيها أبدا ...

قدرت الحكومة الفرنسية الثوار بألفين الى ثلاثة آلاف مقاتل ، وقـال الحـاكم العام يمكننى القول بـأننى سأقضى على هـؤلاء المشاغبين أعداء الوطن خلال أيام . وقال أيضا سأقضى على الثورة في بضعة أشهر أو تنطفىء وحدها ، بعد ما تنكل الحكومة بهم وبأعوانهم ... وأعلن صراحه في بلاغاته الرسمية قال : لقد

سيطرنا على الموقف تماما بعد حملة التهدئة التى اتخذها الحاكم العام . لكنه تراجع وعاد يقول : ـ بعد الخسائر التى ألحقها الثوار بالجيش الفرنسي ، وأعمال الفدائيين في المدن ـ ان عدد الخارجين على القانون المشاركين في حوادث الاجرام يبلغ ألف شخص ، وقد طلبت مزيدا من الجنود الذين يصلون في الحال الى المناطق البعيدة ، والى بلاد القبائل الصغرى ولم يدر هذا الحاكم بأن الثورة ستتطور ويستفحل أمرها وتسطو على الحكومات الفرنسية فتحطمها واحدة بعد الأخرى بل تسطو على الجمهورية الرابعة فتزيلها من الوجود ، ولا يهدأ لها قرار ولا تسكن لها نأمة حتى يتحرر الوطن كله من قبضة الاستعمار .

أعتبرت الحكومة أن مندوبها في الجزائر قد فشل في مهمته وخاب في مسعاه فسحبته وعينت خلفا آخر له .

ولما رأت الحكومة أن الثورة قد أصبحت عامة في شمال افريقيا فخافت من هذا اللهيب المقدس المندلع أن ينتهى باحراقها في هذه الأقطار وانفصالها عنها كما أنفصلت الهند الصينية* من قبل ، لأن هذه الأقطار لا تعدم المساعد والمعين واذا قدر لها أن تنفصل فمستعمراتها في القارة الأفريقية سيكون لها نفس المصير ، فأرادت أن تطفىء هذه الثورة بشىء من الحرية بحيث اعطاء الثوار بعض الحقوق .

قدم وزير الداخلية (م ميترا) في خمس يناير سنة 1955م مشروعا لتطبيق قانون 1947 ـ الذى صرح به الجنرال ديغول في الجزائر ، وهو ادماج الجزائريين في فرنسا ، فعرضه على الجمعية الوطنية للمصادقة عليه ، فعارضه أوربيو الجزائر معارضة شديدة ، ولما قدم للاقتراع لم يحظ بالأصوات اللازمة من طرف هذه الجمعية فسقطت حكومة (مانديس فرانس) ...

كلف رئيس الجمهورية (م اد قارفور) بتأليف الحكومة ، وكان هذا أيضا من الحزب الراديكالى الأيسر . عينت الحكومة الجديدة (م جاك سوستيل) واليا عاما على القطر الجزائرى ، وصل اليها في خمسة عشر من فبراير 1955م كان هذا الوالى من الموالين لسياسة شارل ديغول في الجمعية الوطنية ، ولكن (جاك

سوستيل) تنكر له وأصبح خصما لدودا لسياسته نحو الجـزائر حينما أعلن تقرير المصير ...

جـاء هـذا الولى الى الجـزائر يحمل معه اصلاحات أجتماعية يعنى تطويـر الأنظمة مـع لأعتراف بوجـود شخصية جزائرية متميزة ثقافيا وأجتماعيا ، وكان يجول في القطر ، وينتقل من بقعة الى أخرى ويصرح بقوله : ان الحكومة عازمة على أصلاحات هامة وتغـيرات كبـيرة في ميدانى الاقتصاد والاجتماعى ستكون بعيدة الأثر في حياة المواطنين ، وكان ينوه بهذه الاصلاحات في جميع خطبه التى كان يلقيها ليفصل الشعب عن الثورة ...

ولم يدر أن الشعب أصبح لا ينخدع بهذه المخدرات ، ولا تنطلى عليه الحيل ولا المجاملات .

ومدة أقامته في هذا الوطن وهو يكرر في هذه الالفاظ بدون عمل : نشر التعليم والثقافة ، تعلم الصناعة لتتقدم البلاد ماديا وأدبيا ، القضاء على البطالة بجميع أنواعها حتى ترتفع معيشة السكان ، ويضارع هذا الشعب شعوب العالم الحر .

ولكن الشعب لم ير هذه الاصلاحات الا ما يسمع عنها في الصحف والاذاعات ، هذه التصريحات والاصلاحات التى يشيد بها هذا الحاكم العام ما هى الا تقليد لكل وال جديد ترسله فرنسا الى هذا القطر .

أما الثورة فوقف منها موقفا حازما ، فأخذ في الحال في تعزيز القوات العسكرية وجلبها من فرنسا ، وارسالها الى المناطق التى شبت فيها الثورة ، فكانت النجدات تتوالى مدة اقامته وأخذ يلقى القبض على المشبوهين والمشكوك فيهم ظنا منه أنهم يعملون مع الثوار في الناحية التى تقع فيها الحوادث ، وعلى رجال السياسة وعلماء الدين الأحرار ، فكانوا يستنطقون في مراكز التعذيب ، ومن بعد ذلك يرسلون اما الى السجون أو الى المحتشدات الكبيرة التى بدأت تفتح في كل ناحية ولما عجزت المحاكم عن استنطاق المتهمين لكثرتهم ، فأخذ يوسع فيها ويجلب لها القضاة من فرنسا . أعجب المتطرفون من غلاة الاستعمار وأصحاب اليمين بسياسته تمام الاعجاب لأنه كان يستعمل القمع الشديد في المناطق التى تـدور فيها المعارك الدامية وحوادث الفداء لـيرهب السكـان ،

ويحصر الثورة في أماكن معينة ، ولكن الثورة كانت تفك الحصار وتشتعل في نواحى أخرى .

وفي تشرين سنة 1955م طلب رئيس الحكومة (م ادقارفور) من المجلس الوطنى أن يمنحه الثقة ، فرفض المجلس هذا الطلب وكان القانون الفرنسي يخول لرئيس الحكومة أن يحل المجلس الوطنى فحله وأعاد انتخابه من جديد في شهر كانون الأول 1955م وأنتصرت الجبهة الجمهورية والاشتراكيون ، والاتحاد الوطنى الاشتراكى المقاوم والحركة الشعبية ، والراديكاليون .



الحكومة الفرنسية الاشتراكية

أسفرت الانتخابات عن تأليف حكومة اشتراكية صعدت الى منصة الحكم برئاسة (م غى مولى) وذلك في شهر يناير 1956م وأتبعت هذه الحكومة الجديدة نفس السياسة السابقة نحو الثورة بالرغم من أن هذا الرئيس الجديد أعلن أثناء الحملة الانتخابية بأن هدفه هو تحقيق السلام في الجزائر ، وصرح بأنه سيزور الجزائر وفي السادس من شهر فبراير سنة 1956م زار الجزائر ليباشر الأمور بنفسه ولكن ما كاد يصل الى ساحة الولاية العامة بالجزائر حتى لقاه المعمرون بجموعهم الهائجة وفي مقدمتهم غلاة المعمرين المتطرفين بمظاهرة صاخبة لم يكن يتوقعها أبدا بحيث أهانوه فيها اهانة كبيرة ، فكانوا يقاطعون خطابه بالصراخ والتصفير ، ويرمونه بالقاذورات ، وقوارص الكلم حتى ألجأوه عن التخلي والتسليم في سياسته التى كان يعتزمها في الجزائر فغير خطته تماما أزاء هذه المظاهرات التى جاء من أجلها ، فألقى الحل الذى كان يعتزمه ، وأصبحت حكومته حكومة متطرفة فبدلت الوزير الذى كان معينا كوال عام للقطر الجزائرى وهو الجنرال (كاترو) هذا الرجل كان معروفا في جميع الأوساط برسول السلام برجل آخر أسمه (م لوبير لاكوص) جبار عنيد يقال أنه من نجل الجنرال بيجو السفاح . وفي أبريل من هذه السنة توالت الامتدادات العسكرية والتعزيزات الحربية الى الجزائر ، فاستدعى رئيس الحكومة 80 ألف جند من جنود الاحتياط فأصبحت قوة فرنسا في الجزائر ما يقرب من نصف مليون جنديا ، وفي الثانى عشر من هذا الشهر نفسه تقرر الغاء المجلس الجزائرى ، وجندت الحكومة أوربى الجزائر ، وأنتشر الجيش الفرنسى على التراب الوطنى من اقصاه الى أقصاه ، وخيم في كل ناحية ، وأعلنت الحكومة الاشتراكية حربا منظمة على الثورة والشعب معا لا هوادة فيها ، وأصبح السلم الذى كان ينتظره العالم من هذه الحكومة بعيدا جدا .

ولما أستعدت الحكومة الاشتراكية للحرب أعلن رئيسها (م غي مولى) عن الحل الذى يريده للجزائر ، وكان يتخلص في ثلاث نقط : ايقاف القتال ، الانتخابات ، المفاوضات ، ولم يصرح ما هو نوع الحل ، ودعا جيش التحرير الى تسليم سلاحه ، وقال ليثق الثوار أن الحكومة الفرنسية لن تنتقم من المقاتلين ، وفي تصريح آخر أراد أن يحدد علاقة الجزائر بفرنسا فجاء بموقف غامض لخصه في العبارة الآتية فقال : (ا ن الجزائر ليست أقليميا فرنسيا لأن أغلبية السكان تتصف بمميزات اجتماعية وثقافية مغايرة للفرنسيين وليست الجزائر في نفس الوقت بلدا عربيا لأن سكانها من البربر ، ولا هى دولة اسلامية لاستيطان الأوربيين فيها ، وانما أقول ان للجزائر شخصية خاصة تربطها بفرنسا روابط لا تنفصم عراها في جميع الميادين) .

وفي صيف هذه السنة أوصى الحزب الاشتراكى في مؤتمر له بإجراء مفاوضات مع جبهة التحرير لجس النبض كما يقال ، ولكن الحكومة اعتبرت مثل هذه المفاوضات توريطا لها لأنها تتضمن اعترافا بجبهة التحرير ، وقفت زمنا طويلا ، وهى تتردد وفي النهاية أكتفت بارسال مبعوثين غير رسميين تقابلا مع بعض أعضاء جبهة التحرير في يوغسلافيا .

تطورت الحرب وأظلم الجو وأكفهر ، واختفى السلم ، وكان رد الفعل من طرف الثوار قويا جدا على خطة الحكومة الاشتراكية ، وكانت العاصمة وبقيت المدن الأخرى مسرحا لحوادث الفداء الدامية وأصبحت منشآت الحكومة ومنتوجات المعمرين عرضة للتخريب والتهديم والاتلاف ، ففى سنتى 56 — 57 كانت حوادث الفداء في العاصمة وحدها تزيد على ألفى حادثة في الشهر الواحد ، وعمت الحوادث الوطن كاملا حتى اضطر المعمرون الى مغادرة سكناهم وضياعهم ولجأوا الى العواصم والمدن الكبيرة ليكونوا تحت حماية الجند الفرنسي ، والذى بقى في مكانه كان يؤدى الى جيش التحرير الأعانة المالية .

جدت الحكومة الاشتراكية من جهتها في معاقبة المسلمين معاقبة جماعية بحيث صارت تأخذ البرىء والمسالم بالمحارب ، وتلقى

القبض على من شارك في الثورة وعلى من لم يشارك فيها ، فالشعب كله كان في نظرها مشاركا فيها ، فأرادت بهذه الأعمال الوحشية أن تلقى الرعب في قلوب المسلمين لينفصلوا عن الثورة ، وكانت توقف الشخصيات في الناحية التى تكثر فيها الحوادث وتحصرها بالجنود والمصفحات كى لا تتسرب الى غيرها من المناطق الأخرى .

أما الأشخاص الذين لهم ماض سياسى ، أو سمعة طيبة في أوسط الشعب أو رجال الدين كانت تلقى عليهم القبض اين ما كانوا وتزج بهم في المحتشدات الكبيرة ، والسجون المظلمة بعد ما تستنطقهم في المحاكم ، وهذه المحاكم هى مزارع المعمرين ومراكز الشرطة وثكنات الجنود ، بخلاف المراكز الرسمية المشهورة للأعتقال . كل هذه المراكز أتخذتها الحكومة الاشتراكية للتعذيب والتنكيل بالشعب ، فأشحنتها بآلات التعذيب المختلفة الأنواع والأشكال وجنود المظلات والبوليس السرى ورجال الدرك مع كلابهم الشرسة ، يسلط على المتهم الضرب أولا ، ثم يعلقونه بالأحبال والسلاسل ويحمون الحديد في النار حتى يحمر فيكوون به لحمه في جميع جسده ولا سيما الأماكن الحساسة ، ومن بعد يضعون على الأجراح الملح ، ويبقى على هذه الحالة من التعذيب مدة تتراوح ما بين ستة ساعات الى ستة عشر ساعة حسب المعذبين له ، ومن بعد ينزلونه ، وجروحه الدامية فاغرة الأفواه فيغطسونه في أحواض الماء القذر المعدة لهذا الغرض خصيصا ، ويلزمونه بشرب هذا الماء بواسطة أنبوب حتى تمتلىء معدته من فضلات الأنسان وغيرها ، ومن بعدما يمتلىء بطنه يدوسونه بأرجلهم فيخرج الماء من المنافذ ، ولما تتم هذه العملية يعيدون عليه السؤال . مع من كنت تعمل ؟ وأين السلاح ؟ الى غير ذلك من الأسئلة المحرجة فان أبى يجلسونه فوق القارورة ويطلقون عليه الكلاب الشرسة فتمزقه تمزيقا ، والضحية في هذه الأحوال كلها مجردة من الثياب منهوكة القوى خائزة الأعصاب ، واذا فقدت الوعى والأحساس يسلط عليها تيار كهربائى فيهز كيانها هزا عنيفا تكاد روحها تخرج ويا ليتها تخرج ، وتبقى الضحية في هذه الحالة من العذاب مدة من الزمن تتراوح ما بين شهر الى ثلاثة أشهر حتى تخرج ما عندها من المعلومات عن الثورة ،

فعندئذ ينتهى البحث معها وكثيرا من المعذبين الذين لم يلاقوا حتفهم في هــذا التعذيب يخرجون مشوهين ومعطوبين من هــذه العمليات في ذواتهم أو في عقولهم ، ومن ثم ينقلون الى المعتقلات أو السجون على حسب التهمة والأعتراف ، وكان تفتيش السكان وترويــع النساء والأطفال ، وحــصر المدن والقرى هدفا لجنود المظلات والحــرس المتنقل ، ورجال الدرك ، وهــذا هــو شغلهم الشاغــل ليلا ونهارا ، وفي أى وقت شاءوا يدخلــون الى المنازل ويعبثون بأثاثه ، ويتلفون ما فيه من الأواني والاطعمة ، وينهبون النفائس من الجــواهر والحــلى والدراهم ، ويتعدون على الشرف والعفاف أمام الأب والزوج والأخ الى غير ذلك من اهدار الكرامة البشرية ، والاستخفاف والازدراء بالقيم والمثل الانسانية بحيث تجاوزوا كــل حــد وقانون وعــرف في تاريخ البشرية الطويــل العريض .

وتارة يحاصرون القرى في الليل ويطوقونها من كل ناحية ، ويخرجون أهلها وهم في لباس النوم رجالا ونساء وأطفالا الى الملاعب العامة فيفحصون أوراق تعريفاتهم والويل لمن حامت حوله الشكوك فينقلونه في الحال الى مراكز التعذيب للاستنطاق وهكذا يفعل الجيش الفرنسى بالمسلمين في كل ناحية من نواحى الوطن .

هــذه الكيفية من التعذيب لازمت الشعب الجــزائرى طوال سنى الحرب ، وهذا العذاب يستعمل للرجال وللنساء والأطفال المراهقــين بدون تميز .

والمنظمة الارهابية التى نظمها المعمرون لها اليد الطولى في هذا الميدان ، فكان أفرادها يرتدون لباس الجند ويأتون الى المنازل ليلا فيخطفون الأشخاص المقصودين ويذهبون بهم الى حيث لا يعلم أحد ، فكم من شخصية بارزة أختطفت في لباس النوم ليلا لا يسمع الا الصراخ والعويل في ظلمة الليل البهيم مثل العالم الجليل الشيخ العربى التبسى وغيره .

أتينا بهــذه النبذة القصــيرة عن أعمال المتحضريــن الذيــن يهذبــون الشعوب ليقارن كل عاقل بــين معاملة جيش التحرير

للأسرى الذيـن كانوا يقعون في قبضته ، فكان يعاملهم معاملـة حسنة فيفضلهم على نفسه في المأكل واللباس ، هذه الأخلاق النبيلة التى أتصف بها جيش التحرير في ثورته هى من تعاليم الاسلام الذى يعامل الانسان معاملة كريمة تليق به .

اننا نختصر في هذا الغرض على الأهداف الهامة التي كانت تعكر الجو على السلم في جميع الحكومات الفرنسية وبصفة خاصة الحـكومة الاشتراكية كانت تتبع بأهتمام كبـير حركات الشعب المغربي والتونسي نحو الثورة الجزائرية فتحصى عليهما أنفاسهم .



خطـف الزعمـاء الخـمس مـن الجـو

كانـت فكرة المغرب العربي الكبـير قـد خامرت الرؤسـاء السياسيـين منذ زمن بعيد ، ولما ثـارت هذه الأقطار الثـلاث ، وتحـرر الشعبان الشقيقان تونس والمغرب الأقصى ، وبقيـت الجـزائر وحدها في المعركة مع فرنسا ، ولكنها كانت سائـرة في طريق التحرير .

أراد رؤساء الأقطار الثلاث أن يبرزوا فكرة اتحاد المغرب العربي الكبـير الى الوجود ، لأن الوقت قـد حـان ، فكان قـادة الأقطار الثلاث ينتقلون من قطر الى قطر لتبادل الأراء والأفكار ، ومن بينهم زعماء الجزائر الذين كانوا لا يفارقون أقطار المغرب العربي الثلاث .

اتفق قادة الاقطار الثلاثة على اتحاد المغرب العربي الكبير الذى هو خطوة كبيرة في تحقيق أهداف هذه الشعوب ، ولم يبق الا الاعلان عنه في اجتماع رسمي يحضره الرؤساء والشخصيات البارزة من الأقطار الثلاثـة ، فعينوا العاصمة التونسية مكانـا لهذا الاجتماع التاريخي ، وذلك في شهر تشرين الأول سنة 1956م وكان زعماء الجزائر الخمس في المغرب الأقصى ضيافا لدى جلالة الملك محمد الخامس ــ رحمه الله بمناسبة هذا الاجتماع ، قرروا أن يسافروا معه الى تونس على متن طائرتين طائرة تنقل الملك وحاشيتـه والأخـرى تنقل الزعمـاء الجزائريـين ، وأسرعـت الشخصيات والأعيان من هذه الأقطار الى مكان الاجتماع التاريخي الخطير ...

ولما علمت السلطة الفرنسية بهذا الاجتماع أرادت أن تبطله ، فأوعزت الى مواطنيها الذين يعملون في مطارات المملكة المغربية بعرقلة هذا الاجتماع وأخبرتهم بما عزم عليه القادة العسكريون من خطف الزعماء الجزائريين من الجو ، ولكن يجب فصلهم عن الملك في سفره ــ .

طبق العمال الفرنسيون هذه الأوامر الصادرة اليهم من القيادة العسكرية في الجزائر بكل دقة ومهارة غير مكترثين بحكومة جلالة الملك ، ولما حان وقت السفر أقلعت طائرة الملك صباحا ، وتظاهر العمال الفرنسيون باصلاح الطائرة التى تنقل الزعماء الجزائريين ، وكان هذا الاصلاح مقصودا ليفصلوا بين جلالة الملك والزعماء ، وفي المساء أقلعت هذه الطائرة فتعرضت لها السلطة العسكرية الفرنسية في الجو ، وأرغمتها على التوجه الى الجزائر والنزول في مطار دار البيضاء ، وسرعان ما امتثل سائق الطائرة ، ونزلت في أول الليل في المطار المذكور .

وجد الزعماء الخمس الشرطة في انتظارهم فقيدوهم وساقوهم الى السجن ، وبهذه العملية خرقت الحكومة الفرنسية القوانين الدولية ولم تبال بالاتفاقيات التى بينها وبين الملك ، ولم تحترم شخصيته ولا كرامة شعوب المغرب العربى الكبير ...

وكانت تظن الحكومة الفرنسية بهذه العملية تقضى على الثورة في الجزائر ولكنها خابت في تقديرها وتفكيرها ، اعتبر الشعب الجزائرى هذه الحادثة ما هى الا جزء من حوادث الثورة الكثيرة ، فزادته تماسكا وثباتا وعزيمة وصلابة ، فقام في الحال قادة آخرون مقام الزعماء الأولين كانوا أشد مراسا وقوة فواصلوا الحروب .

ولما سمع الرؤساء والجماهير التى كانت تنتظر في وصول الزعماء الى مكان الاجتماع بهذا الحادث المفجع ، ثارت ثائرة شعوب هذه الأقطار وهاجت لهذه الاهانة والاحتقار ، وعرفت المكيدة من أين جاءت ، جاءت من الجالية الفرنسية التى لا زالت تقطن في هذه الأقطار ، هى التى كانت سببا في هذا الحادث المؤلم .

أما الذين ضبطوا أعصابهم من هذه الشعوب فاكتفوا بالاحتجاجات الصارخة على هذه الأعمال التى هى منافية للأخلاق والمروءة وللقوانين الدولية ، واهانة لصاحب الجلالة محمد الخامس لأن الزعماء الجزائريين كانوا في ضيافته .

أما الشعب المغربى فلم يستطيع أن يضبط أعصابه ، فصب جام غضبه على الجالية الفرنسية التى كانت تسكن في المغرب

الأقصى ، فدهما الثائرون من المغاربة ، فأتلفوا لها ما يقرب من أربعمائة مزرعة ، وقتلوا وأحرقوا وهدموا وحطموا كلما وصلت اليه أيديهم ، وانقطعت العلائق بين فرنسا وبين هذه الأقطار ...

المسؤول الوحيد عن هذه الأعمال القرصنة هو الوزير الفرنسى المقيم في الجزائر .



الهجــوم المثلــث عــلى مــصر

كانــت لمصر محطة كبــيرة تذيع الأخبار وتدعو الى تحريــر الشعوب وكان قسم منها سمته صوت العرب ، كان هذا القسم خاصا بالشؤون العربية ، يوجه الجماهير العربية ضد الاستعمار الغربي ، وينشر مساويه ويفضح أعماله التي كان يرتكبها في الجزائر ، ويدعو الى مؤازة الثورة وتأييدها فكان لهذا الصوت أثر بليغ في نفوس الجزائريين بحيث حرك النخوة والشهامة فيهم...

ضاقت الحكومة الاشتراكية الفرنسية بهذه الاذاعة الواسعة الانتشار ذرعا واعتبرتها اعانة كبيرة للثورة لأنها اللبت عليها الشعــب ، فنبهته من غفلته ، وبعثت فيه الشجاعــة والتضحية ، وعرفتــه بأعدائــه ألا وهــو الاستعمــار ، فأصبح لا يرضى الا بالاستقلال والحرية التي تأتي عن طريق الكفاح المسلح ، فأنخرط في سلك الثورة ، وهذا من جملة الأسباب في الهجوم المثلث على مصر ، وكان في شهر تشرين الثاني سنة 1956م .

الاضراب العـام الـذى دام ثمانيـة أيـام

وفي شباط سنة 1957م فتحت جمعية الأمـم جلستها السنوية ، وقيدت قضية الجزائر بصفة رسمية في جدول أعمالها بطلب من الشعوب الأسوية والافريقية لتناقش على هذا المنبر المالى ، فناهزت جبهة التحرير هذه الفرصة ، وأرادت أن تبين للعالم بأن هذه الثورة شعبية لا كما يدعيه الاستعمار الفرنسي بأنها ليست من الشعب ، وانما هى من المشوشين وقطاع الطريق تريد النهب والسلب فقط ...

ولما قدمـت القضية للمناقشة من طـرف الهيئة الأمميـة ، أصدرت جبهة التحرير أوامرها للشعب بـأن ينعزل عن العمل ثمانية أيام ليتحقق العالم من تضامنه واتحاده مع الثورة ، فاطاع الشعب هذه الأوامر ، وأضرب عن العمل بجميع طبقاته ، وبرهن على أنه من وراء جبهة التحرير ، فهى التى تمثله تمثيلا ، حقيقيا ، فتحقق العالم من أن هذا الاضراب العام كان تأكيدا وتدعيما للثورة ، وصار حجة قاطعة في يد جبهة التحرير تدحض به أقوال الخصم في المحافل الدولية والاجتماعات العامة .

بـدأ العالـم يعطف على هـذه الثورة ويؤيدها ، وانقسمت الهيئة الأممية في شأنها فبعضها يؤيد فرنسا ، ويعتبر هذه القضية قضية فرنسية لا دخل لمجلس الجمعية فيها ، ويفوض حل القضية اليها ، وبعض من هذه الهيئة يلازم الحياد عند الاقتراع ، والباقي يؤيدها .

وقفت الحكومة الفرنسية من هذا الاضراب موقفا حازما ، فقـررت منعه منعا باتـا ، وأخـذت لذلك جميع الاحتياطـات والتدابير اللازمة لمجابهته بالقوة ، فأوعزت الى القادة العسكريين بـأن يحلوا هذا الاضراب ويبطلوا مفعوله بـأى وسيلة كانت ، حتى لا تتكرر مثل هـذه الوقائع ، والعقاب الصارم لمن حدثتـه نفسه بالامتثال لأوامر الثورة فيكون عبرة لغيره ، ويجب عليهم

أن يطهروا العواصم من حوادث الفداء الدامية التى خيم الرعب على سكانها منذ نشوب الثورة .

وكان بطل هذه العملية هو قائد جنود المظلات الجنرال (ماسو) فبدأ هذا الطاغية يهيء في المعتقلات ، ويفتح سجونا أخرى ، ويعد أنواعا من أساليب العذاب والابادة للمواطنين ، وحشد قوة هائلة من الجند في كل ناحية من نواحى الوطن ، وحاصر جميع المدن والقرى ، وأخذ ينذر السكان المسلمين ويهددهم عن طريق الاذاعة ومنشورات كتبت خصيصا تحذر السكان من مغبة هذا الاضراب الذى أمرت به الجبهة ، وقال (كل من يمتثل لهذا النداء سواء كان من التجار أو العمال أو غيرهم يعتبر ثائرا ، فتحل عليه العقوبة ، فالتجار تصادر أموالهم ، وتغلق محلاتهم الى أجل غير مسمى والعمال يطردون من وظائفهم ويعاقبون ، فوزع هذا التهديد على السكان المسلمين) ...

ولما وصل اليوم المعين للاضراب أصبح الشعب كله مضربا عن العمل حتى الشعوب العربية شاركت في هذا الاضراب تضامنا مع الجزائريين وفي صبيحة هذا اليوم هجمت الجنود الفرنسية في كل ناحية من نواحى القطر على المحلات التجارية في المدن والقرى ، فكسرت أبواب الداكاكين وأتلفت ما فيها من البضائع والمواد ، وأشحنت النفيس منها في شاحنات الجند ، والباقى أباحته الى الجالية الأوربية ، ومن بعد ذلك يغلق المحل وتعلق عليه لافتة مختومة بطابعها (ممنوع الفتح الا برخصة من طرف الجنود) وكانوا يحملون الناس الى الملاعب العامة للبحث عن أسباب الاضراب ، ومن بعد ينقلون الى السجون أو المعتقلات .

هذه المعتقلات كثيرة جدا ، وكل يوم يدخل اليها آلاف من المواطنين على اختلاف طبقاتهم ذكورا واناثا ، وكم من نفوس سيقت الى العذاب ظلما وعدوانا ، وكم من أموال أتلفت جمعها أصحابها بعرق الجبين أصبحت الأمة كالأنعام تحمل في شاحنات الجند الى المزاجر والمشانق والتعذيب ، فأموالها مصادرة ، ومساكنها مخربة ومهدومة ، وشرفها مداس وكرامتها مهدورة ، ولم تجد ملجأ تلجأ اليه الا الصبر الذى لا شكوى فيه ، فمرت كلها — تقريبا — على التعذيب والتنكيل .

أما الحيوانات فكان الجند الفرنسي يجمعها ، ويصطفى منها لنفسه المختارة والتى تليق به ، والباقي يطلق عليها النار لكى لا يستفيد منها جيش التحرير . الخلاصة أن الجزائريين نكبوا ـ في هذه العملية ـ في الرجال والأموال وفي الشرف نكبة لانظير لها في تاريخ الانسانية ، والمحظوظ منهم من كان في الجبل حاملا سلاحه ، أو في السجن صابرا محتسبا أو في الخارج بعيدا عن الوطن . نشأ عن هذه الحالة استياء عام وغضب شديدان من جراء هذا التعسف فأصبح الشعب يغلى من هذا الظلم الصارخ ، والاهانة التى أصابت كبرياءه فأثر فيه الاحتقار ، فأصبح يدافع عن نفسه دفاع المستميت ، فالذى كان مترددا ولم يشارك في الثورة انضم اليها في الحال ، والجبران صحا من جبرته وتردده ، وأصبح لا يشك في مصيره في الفناء ، أدرك الشعب كله أنه لا تنجيه من هذه الابادة المحققة الا الوقوف صفاوا حدا في وجه الاستعمار ... والحقيقة أن هذه المعاملة السيئة من طرف الاستعمار هى التى كانت سببا في اتحاد الشعب ، وانخراطه في صفوف المكافحين ، فأصبح يتسابق الى مراكز المجاهدين في رؤس الجبال يقدم اليهم نفسه والمعونة المالية وغيرها عن طيب نفس ليكافح الجند الفرنسي الباغى رجالا ونساء حتى اظطر قادة الثورة أن يردوا الناس الى أماكنهم .

ولا يفهم من هذا أن الشعب كانت صفوفه كلها طاهرة من الخونة بل كان يوجد بعض الخونة من الشعب الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان أغراءهم الاستعمار بدعايته وأمواله ، فيعدهم وما يعدهم الا عرورا ، ويمنيهم بالأمانى الكاذبة ، فهؤلاء الخونة من ذوى الضمائر الخربة ، وبسبب الطمع وعدم الوعى والشرف يجدون في قتل اخوانهم ، وتعذيب مواطنيهم ، فالاستعمار يريد أن يحارب الشعب بعضه بعضا ، ولولا قوة الثورة لوقع الانقسام في صفوفه ، ولكن موقفها الصارم لهؤلاء الخونة ، ومعاقبتهم معاقبة لا هوادة فيها هو الذى حفظها من الانقسام ، فكان الثوار يذبحون الخونة كما تذبح الانعام ، ويتركونهم على قارعة الطريق ليعتبر بهم أمثالهم ، هذا الصنف من الخونة كان أشد على الثورة من الاستعمار .

ومن بين هؤلاء الخونة أبن الونيس ، وابن الحاج الجيلالى وكلاهما ينتميان الى حزب حركة الانتصار ، فتحالفا مع الاستعمار الفرنسى وأمدهما بالسلاح والعتاد الحربى والأموال .

فتمركز أبن الجيلالى في واد الفضة ناحية الأصنام ، وابن الونيس في ناحية سيدى عيسى والجلفة فكانا يحاربان في جبهة التحرير مع الجيش الفرنسى ، فعاثا في الأرض فسادا ، وقتلا خلقا كثيرا لا يحصى عددهم أما نهب الأموال وتعذيب الشعب ، فتعذيب الاستعمار لا يعد شيئا بالنسبة الى تعذيبهما ، ولكن في النهاية قضى عليهم وعلى أعوانهم جيش التحرير ، وأما الذين جندهم الاستعمار من (الحركة) الذين كانوا يقاتلون في صفوفه ، فهم كثيرون جدا .

الأسلاك الشائكة على طول حدود الجزائر شرقا وغربا «ومراقبة البواخر من ناحية البحر»

ولما تحقق قادة الثورة من أن فرنسا عازمة على مواصلة الحرب وابادة الشعب ، عزموا على تكوين جيش منظم تنظيما عصريا من الشباب ليدافع عن الوطن ، فبدأوا يجمعون الشباب ويرسلونهم الى القطرين الشقيقين تونس ، أو المغرب الأقصى ، ومن ثم يوزعونهم ، فبعضهم يذهب الى الشرق العربي ، وبعض الى أوربا أو الصين الشعبية يتدربون على حرب العصابات ويتلقون دروسا على مختلف الأسلحة العصرية ، والبعض من هؤلاء الشباب يبقى في القطرين الشقيقين يزاول تدريباته ، وبعد ما ينتهي الشباب من التدريبات العسكرية ، يرجعون الى تونس أو المغرب ليدخلوا الى الوطن .

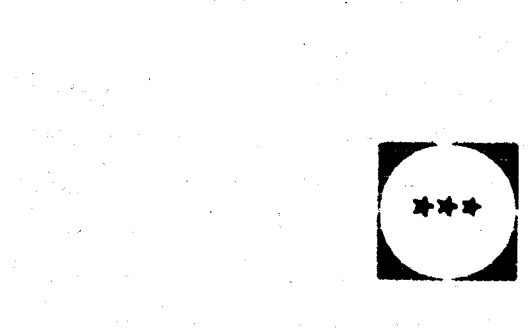
في هذه الفترة بدأ جيش التحرير يتكون على أساليب ونظم فنية ، وسلاح عصري ، وتمركز على الحدود الجزائرية من جهتي الغرب والشرق .

وكانت الحكومة الفرنسية على علم تام بهذه الخطة ، فأراد الجيش الفرنسي أن يحتل تونس والمغرب ليضمن الحدود غير أن الحكومة الفرنسية خافت من تدخل جمعية الأمم لأن تونس والمغرب عضوان فيها ، فعمدت الى تطويق الحدود الجزائرية من جهتي القطرين معا بأسلاك شائكة مكهربة ملغمة لتمنع تسرب المجاهدين من الدخول الى الوطن ، وتمنع كذلك المؤنة والذخيرة الحربية من الدخول الى الجزائر ، وسمته (خط موريس) لأنه هو صاحب الفكرة ، وفي نفس الوقت كان وزير الدفاع ...

هذه السدود من الأسلاك الشائكة عاقت كثيرا أعمال الجبهة ، وعرقلت نشاطها ، وسببت لها صعوبات كثيرة ومتاعب جمة ، كان أغلب الجيش الفرنسي في الحدود ، ومجهزا بالردار ، فكل من يقترب من الأسلاك الا وينقل احساسه في الحال الى مركز المراقبة ، لهذا أصبح المرور عليه صعبا جدا رغم الآلات التى

كانت تستعمل ضدها ، وكان لا بد من المرور على هذه الأسلاك الشائكة والخطوط النارية ، لأن أوامر القيادة والمؤونة والذخيرة كانت كلها على الحدود ...

فرضت السلطة الفرنسية المراقبة على البواخر التى كانت تمر في البحر الأبيض المتوسط خوفا من حمل السلاح الى الجزائر ، لأن الجبهة عقدت صفقات شراء مع بعض المنظمات الأوربية تبيع لها السلاح ، فتحمله المراكب وتفرغ شحنتها في نقطة معينة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط وفعلا ألقى الأسطول الفرنسى القبض على عدة بواخر كانت مشحونة بالأسلحة والذخيرة ، فصادرها في الحال ، وأصبح أهلها يحتجون .



القـانـــون الاطـــارى

ولما عجزت الحكومة الفرنسية على القضاء عن الثورة عمد الوزير المقيم العام في الجـزائر الى لعبة يريد أن يموه بهـا على الثورة والشعب ويخدعه بهذه الحلول الزائفة ، فساسة فرنسا لا زالـوا يحلمون ـ كما كانوا في الماضى ـ يظنون أن الشعـب الجـزائرى لـم يبلغ سن الرشد ، فينخـدع بالمجاملات ، ويقنـع بالتعللات ويرضى بالتوافه .

اقترح الوزير المقيم (م لاكوست) على البرلمان الفرنسى أن يمنح الشعب الجـزائرى القانون الاطارى ، وهذا القانون غـير معقـول لا في نوعـه ولا في معناه وانما عقلية الاستعمار تـأتى بالمعجزات ولا تعرف المستحيل ، ومع هذا مكث البرلمان الفرنسى يدرس في هذا القانون ما يقرب من سنة ، فكان يختار المواد التى تترك الجزائر مرتبطة دائما مع فرنسا أكثر مما كانت ، وفي كل جلسة يناقش البرلمان القانون الاطارى ، فينزع منه المواد التى تسمح للجزائريين بنصيب من الحرية ، وفي جلسة أخرى ينقص بعض المواد التى قررها في الجلسة الماضية لأنها تجعل الجزائريين يتمتعون ببعض الحقوق وهكذا كان ينقص من المواد المقررة ، ويضيف اليها مواد أخرى حتى أصبح هذا القانون خاليا من كل معنى ومحتوى .

سقوط الحكومات الفرنسية على التوالى

عجزت الحكومة الاشتراكية الفرنسية عن القضاء على الثورة ، وسئمت الحرب التى طال أمدها رغم النشاط الذى اتسمت به في الميدان العسكرى ، ورغم سياسة الارهاب والبطش اللذين اتخذتهما ازاء المسلمين ، ورغم التصريحات باستقلال الشخصى ، والانتخابات من بعد وضع السلاح ، وهذه التصريحات كلها كانت تمويها وخداعا ، وفراغا في فراغ لا فائدة منها ... وفي حزيران سنة 1957م سقطت حكومة (قى مولى) وأخلفتها في الحكم حكومة (بوجيس مونيرى) فسارات أشواطا قصيرة ، ثم سقطت ، ومن بعد هذه الحكومة صعدت الى منصة الحكم حكومة (فليكس قيار) ، وهاتان الحكومتان كانتا امتدادا لحكومة (قى مولى) ، فهذه الحكومات كلها كانت تنتسب الى الحزب الاشتراكى الفرنسى ، سارت هاتان الحكومتان على نفس الخطة التى سارت عليها الحكومة الأولى ، ولم تغير شيئا منها .

وفي هذه المدة شاعت أعمال الزجر التى يستعملها الجيش الفرنسى في العالم ، وذلك بواسطة الاذاعات والجرائد والمناشير المصورة التى كانت توزع على الناس والافلام السينمائية التى كانت تكشف عن الجرائم التي يرتكبها الجيش الفرنسى في الجزائر ، فضج العالم من هذه الأعمال الوحشية فتبرأت الأحزاب الاشتراكية العالمية من الحزب الاشتراكى الفرنسى الذى خالف مبدأه في الحرية والمساواة وكذلك العقلاء من الفرنسيين فكانوا ينصحون حكومتهم بحل هذه القضية حلا سلميا .

لكن الوزير المقيم في الجزائر عارض هذا الحل ، ووقف في وجه كل من يريد المفاهمة مع جبهة التحرير الوطنى بكل شدة ، وطلب من الحكومة الفرنسية أن تمنحه ربع الساعة الأخيرة يعالج فيه الوضع الجزائرى لعله يجد حلا مقبولا من الطرفين ، لكن هذا الربع طال حتى بدأ بعض الفرنسيين ينادون بسقوط الوزير ، واتهموه بأنه كان حجر عثرة في طريق المفاهمة ، وسببا في تعكير

الجو ، واضطراب الأحوال وكانت الحكومات في سقوط متوال والاقتصاد في انهيار وخراب واختلفت أحزاب فرنسا فيما بينها في قضية الجزائر ، فبعضهم يطالب بالمفاوضة مع جبهة التحرير وباستقالة الوزير المقيم ، والبعض الآخر يطالب بالحرب ، وبابقاء الوزير في منصبه فكادت حرب أهلية تندلع بينهما .

وفي هذه المدة ضاقت القيادة العليا للجيش الفرنسي من حركات جبهة التحرير التي كانت على الحدود التونسية ، ومرورها على الأسلاك الشائكة ، لأنها جلبت الآلات اللازمة لقطع هذه الأسلاك ، ودربت فرقا على ذلك وكانت تشرف على المرور ، وتنقية الطريق من الالغام لكي يمر المجاهدون بسلام ... اعتبرت القيادة العليا للجيش الفرنسي هذه الأعمال من جانب الحكومة التونسية عملا معاديا لفرنسا فقررت أن تعاقبها ففي شهر شباط سنة 1958م أمر الضباط الفرنسيون بقنبلة ساقية سيدى يوسف داخل التراب التونسي ، وأنها لا تبعد كثيرا عن الحدود الجزائرية انتقاما من الحكومة التونسية التي سمحت لجبهة التحرير باقامتها فوق أرضها ... فوجئت هذه القرية الهادئة بسقوط القنابل ، وانفجارها على المنازل فكانت تخر على من فيها من الأبرياء الآمنين ، ماترى الا النار مشتعلة هنا وهناك ، والأرواح تزهق ، والناس في هلع وذعر لا يدرون ما دهاهم .

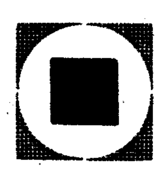
كان هذا العمل ظلما وعدوانا صارخا على دولة محايدة معترفا بسيادتها واستقلالها فثارت الحكومة التونسية بالاحتجاج لدى جمعية الأمم ، وآزرتها في ذلك بعض الدول ، واستاء الرأى العام العالمي من جراء هذا الهجوم الغادر الذى لا مبرر له ، وبدأت الاعانات والتبرعات من لدى المحسنين تصل الى المنكوبين من هذه القرية باستمرار .

اعترفت حكومة (فليكس قيار) بهذا الاعتداء ، وتوسطت أمريكا وانجلترا في هذا النزاع خوفا من تدخل مجلس الأمن ، في هذه القضية ، فانتدبت كل منهما مندوبا عنها ليكون وسيطا في الصلح ما بين حكومة باريس وتونس ولم ترض أى حكومة

منهمـــا بالشروط التى تقدمها الدولـــة الأخرى ، ولـــم ترضيـــا بالاقتراحات التى تقدم بها الوسيطان .

وفي هذا الأونة بدأت الحكومة التونسية تطالب بجلاء القوات الفرنسية المرابطة بترابها ، وهكذا بقيت الحكومتان في أخذ ورد حتى سقطت حكومة (فليكس قيار) ومن ثم أصبحت الحكومات الشعبية الفرنسية لا تستطيع أن تثبت أمام الثورة .

بدأ رئيس الجمهورية الفرنسية (م كوتى) يستثير الأحزاب فيمن يوليه دفة الحكم ، وقد امتنع النواب عن الترشيح لرئاسة الحكومة وأصبحوا يفرون من المسؤولية خوفا من الثورة الجزائرية العارمة .



تصاعد الثورة في الداخل والخارج

قال (فرانتي فانون) في منشورات للحكومة الجزائرية المؤقتة (ان الانسان الجزائرى هو انسان جديد ظهر في وهران وفي جبال أوراس ، وهو لن يحرر الجزائر فحسب ، ولكن يحرر شمال افريقيا وسيحرر العرب كلهم ، وسوف يكون النموذج والمثل الأعلى للمحارب العربي في سبيل عقيدة وفي سبيل حياة أفضل انتهى.

الثورة الجزائرية ثورة تحريرية شعبية تقف بجانب الثورة الفرنسية والروسية والصينية الشعبية والفيتنامية ، وأنها أكمل نموذج للثورة العربية الكاملة وأمجد صفحة في تاريخ الثورات الاسلامية ... ليست ثورة الجزائر ضد الاستعمار فحسب ، وانما هى حرب تحريرية شاملة تهدف الى تحطيم حلقة رئيسية من حلقات الاستعمار العالمى .

ولقد حققت الثورة الجزائرية آمال الشعوب المستعمرة ، سواء في آسيا أو في افريقيا ، أو في أمريكا الاتينية في الحرية والاستقلال ، ومنذ اعلانها وحركة التحرير سائرة في العالم ، ولم تتوقف ولو لحظة واحدة ، حتى كاد يتحرر العالم الثالث تقريبا ، الشيء الذى عجزت عنه ثورات الشعوب الأخرى من قبل ثورة الجزائر .

وتحرير الجزائر قضية تهم الجزائريين وحدهم ، ولكنها في نفس الوقت تهم العرب جميعا لا بدافع الأخوة الاسلامية فحسب ، ولكن بدوافع المصالح المشتركة ... استعمار الجزائر كان الثغرة الأولى التى دخل منها الاحتلال الغربى الى العالم العربى كله ، ولهذا أصبح كل عربى مسلم ـ من بعد الاستقلال يعد ثورة الجزائر ثورته .

الثورة الجزائرية الكبرى تهم كل الأحرار في العالم لا بدافع العطف على الحرية ، ولكن بدافع الاشتراك في مصير الشعوب المستعبدة ، لأن الجزائر هى البوابة الكبرى التى دخل منها

الاستعمار الغربى الى القارة الافريقية حتى سقطت في قبضته كلها .

استقلال الجزائر معناه استقلال القارة السوداء ، ولهذا لما هبت شعوب هذه القارة لتحرير بلدانها وجدت الاستعمار محطما منهوك القوى بسبب ثورة الجزائر العارمة ، فنالت هذه القارة استقلالها بدون اراقة الدماء وبدون صعوبة تذكر .

ثورة الجزائر الكبرى قضت على طغيان الجيش الفرنسي ، وعلى نظام جنرالاته ، وعلى جميع السفاكين والمتعطشين للدماء ، والمتجبرين والمتحكمين في رقاب العباد فلقنتهم درسا قاسيا ، فجعلتهم ينسحبون من القارة السوداء بدون حرب ...

وكان ضباط فرنسا أمثال ماسو ، وسالان ، وشال ومن لف لفهم يخوضون منذ عشرين سنة غمار حرب ضروس في العالم عساهم أن يحرزوا على نصر ما ولذا كانوا يحاربون الشعب الجزائرى الأعزل بأقوى قوة ، وأكبر عتاد حرب وأضخم جيش مما كان عليه أيام حربهم مع ألمانيا ، وفي حربهم مع الجزائر كانوا يستعملون هذه العبارة (كفانا اهانة ... كفانا استسلاما) ولكن أنى لهم الانتصار ، والشعب الجزائرى قد استيقظ من سباته ، وبدأ ثورته باسم الله ، ووقف بكل عزم وصلابة في وجه جبروت الاستعمار موقف رجل واحد ... لم يكن أحد يعلم أو يظن على الأقل أن الثورة ستصل الى ما وصلت اليه من القوة حتى انتصرت على أعظم جيش استعمارى في العالم ، وأرغمته على تغير نظامه الذى كان يستعبد به الشعوب ، ولا أحد كان يظن أن الاستماتة التى أبداها كل من الطرفين المتحاربين في سبيل احراز النصر لا السياسيون المحنكون حتى قادة الثورة أنفسهم كانوا يجهلون عما تسفر عنه الثورة من الأحداث الجسام رغم تخطيطهم لها ، وتقديرهم للخسائر التى تنتج عنها ، والأهداف التى تصل اليها ...

وكذلك الحكومة الفرنسية لم تكن في يوم من الأيام تتكهن بهذه الصعوبات التى لاقتها في هذه الثورة الا أنها تدرك ما ينطوى عليه الشعب الجزائرى من طاقات حية على حسب مواقفها

معه في الماضى ، ولكنها لم تتوقع أن الشعب يتحد ويقف كرجل واحد في وجهها ، ويبرز بهذا التكتل والنظام الدقيق الذى أصبح مـضرب الأمثال ، وانما كانـت تظن أن هـذه الثورة كالثورات الماضية ، فسرعان ما تفشل بسبب الاختلاف ومحاربة بعضهم بعضا ، ونسيت أن الشعـب أصبح لا يتحمل حـكم الاستعمار ، والحرمان الذى فرضه عليه منذ الاحتلال ، ولهذا وغيره اندفع في هـذه الثورة كالتيار الجـارف باسـم عقيدته الاسلامية ودينه الحنيف ، والشعب اذا حارب باسم الاسلام لا تستطيع أى قوة مهما كانت أن ترغمه على التقهقر وهذا ما وقع ...

كانت فرنسا تظن أن هذه الثورة كالثورات الجهوية التى قامت في عهد الاحتلال كثورة عين التوتة ، وثورة مليانة ، وثورة أولاد سيدى الشيخ ، وثورة بلاد القبائل ، هذه الثورات كلها مهما بلغت من العنف لم تكن تكتسى صبغة نظامية ...

أما ثورة أول نوفمبر فقد أكتسبت من أول وهليت صبغة دينية وطنية ولهذا أن هذه الثورة لا تشبه الثورات التى خاضها الجزائريون مع الاستعمار من قبل .

كان المسؤولون من فرنسا يعلمون شدة مواقف الجزائريين الصلبة ، ومقاومتهم العنيفة الطويلة النفس لهذا عمدوا الى تسوية مشكل الهند الصينية ومنحوا الاستقلال للمغرب وتونس ليتفرغوا للحرب في الجزائر التى بدأت في الانفجار ، فاذا قضوا على الثورة في الجزائر ، فانهم لا يبالون بالاستقلال الذى منحوه الى تـونس والمغـرب ماداموا يملكون الجـزائر ، لا يؤثر هـذا الاستقلال على مصالح فرنسا ، بهذا تفرغت فرنسا من جميع المشاكل الخارجية ، وجمعت كلما كانت تملك من قوة ورمت بها الثورة في الجزائر .

خاض الشعب الجزائرى حرب التحرير بكل قوة وعنف ضد الغاصبين ، فأصهرته هذه الحرب بحوادثها المؤلمة حتى التحم بعضه ببعض ، وأبرزه هذا الانصهار الى الوجود على سجيته الأصيلة ، وشخصيته الاسلامية الفذة اللامعة ...

فاصبحت السهول والجبال والأودية والمدن والقرى من أرض الجـزائر كلها ميدانـا للكفاح ، وبطاحـا للمعارك الداميـة ، والاشتباكات الكثيرة ، وكان المجاهدون الأحرار يخرجون من هـذه الحـروب الطاحنة ظافريـن منتصرين في كل معركة لأنهم يباغتـون العـدو ليلا ونهارا حسـب مـا تسمـح بـه الفرص فينزلون بـه ضربـات قاسية في لمح البصر ، ومن بعد ينسحبون بسرعة من ميدان المعركة ، لأنهم لا يستطيعون أن يواجهوه وجها لوجه لأنه متفوق عليهم في العتاد والقوة ، ومن بعد يختفون لم يقف لهم على أثر ، كـأن الأرض ابتلعتهم وهذا هـو شأنهم في جميـع المعارك قلما كانوا يقابلونه .

فهـذه الانتصارات الرائعة هي التي كانت سبـبا في تحمـل الشعب من ويلات الحـرب وتمرسه بالآفـات ، فاصبح لا يبالى بالعذاب الذى سلط عليه من بداية الثورة فكان بعضه في أعماق السجون ، والبعض على أعواد المشانق ، وتحت شفرات المقاصل ، وقذائف المدافع ، وقنابل الطائرات كانت تدك القرى والمنازل دكا ، وتحرق كل شيء فيها ، ورصاص الجند كان يحصد النفوس حصدا لم ينج أحد من هذا البركان المتفجر الا من اتخذ الجبل حصنا وملجأ يكافح ليله نهاره بدون انقطاع ، أو فر الى الخارج من هذا الأتون الملتهب ، والباقى من الشيوخ والعجزة والاطفال والنساء جمعوا بين الأسلاك الشائكة للعرى والجوع والمرض ...

والعامل الوحيد لهذا الصبر على هذا الحال ، والصمود في وجه العدو ، وتحد طغيانه وجبروته ، وظلمه بجميع أنواعه هو الاسلام الذى بعث روح القوة والمقاومة التي لا تلين في نفوس المجاهدين ، وكان شعارهم (الله أكبر) ... وصلت قوة الجيش الفرنسي في هذه المدة الى خمسمائة آلف جندى مدجيجين بسلاح الحلف الأطلسى ، ويؤيدهم ما يقرب من مليون أوربى جزائرى سالت دمـاء الجـزائريين على أرضهـم أنهارا ، وباليت الجـيش الفرنسى وقف عند هذا الحد ، بل كان يستعمل السلاح الذى حرمه القانون الدولى ضد الجزائريين هذا السلاح الفتاك المبيد لكل شيء (هو النابالم) الذى لم يستعمل في الحرب العالمية الثانية فاستعملته فرنسا ضد الثوار ... كان الجيش الفرنسى يقتل

الاسرى من جيش التحرير ، بل يمثل بهم ... استنادا الى وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقة ، والى ما نشرته صحيفة المجاهد تقول : ان جميع المعارك المسلحة العظمى التى قامت بها شعوب آسيا وافريقيا للتحرر ، كان الاستعمار فيها يدافع عن وجوده بوحشيــة وشراسة ، وأصبح استعمال (النابالم) هــو الســلاح المفضل عنده فقد استعمله في كوريا ، وفي الفتنام ، وفي الجزائر .

لماذا يستعمله ؟ لأنــه سلاح تدمــير شامل ، ويحدد مساحــة مفعوله ، ويحرق كلما كان على وجه الأرض ، وهذا السلاح كان (يحلم به الجنرال بيجو ، وسانت آرنو) وكل غزاة الاستعمار .

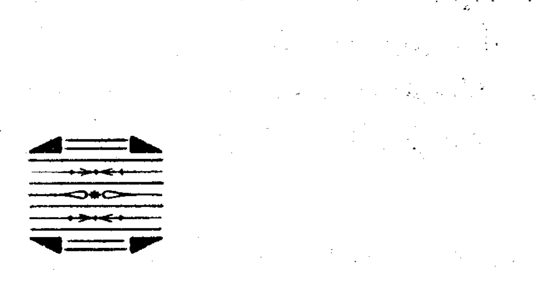
انشئت الحضارة الغربية على التميز العنصرى ، والعروق الجنسية ، فروحها ومفاهمها ومقايسها تتصرف ازاء الشعوب التى هى من غير جنسها على أنها لا تقيم لها وزنا ، ولا تفهم الا القوة ، اذن يجب ترويعها ، ويعلن المعمرون صراحة في الجزائر ، (ان الثوار يشيعون الارهاب ، وأن الخوف يجب أن ينتقل اليهم) هذا مــا قالــه الأسقف الفرنسى (ساليج) سنة 1900م ، (ان الخــوف والاحتقار والقوة هى مــا يلزم للشعوب المتخلفــة حتى تبقى مستكينة) وهذه النظرية عند المستعمرين لاتزال تتكرر بدون انقطاع ، بل ان الكلمات التى يطلقها علينا المستعمرون تدل عــلى تصورهــم لنا ، انهــم يطلقــون علينــا الأسماء التاليــة : المستعمرات شعوب متخلفة . افريقيا المحاطة بالأسوار ، آسيا المنحطة ، النمل البشرى ، الجماهير المخيفة الديدان الوسخة الى غير ذلك من الأسماء والنعوت التى تدل على تصور الرجل المتمدن لنا .

وعندهم ازاء هذا النمل ، وهذه الديدان ، وهذه العصابات الفوضوية لا يوجد أى جرم في ابادتها ، بل ان ابادتها عملية صحيحــة في مستــوى عالمى انها داخليــة عندهم في نطاق ابــادة الحشرات .

وعملياتهم الحربية ضدنا يطلقون عليها أسما ء تستوحى من هذه النفسية ذاتها فالجنرال شال أطلق على عملياته التفتشية

بعمليـــة المشط الدقيق ، والجـنرال فور سماها عملية التطهـير الأكبر ، وهذا التطهير عبارة عن عملية الحرق التى لا تبقى ولا تذر .

الجـيش الفرنسى ظـل يستعمل (النابالم) عـدة سنوات في الجزائر ، وهم الذين كانوا يستنكرون أعمال القائد الأمريكى (مارك ارثر) في كوريا لسنة 1951م وينسون اليوم هذه العملية الوحشية ، وأمريكا هى التى تزود فرنسا بهذا السلاح المبيد ، فالجزائر توجه التهمة الى هؤلاء المجرمين وهى تحمل في يدها الشهادة القاطعة .



النابالـم في الفيتنـام

يقول الصحافي الكبير (م. دومنياك) مدير جريدة الفكر (اسبرى) الذى أصبح يشتهر باستعمال العنف، ويجمع المتطرفين، ويقول: منذ تسع سنوات ما تزال هناك صفة انسانية للحرب أو هل ما يزال هناك سبب للاحتجاج على عملية التدمير للسكان الأبرياء ؟ ان العالم كله قد تعود على هذه الفكرة وهي أن الحرب عند ما تحدث تكون عامة لا رحمة فيها، لقد أصبح من الضرورى ابادة العدو بالجملة، وما دون ذلك فهى عواطف سخيفة هذه هي الفكرة التى تحملها الدول المتمدنة ازاء الشعوب المتخلفة، وآخر مولود من أسلحة التدمير للشعوب الضعيفة اخترعه الاميريكان لفنائها وهو (النابالم) وهو عبارة عن جليد من البنزين تلقيه الطائرات، فيحدث حريقا في كل ما يمسه من أرض ونبات، وحيوان ومساكن انه لا يبقى شيئا وفي الهند الصينية كانوا يظنون أن الحرب التى يخوضونها مع الاستعمار عملية بوليسية ولم يدركوا أنها حرب ابادية الا عندما بدأ فيها (النابالم).

ويرجع الفضل الى عبقرية الجنرال الامريكي (دولاتور) كان هو أول من بدأ باستعمال هذا السلاح في معركة هانوى، وأعلن أنه سلاح الطيران، قد أباد (بالنابالم) وحدة للعدو فوق الجبال، ويواصل (دومنياك كلامه قائلا) : لم تعد هناك فائدة في الاحتجاج على أعمال الطيران الأمريكي في (كوريا) ولكننا نستطيع أن نطلب من الانسانيين المسحيين والاشتراكيين الذين يحكموننا، هل يتحملون مسؤولية استعمال هذا النوع الجديد من الحرب ؟ وهل يهضمونها مع التقاليد التحريرية التى ينادون بها ... ؟ مجلة أسبرى، سنة 1951م .

وفي الجزائر جاء في العدد 49 من كراس الشاهد المسيحى في زاوية يوميات القائم مقام (س) في صفحة 51 ما يلى يوم 25 ــ 8 ــ 1958م ان وسائلنا مهولة فلكى نفتح الطريق أمام قافلة كنت

أقودها ، تحصلت على 3 سيارات جيب ، و4 سيارات شاحنات ، و5 آلات راديو وطائرة اكتشاف ، وقوة نارية كنت أسيرها بواسطة الراديو ، و4 سيارات رشاشة ، والى جانب كل ذلك قوة احتياطية ، وقوة مدفعية مستعدة في كل لحظة لاستعمالها ضد الغيران والكهوف ، وعندنا أخيرا أوعية خاصة تحمل (النابالم) الذى هو سلاح مستعمل بصفة عامة انتهى .

صدر أخيرا كتاب الجزائر عمرها عشرون عاما في سنة 1960م كتبه (الآن مانيفى) المراسل السابق في مصلحة الصحافة التابعة للجيش الفرنسى تحدث فيه عن رحلة في شرق الجزائر فقال : النار ! النار ! في كل مكان في المرتفعات نشاهد خطوطا هائلة من الحريق تهاجم الجبال ، وتصعد الى الغابات وأبعد من ذلك نشاهد النار أنها حرائق مهولة في مساحات شاسعة بعيدة أنها حرائق (النابالم) جبال بأكملها تشتعل وتحترق حتى لا يأوى اليها الثوار !!

***

النابالم في الجزائر (بقلم جان لاكنر)

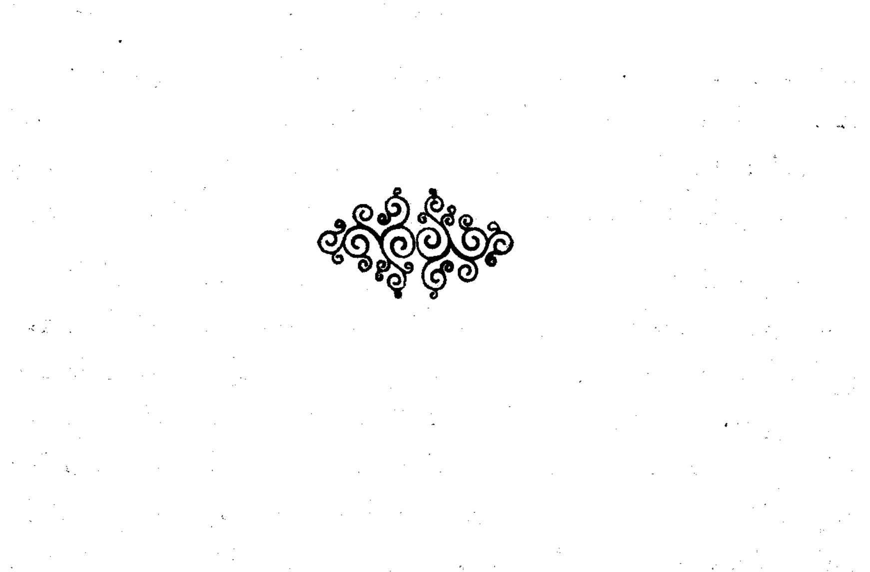
في صحيفة (لموند) عدد سبتمبر سنة 1958م النص الكامل لهذا السلاح الذى استعملته فرنسا في الجزائر ضد جيش التحرير يقول ضابط من جيش التحرير الوطنى عندما سئل عما جرى في معركة جبال الونسريش ، فصرح بما يلى : عن عملية (كرون) قال : انتخبت كتائب المنطقة الرابعة والسابعة من الولاية الخامسة ، ووحدة الكمندوس التابعة لعبد المؤمن ، ووحدة الكمندوس في المنطقة السابعة ، والعناصر الرئيسية من أجهزة النظام السرى في الولاية الرابعة ، انتقلوا كلهم الى الولاية الخامسة ، وكان مجموعهم يتجاوز 40 رجلا ، وبعد ذلك أجتمع ضباط الولاية الرابعة والخامسة ، فتسلم سى محمد قيادة العمليات في قطاع باب البكوش من الولاية السادسة ، ومعه وحدات الولاية الخامسة 40 كتيبة من الولاية الرابعة من بينها كتيبتان الكريمية والزبيرية وأضيفت وحدات جهوية لتعزيزهم ، وبذلك بلغ عدد المجاهدين لابأس به ...

قرر سى محمد القيام باشتباكات مشددة طيلة 15 يوما ضد العدو ، وفي أثناء ذلك قدمت الكتيبة الزبيرية من المدية وغنمت 25 قطعة سلاح من بينها مدفع رشاش ، وبقينا في اشتباكات مستمرة مع العدو ، رغم القذف الجو ، واستعمال النبالم ضدنا .

النابالم ، مستعمل بكثرة ضدنا ، وعندما نشتبك مع العدو نحتل المرتفعات فيصعد الينا العدو ، وعن الطلقات الأولى من جانبنا ينسحب الجند الفرنسى من ميدان المعركة ، ويبدأ سلاح الطيران في العمل مستعملا الرشاشات والنبالم ، يلقى من الطائرات الثقيلة ب 26 والخطة التى يستعملها المجاهدون في هذه الحالة هى أن يلتصقوا بالجيش الفرنسى المنسحب ويلاحقونه وعندئذ يصب (النابالم) على المرتفعات المهجورة ، وهكذا فان خطط حرب العصابات وسرعة الحركة هى التى تمكن جيش التحرير من النجاة من النبالم .

معركة الونشريس : جرت هذه المعركة على الصفة التالية ، بقينا 15 يوما في اشتباكات متصلة مع العدو ، والعدو لم يكن يتوقع منا هذا الاستقبال فانسحب من المنطقة تاركا منشورا يعطي للمجاهدين مهلة 8 أيام للاستسلام (وفي الوقت نفسه أعلن الناطق الرسمي بلسان القيادة الفرنسية عن ابادتنا جميعا) فسحبنا الجرحى والمصالح الادارية ، وعقدنا اجتماعا جديدا قرر أثناه سي محمد ما يلي :

أولا : انسحاب الفرقة الرابعة الى داخل الولاية الرابعة .
ثانيا : التوغل في المناطق الخامسة التى كنا انسحبنا منها لنكون فراغا حول العدو بعد المعارك العنيفة التى جرت فيها ، وعندما رجع العدو بقوات ضخمة ليسحق كتائبنا التى ألحقت به أضرارا كبيرة لم يجد شيئا فقرر البحث عنا في جبال منطقة الجزائر العاصمة ، وفي أثناء البحث كانت كتائب الولاية الخامسة من خلفه تتوغل من جديد في مناطقها ، وتوزعت على شكل فرق صغيرة من الفدائيين تتبعهم الأجهزة الادارية والجرحى .



هزائـم مريعـة في جبـل مـزى للجيـوش الفرنسيـة
الجـيش الفرنسـى يستعمـل النابالـم

وصف معركة جبل مزى كما رواها جنودنا الأربعة لمراسل المجـاهد في 18 ـ 5 1960 أصـدرت وزارة الأخبـار في الحـكومة الجزائرية لمؤقتة بلاغا عن معركة جرت في جبال مزى استعملت أثناءها القوات الفرنسية قنابل النابالم أصابت بها أربعة من جنودنا ... دارت هذه المعركة الرهيبة التى استمرت من 5 الى 8 مـاى 1960م في جبل مزى القريـب من جنان بورزق في الجـنوب الغربى من القطر الجزائر ، وكانت قوانا في هذه المعركة مؤلفة من خمس كتائب مجهزة بأحسن الأسلحة وأحدثها ، فلديها الى جـانـب الأسلحـة الاتوماتيكيـة الخـفيفـة مدافـع رشاشـة ومدافـع الهـاون مـن عيـار 81 ، وأجهـزة لا سلكيـة تسهـل لنا الاتصال بالقيادة العليا في كل حين ، وكانت قوانا تملك زمام المبادرة في هذه المعركة وتحتل مواقع حصينة فوق القمم العالية ، وقد صدرت اليها الأوامر بأن لا تكشف عن مواقعها الا بعد أن يقترب العدو بمسافة قصيرة جدا بحيث لا يتمكن من الانسحاب ، ولا يستطيع الطيران والمدفعية المعادية التدخل في المعركة نتيجة تلاحم الجانبين واختلاطهما ...

وفي مساء يوم 5 ماى احتلت احدى وحداتنا جبل مزى ، بينما أخذت الكتائب الأخرى مواقعها في جبل زرانين المقابل للمركز العسكـرى الفرنسى في حجرة مقيـل ، وجبل فرطاسة المواجـه لجنان بورزق وهكذا كونت وحداتنا نصف دائرة ، وكمنت في احكام لقوات العدو المنتظر مجيئها .

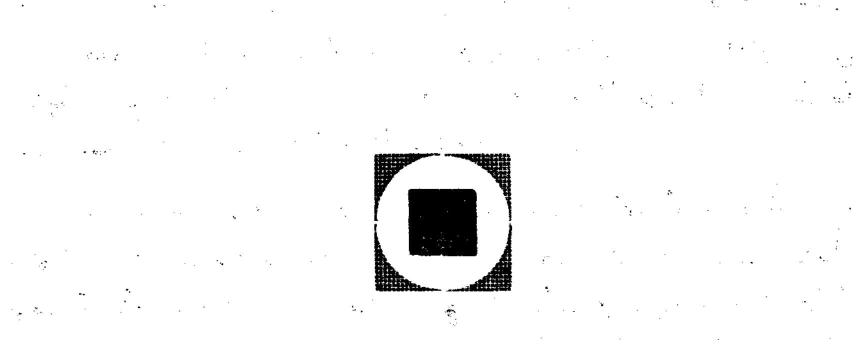
وفي صبيحـة اليـوم التالى قامـت أربـع طائـرات ب 26 ، وطائرتان ت 6 بعملية استطلاع ثم جاءت بعدها سبع طائرات عمودية فأنزلت الجنود الفرنسيين دفعتين متوالتين في مكان يدعى الحجرة المدفونة ، ومن هناك انطلقت القوات الفرنسية تقتفى آثارنا دون أن تعثر علينا لأننا كنا قد أحسنا تضليلها وأخفينا

مواقعنا عنها حتى وقعت في الكمين المنصوب لها دون أن تتنبه وفعلا تقدمت القوات الفرنسية داخل الكمين حتى صارت على بعد عشرين ميتر من مرمى أسلحتنا دون أن تشعر بأى شيء غير عاد ، واستعمل المجاهدون عنصر المفاجأة لينقضوا على العدو انقضاضا ساحقـا ويصلوه جحيما متواصلا من نـيران أسلحتهم الأتوماتيكية ، ولم يمر غير وقت وجيز حتى أبيدت تلك العناصر المعادية التى وقعـت في الكمـين ، وبدأت نجدات العـدو تتوالى على ميدان المعركة تحت حماية المدفعية الثقيلة التى كانت ترسل قنابلها دون أى ضبط ، وتحديد من المراكز العسكرية في جنان بورزق ودرمل ، واتسع ميدان المعركة وحمى وطيسها بعد قدوم هذه النجدات ، وقد استطاعت قواتنا المتمركزة خلف الصخور المتينة ان تكبد هذه القوات المعادية الجديدة خسائر فادحة ، وان تردها على أعقابها وتضطرها الى الانسحاب بعد أن ترك العدو في ميدان المعركة ما يزيد على 300 جنديا بين قتيل وجريح ، وبعد انسحاب القوات البريـة تدخل الطـيران الذى استمر يقنبـل المنطقة حتى منتصف الليل في حـين كانت النجدات العسكريـة تتهاطل من كل جهة محاولة ضرب الحصار حولنا ، ولكن قواتنا استطاعت أن تخرق الحصار وان تشق طريقها حتى بين صفوف العدو ماضية الى مواقع أخرى أكثر ملائمة للمعركة ...

ومع مطلع النهار في اليوم الثانى شن العدو عملية واسعة محاولا فرض الحصار علينا من جديد ، فتعرض لوابل من النيران ، واضطر الى التراجـع ، وتدخل الطـيران والمدفعية مرة أخـرى كما قدمت النجدات عن طريق السكة الحديدية ، وسيارات النقل ، والطائرات العمودية التى تجاوز عددها الثلاثين طائرة ، والتى كانـت توالى نقل النجدات العسكريـة بدون انقطاع غـير أن المقاومة البطولية الرائعة التى أبداها جنودنا البواسل جعلت العدو يعتمد في المعركة على الطيران بصفة خاصة ، فتدفقت فوق ميدان المعركة أفواج متوالية من الطائرات التى تجاوز عددها الخمسين : طائرة من نوع ب 26 ، 29 وت ، كانت هذه الطائرات تطلق نيران رشاشاتها الخفيفة ، وترمى قنابل النابالم ، وهى قنابل مستطيلة الحجم تنفجر بمجرد نزولها وتطلق دخانا أسود

يتبعه لهيب متدفق يشق عنان السماء ويلتهم الأحجار والاشجار وكـل شيء يعترضه ، وتنطلق منه رائحة كريهة تشبه رائحـة الكبريت ، وقد أصبح ميدان المعركة جحيما من اللهب الذى يزداد انتشارا مع الأرض ، وارتفاعا في الجو ، ولكن أبطالنا استطاعـوا أن يواجهوا جرائم العدو بـروح بطولية صامـدة ، وأن يقتحموا صفوف العدو السميكة التى كانت تفرض عليهم حصارا شديدا ، وهكذا شق أبطالنا طريقهم داخل جحيم السماء والأرض ، واستطاعوا أن ينقذوا اخوانهم الجرحى رغم تكاثر قـوات العدو التى كانت تـرد من كل جانـب وان يحملوهم الى المواقع الأمينة حيـث يجدون العلاج السريـع ، ثـم قدموا الى المغرب ليكونوا دليلا حيا وشهادة ناطقة أمام الرأى العالمى على جرائم الاستعمار الفرنسي ووحشيته التى ستزيد في التعجيل بعمره الكريهة والقضاء عليه الى الأبد ...

هذه النصوص أختيرت من المقالات والوثائق التى نشرت بجريـدة المجاهـد اللسان المركـزى لجـبهة التحريـر الوطنى ــ الجمهورية الجزائرية المؤقتة ــ وزارة الأخبار ...



صـــدى الثـــورة في الخـــارج

نالت هــذه الثورة اعجاب العالم وتأييده حتى الفرنسيـين أنفسهم كانوا ينوهون بهذا الكفاح البطولى ، ويحثون ولا تهم على التفاهم مع الجزائريين .

كانــت اذاعة العالم كلها تتكلــم على الثورة الجــزائرية بكل لسان وتشرح مقاصدها وأهدافها ، والأسباب التى ثار الشعب من أجلها ، وكانت تشيد ببطولة المجاهدين الأبرار ، وتندد بسياسة الاستعمار الفرنسى الذى كان يطبقها على المسلمين .

عقد من أجل هذه الثورة مؤتمرات كثيرة في الشرق والغرب رسمية وغير رسمية من جميع طبقات العالم وهيآته بما في ذلك الحكومات والمحافل الدولية وأخص بالذكر منها مؤتمر باتدوك الذى تكلمنا عليه سابقا .

تبنت الدول الأسوية الافريقية القضية الجزائرية برمتها لدى جمعية الأمم ، وكانت في كل سنة من سنى الحرب تقريبا تقدم الى مجلس هذه الهيئة ما ترى الا الالسن تتبارى والعقول تتصاول وتتقارع بالحجج والبراهين ، والافكار تتصادم والنقاش يحتدم ، والمحاورة تشتد وتقوى ، وشقة الخلاف تتوسع ، والجدال قائم بين رجال الشرق الناهضين ، ورجال الغرب الغاصبين من فوق منبر عالمى ، رجال الشرق يريدون التحرير والانطلاق حتى يسترجعوا مكانتهم وسيادتهــم ، ورجال الغــرب يحافظون على امتيازاتهم في هذه البلدان ، ويسترون مطامعهم الاستعمارية تحت شعار الديمقراطية والأخوة والمساواة .

رغم هذه الحروب المهولة التى لم يخمد لها أوار منذ سبع سنوات ، ورغــم الخــسائر التى لحقت الطرفين ، ورغــم اهتمام جمعية الأمــم ، وغــيرها من الجمعيات الأخرى بايجاد حــل عادل يضمن حقوق الطرفــين ورغــم تدخل الدول الحــليفة وتوسطها لجعل حد لهذه الحرب القائمة على قدم وساق في هذه البقعة من

العالم لينعم سكانه بالسلام ورغم الصيحات التى كانت ترتفع من أنحاء العالم حتى من الفرنسيين أنفسهم ، ومن رجال الديانة المسيحية ، كلها مطالبة باءنهاء هذه الحرب المجرمة في أقرب وقت ممكن رغم هذا كله لم يتوصل الطرفان الى الحل المنشود ...

ولا نعلم قضية شغلت بال الرأى العام العالمى ، واهتم بها ساساته الكبار مثل قضية الجزائر والفيتنام في هذا العصر فهزتا كيان العالم قاطبة وحفزتا الشعوب المستعمرة الى خوض معركة الحرية والاستقلال .

سببت الثورة الجزائرية مشاكل كثيرة وأتعابا جمة للشعب الفرنسى في الداخل والخارج حتى أصبحت حكوماته عاجزة عن حل هذه القضية ، وارجاع السلم الى هذه الأوطان ، بل كانت في سقوط متوال ، واقتصادها في انهيار مستمر فبلغت نفقات الجيش المحارب في الجزائر في اليوم الواحد ثلاث مليارات ، وأحيانا أربع مليارات من الفرنك القديم .

أخذت الأزمات تشتد وتأخذ بعنق الشعب الفرنسى ، فأصبحت تهدده بالانفجارات والانقسام لأن الحالة الداخلية كانت تنتقل من سيء الى أسوأ ، ولا تقل الحالة الخارجية عنها خطورة ، فالعالم كله أدان فرنسا على سياستها المتبعة في الجزائر ، وكان يندد بها حتى ضاق الشعب الفرنسى ذرعا بها لأنها لا تعرف الا الحرب ...

انقسم الشعب الفرنسى نحو قضية الجزائر الى قسمين ، فأحزاب اليسار كانت تطالب بالمفاهمة مع الجزائريين وتسوية المشكل بالسلم، والأحزاب المتطرفة اليمنية من غلاة الاستعمار كانت تعارض كل مفاهمة وكل حل يقع ما لم تكن الجزائر فرنسية ...

اصبح الشعب الفرنسى يعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات ، بل كل حزب كان يعقد مؤتمرا عاما وخاصا فتناقش القضية الجزائرية فيه نقاشا حادا من جميع وجوهها ، وتقدم التقارير واللوائح والتوصيات الى الحكومة ...

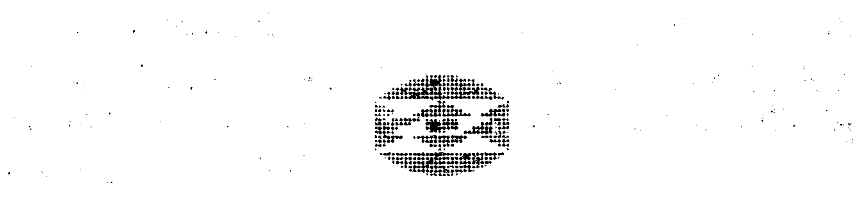
ولما كان منطق الثورة منطقا صحيحا ومعقولا وحجتها قوية وما هي الا امتداد للمقاومة الشعبية التى سبقتها منذ الاحتلال

فتبين للشعب الفرنسي بأن الجزائر ليست فرنسية كما يزعم المعمرون ، وما هو الا شعب أجنبي عن فرنسا له كيانه ومقوماته وعاداتـه أستعمر في وقت مـا ، والآن هـب يدافع عن حقوقـه الشرعية ، ولهذا اعترف أكثره بالواقع ، وأصبح يؤازر الشعب الجزائري في مواقفه ويندد بهذه الحرب التي لا مبرر لها ...

هذه الثورة غيرت مجرى التاريخ لا في آسيا وافريقيا فحسب ، بـل حتى في فـرنسا نفسها ، فانها غـيرت نظريتها العتيقة ازاء مستعمراتها وأصبحت تتفاهم معها على تقرير مصيرها ...

ان اصرار الرجل الافريقي والأسوى على السيادة على أرض آبائه وأجداده أحبط مساعي الاستعمار ، وأرغمه على الاعتراف بحقوق الانسان مهما كان ...

والفضل في ذلك يرجع الى الثورتين الكبيرتين الشهيرتين في القرن العشرين : ثـورة الجـزائر الكبرى في افريقيا ، وثـورة الفتنام في آسيا ، فبهاتين الثورتين خسر الاستعمار مستعمراته في كل من القارتين ، فانتصار الثورة الجزائرية على الظلم والطغيان كان أكبر انتصار حققته الشعوب المستعمرة في هذا العصر ...



تخطيط للعمليات العسكرية الفرنسية

بدأ قادة الجيش الفرنسى عملياتهم الحربية الواسعة النطاق ضد الثوار باتباع حرب تقليدية ، وهى القضاء على الثورة بقتلهم أو أسرهم ، ففشلوا في هذه الخطة ، ولم ينجحوا ، فرجعوا أسباب هذا الفشل الى نقص في العتاد ، فضاعفوا من قوتهم وعتادهم الثقيل وزيد في الجيش .

هكذا كلما خسروا في حربهم مع الثورة يطلبون المزيد من الجند والسلاح وحكومة باريس لا تبخل عليهم بالامدادات الضخمة فوضعت تحت تصرف قاداتها في الجزائر كلما كان لها من قوة ومن قوة حلفائها أيضا ، وكانت دائما تلبى نداء ضباطها لا ترفض لهم طلبا أبدا حتى بلغ عدد قواتها في الجزائر ـ بعد عام واحد من اندلاع الثورة ـ خمسين ألف جندى مزودين بأحدث الأسلحة .

جرب جنرالات فرنسا برامج القتال وأنواعه في هذا الوطن وجميع المخططات الحربية الحديثة ، واستخدموا جميع أنواع الأسلحة من قديم وحديث ، وثقيل وخفيف ، ومع هذا كله كانوا يقاسون العجز والفشل والخيبة أمام قوات الثوار المتواضعة وبقى هذا العجز ملازما لهم الى مفاوضة (ايفيا) .

كل هذه الأساليب من البرامج الحربية المحكمة ، والهجومات العنيفة ، واستعمال الآلات الجهنمية على اختلاف أنواعها وأشكالها ، والتخريب والتدمير اللذين سلطا على البلاد ، والبطش والفتك اللذين استعملا ضد المسلمين لم تغن عنهم هذه القوات كلها ...

عندئذ أفاق جنرالات فرنسا على الحقيقة التى لا تقبل الشك بأنهم يخوضون حربا حقيقية ، ويقاتلون شعبا قويا عتيدا عقد العزم على استرجاع سيادته المغصوبة وكرامته المهدورة أدرك جنرالات فرنسا هذا كله ، وأدركوا أيضا أن عدوهم الذى يقاتلهم ليس بعصابات ثائرة أو من الذين رفعوا راية العصيان

والتمرد لغرض ما ، وانما هو جيش نظامي له كيانه وعقائده وأهدافه ، جيش مدرب يتقن فنون القتال ، والشعب بأجمعه يحتضنه ويأتمر بأوامره ، ويمده بكل ما يحتاج اليه ...

وعلى هذه الحقائق الناصعة التي لا موارة فيها أعاد جنرالات فرنسا تخطيط برامجهم الحربية بعد اجتماعات عديدة ودراسات عميقة أسفرت هـذه الدراسات عـن برنامج حـربي يهدف الى استئصال شافة الثوار ، ونشر الخراب والدمار في الوطن ، يبدأ هـذا البرنامج بهجوم عـام شامل على مواقع جيش التحرير ، عرف هذا البرنامج باسم المربعات (الكدرياج) أي القتال عن طريق المربعات ...

بدئي في تطبيق هذا البرنامج سنة 1955م – توزعت القوات الفرنسية في كامل القطر الجزائري على شكل مربعات تنتشر على طول مواقع الثوار من غربي الجـزائر الى شرقيها مع ضرورة تقارب المراكـز العسكرية لكي يتسنى نجدة أي مركز يفاجـأ بالهجوم حتى تتمكـن القوات الفرنسية من ابـادة المهاجمـين بسرعة ...

ولما شنت القوات الفرنسية الهجوم العام على مراكز جيش التحرير ، توقف زحـف هـذه القوات الفرنسية أمام مناعـة خطوط الدفـاع للثوار ، وأخـذ جيش التحرير يشن هجومـا معاكسا على مراكز المربعات ، بحيث كان يشغل بعض المراكز بمناوشات رمـزية تقوم بها وحـدات صغـيرة ، وبقية الثـوار يكمنون له في الطريق المؤدية الى هذه المراكز ...

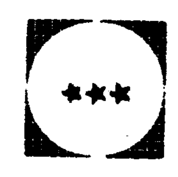
ومما يسر على جيش التحرير وسهل مهمته تبعثر الجيش الفرنسي وتشبثه فوق أرض الوطن الشاسعة الواسعة الأطراف والأرجـاء الممتدة مـن الغرب الى الشرق ، والذي أعانـه على تسديد ضرباته الى القوات الفرنسية هو وجود بعض القرى والمدن داخل نطاق هذه المربعات ، فكان جيش التحرير يتسلل اليها ، ويختفي بين السكان ، فلم يتسطع العدو أن يميز بين سكان هذه القرى ، وبـين المجاهديـن ، فكان يضع الالغـام في الطرق والقنابل في المنشآت العمرانية فتنسف المنازل والمصانع

والجسور ، وكل من يمر عليها من سيارات ودبابات فاصبحت القوات الفرنسية عرضة لأعمال الفداء داخل خطوطها حتى اضطرت القيادة العليا أمام هذه الأعمال المتواصلة الى اخلاء مناطق العمليات العسكرية من السكان وحشدتهم داخل معسكرات محاطة بأسلاك شائكة ، تظن أنها بهذا العمل تضمن عدم تسلل الفدائيين الى المراكز الفرنسية ، وأنها في نفس الوقت تقطع التموين على جيش التحرير ، فبهذه الخطة تعزل الثوار عن الاتصال بالشعب فيسهل العثور عليهم والتمكن من ابادتهم لهذا جمعت سكان القرى ، وحشدتهم في معسكرات الاعتقال .

وبعد أن أصبحت مناطق العمليات خالية من السكان تقابلت القوتان وجها لوجه ، ودارت المعارك ليلا ونهارا دامت اربعة اشهر لم يتوقف القتال خلالها ولو يوما واحدا ، فكانت المعارك تدار حتى بالسلاح الأبيض ، فظهر حينئذ لجنرالات فرنسا قصور برامجهم عن تحقيق الأهداف التى رسموها فأصبحت القوات الفرنسية مرة ثانية عرضة لهزيمة محققة لوعرة السلوك والدروب ، وسرعة حركة الثوار فعدل جنرالات فرنسا عن هذه البرامج ، ورجعوا الى برامجهم التقليدية لقد جلب حرب المربعات (الكدرياج) الى جانب الفضيحة العسكرية العار والخزى لفرنسا لأنه لطخ سمعتها ومرغ شرفها في الأوحال ، لقد استفاد جيش التحرير من برامج المربعات واخلاء السكان من مناطق العمليات ، كان جيش التحرير يقلل ما استطاع من هجوماته على العدو في المناطق الأهلة بالسكان خوفا من انتقام الجيش الفرنسى من الأهالى فلما أخليت المناطق من السكان تجرد للقتال بلا خوف ، وفي النهاية تغلب الثوار على أكثر مراكز العدو .

كان الجنرال ديغول منذ الساعة التى تسلم فيها الحكم يشارك في الخطط والبرامج الحربية لسحق الثوار ، وقد خط برامج كثيرة شارك فيها القادة العسكريون والمدنيون من المتطرفين وغلاة الاستعمار على السواء ، فالعسكريون من جهتهم كانوا يستعملون القوة بجميع أنواعها وأشكالها الفضيعة من التنكيل والتخريب والقتل الجماعى ، وكانوا مخيمين في جميع القرى والمدن والأحواز يحصون على السكان أنفاسهم وحركاتهم

وسكناتهم ... والمدنيون من ناحيتهم يبرقون ويلوحون بالوعود الكاذبة والحلول الزائفة والدعاية المغرية لكن سرعان ما تخبط ديغول واتباعه وقواده وسائر مؤيديه من الطغاة الذين يستعبدون الناس فوجدوا أنفسهم جميعا يتخبطون في متاهات لا حد لها ودوامة لا قرار لها ، فلم يكن الجنرال ديغول أسعد حظا من أسلافه الذين كانو في الحكم اذ لقيت مشروعاته الحربية نفس المصير من الخيبة والهزيمة الذى لقيته البرامج السابقة ، وقد أدرك حينئذ أن عجز الحكومات السابقة عن قمع الثورة لم يكن نتيجة تقصير كما يشاع ، وانما قوة الثورة هى التى كانت سببا في فشل الحكومات ...



عملية التطهير المعروفة بعملية (جوميل)

بدأت القيادة العليا للجيش الفرنسي تفكر في خطة أخرى للقضاء على الثورة بعد ما فشلت في جميع برامجها وخططها الحربية ، وراح جنرالات فرنسا يعصرون أفكارهم مرة أخرى ، وبعد عدة من الشهور بذلوا فيها جهدا غير قليل من التفكير ، وأخيرا استطاع الجنرال شال القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر أن يعثر على برنامج جديد وسرعان ما أبدا ارتياحه التام واعجابه الشديد بهذه الخطة وقال الآن أصبنا الهدف ، وبدأ يختار لهذا البرنامج من الاسماء وكلما أطلق عليه أسما من الأسماء لا يعجبه فيبد له باسم آخر فمرة يسميه الشرارة ، وبعد حين يعدل عن هذا الاسم ويسميه التوأمين الى غير ذلك من الأسماء التى توافق النتائج المرجوة منه ... ولما عزم على تطبيق هذا البرنامج أعلن عنه أنه سيسحق الثورة ويبيد جيش التحرير .

مهد الجنرال شال لبرنامجه هذا بحملة كبيرة في الصحف وأشاد بهوله وخطورته ، وراحت الدعاية الفرنسية تعظم من شأنه ، وقد أشرف الجنرال ديغول على اعداد ما يلزم لنجاح هذا البرنامج الخطير فزاد في عدد القوات المقاتلة في الجزائر من خمسمائة الى سبعمائة ألف جندى ...

حرص الجنرال شال على تجنب الأخطاء التى كشف عنها فشل البرامج السابقة عند تطبيقها في ميادين القتال ، وأهم هذه الأخطاء هو تشتيت القوى المقاتلة ، وبرنامج شال يحرص على جمع القوات الفرنسية والهجوم بها على مواقع جيش التحرير ، ويكون على موقع بعد موقع ، وبعدما ينتهى من تطهير منطقة من مناطق الثوار ، ينتقل الهجوم الى المنطقة المجاورة ، وهكذا حتى يقضى على قوة جيش التحرير الموزعة بين الولايات والممتدة من غرب الجزائر الى شرقها ...

بدأ الجنرال شال بتطبيق برنامجه على الولاية الخامسة في وهران ، زحفت القوات الفرنسية على امتداد الولاية دون أن

تصطدم بوحدات جيش التحرير ، انتهت العملية في هذه المنطقة ، واعتقد الجنرال شال قد نجح ، وأن منطقة وهران قد تطهرت من الثوار ، وأخذت صحف الاستعمار تشيد بهذه الانتصارات الباهرة ، وتغنى راديو باريس بهذه العمليات الحربية الموفقة الناجحة التى قام بها الجنرال شال في 17 من افريل 1959م ، نشرت الصحيفة الاستعمارية (الجنرال ديغول) يهنى القادة العسكريين على عملياتهم الأخيرة في وهران وفي الحال وجه الجنرال شال كل مالديه من قوات للولاية الرابعة ، وما كادت قواته تخطو أولى خطواتها داخل الولاية الرابعة حتى نشط جيش التحرير الذى كان في الولاية الخامسة الذى كان مختفيا حتى ذهبت الحملة العسكرية وأخذ يهاجم قوات شال من خلف ، ولم يكن شال يتوقع هذا ، لأن الولاية الخامسة قد تم تطهيرها ، وتوهم شال أن هذه الوحدات الصغيرة هى كل ما لدى الثوار من قوات في هذه المنطقة فواصل زحفه على الولاية الرابعة ، ولم يكد يتغلغل فيها حتى فوجىء بهجمات جيش التحرير تنهال عليه من الولاية الخامسة ، فوقعت القوات الفرنسية في مأزق لم تكن لها به علم ، وتحتم على القائد العام للقوات الفرنسية ان يختار من أمرين واحدا أما أن يطلب النجدة من فرنسا ليرد بها هجمات جيش التحرير ، واما أن يقسم قواته ليدافع بها في الجهات التى فتحها له الثوار ...

أما طلب النجدات من فرنسا فقد كان مستحيلا تقريبا لأن القوات الاحتياطية من الجنود التى كانت في الجزائر ، قد دفع بها الجنرال شال الى الولاية الرابعة ، وكانت حكومة الجنرال ديغول قد رفضت جميع الامدادات العسكرية الى الجزائر ، فلم يبق الا تقسيم قواته ... وهكذا وجد الجنرال شال نفسه في الخطاء الذى حرص على تلا فيه ، فقد أجبره جيش التحرير على تشتيت قواته ، وأصبحت برامجه لا تختلف عن سابقتها من البرامج الأخرى .

لقد بدىء برنامج شال في وهران ، والونشريس ، ثم الحضنة وأخيرا في بلاد القبائل وفي المنطقة انتهى برنامج شال ولم يعد صالحا للعمل ...

كانت عملية (جوميل) تمثل في نظر فرنسا المرحلة الحاسمة ، ونظرا للدعاية التي أثيرت حولها ، والآمال الكبيرة التي علقتها عليها حكومة فرنسا والرئيس ديغول .

أختصت هذه العملية بتطهير منطقة بلاد القبائل من جيش التحرير تمتد مساحة هذه العملية من مدينة دلس الى شرقى مدينة بجاية ساحل البحر ومن الجنوب تمتد من مدينة البويرة الى قرية قنزات ، واستعملت القيادة العليا الفرنسية في هذه العملية أكبر قوة مسلحة كما صرح بذلك الجنرال «زلير» القائد العام فقال : (لقد وضع في متناول الجنرال شال كل القوى اللازمة لنجاح عملية «جوميل») وأجمعت الصحف الفرنسية على أنها أضخم وأكبر عملية حربية نظمت في الجزائر منذ بداية الثورة ... بدأ الهجوم بمحاصرة بلاد القبائل وفق الخطط التالية ، قامت الطائرات العمودية بنقل جنود المظلات الى جبل «أكفادو» شرقى العزازقة ، وهو مركز من مراكز الثوار الهامة ، وفي نفس الوقت كانت سفن الأسطول تنقل الجنود الى الشاطىء الصخرى عند رأس (سيقلى) غربى مدينة بجاية ، وانطلقت الجنود تتسلق الجبال وتتخذ مواقعها عند المسارب والدروب الجبلية الضيقة بينما قامت أربعة آلاف سيارة مصفحة ، ومائتا دبابة بمحاصرة الطرق الكبيرة ، ولم تقتصر عملية «جوميل» على محاصرة جيش التحرير بمنطقة القبائل فحسب بل شمل الحصار مآت المدن والقرى الواقعة في نطاق العملية وعدم الدخول اليها والخروج منها وكان الجند يفتش جميع المنازل والأكواخ ، وكان يساعد القائد العام الجنرال شال في هذه المعركة الحاسمة التاريخية الجنرال فور وآخرون... بادر جيش التحرير الى تجزئة وحداته الى وحدات صغيرة قليلة العدد ، وعمل على تجنب المعارك ، وهو نفس العمل والخطة التي اتبعها في وهران ، وجبال الونشريس غير أنه كلف فرقة خاصة بعمليات تخريب المواصلات ، وبث الالغام في طريق السيارات الحربية ، ونصب الكمائن للقوافل العسكرية .

رغم القوات الفرنسية الكثيرة لم تتمكن من اكتشاف مواقع جيش التحرير فوجدت فراغا هائلا في الجبال والغابات والشعاب ،

ورغم هــذا الحــصار المحكم كان الفدائيون يتسللون الى داخــل مدينة بجاية ويهاجمون مراكزا عسكرية ، ويخطفون اثنين من المعمرين ، وفي اليــوم التالى مــن بداية العملية عثرت القيــادة الفرنسية على جثث مائتين من جنود المظلات أبيدوا جميعا على أثر نزولهم من الطائرات العمودية فوق جبل «اكفادو» بينما جرح مائة آخرون أثناء هبوطهم ، وفي نفس اليوم قتل جيش التحرير واحدا وعشرين جنديا من جنود فرنسا ، وجرح ثلاثة وأربعين في اشتباكات خفيفة وقعت في كل من مدينة صدوق ، وأقبو ، وفي قرية تيقزيرت وفي جبل أنشار ...

ومع هذه العمليات كلها فان القوات الفرنسية لم تقف على أثر لوحدات جيش التحرير ، فأخذت تنتقم من السكان الأبرياء كما هي عادتها ، فكانت تضرم النار في القرى والغابات الواقعة في نطاق هذه العمليات بقنابل النابالم المحرقة ، وعلى هذه الخطة دارت معركة «جوميل» .

ولما بدأت القوات الفرنسية في تطبيق برنامج شال في بلاد القبائل أكثرت من التصريحات قبل العملية بتأكيد الانتصارات والقضاء على الثورة ، فأكد الجنرال شال عدة مرات بأنه سيتمكن عن قريــب من القضاء على الثورة (بالقــوة العسكرية) وصرح ناطق بلسان القيادة الفرنسية الى صحيفة «لورور» الفرنسية في عددها الصادر 31 ــ 7 1959 قائلا سنعرف في أقل من شهر أن كانت هذه الحرب ستستمر الى ما لا نهاية لها أم انها ستنتهى في القريب ، وأستطيع أن أؤكد أنها ستنتهى في القريب ...

ولما فشلت هذه العملية ، وخاب الجنرال شال في برنامجه في بلاد القبائل خيبة تامة كما خاب سابقا في المناطق الأخرى ، أخذ جنرالات فرنسا يحاولون أن يستروا هزيمتهم الشنيعة بأقوال جوفاء ، فصرح الجنرال فور يوم . 3. أب ــ 1959م قائلا : (الواقع أن عملية جوميل ليست شيئا خارقا للعادة ، انها ليست الا استمرارا للعمليات ، وظروف الحرب في الجزائر تفرض علينا أن نغير في كل يوم نفس العمل الذى قمنا به أمس ، هذه الحروب تتطلب منا أن يكون السكان في معونتنا ، واذا لم نحصل على

تأييد السكان ومعونتهم لنا ، فان هذه الحرب لن تكون لها نهاية ، وفي اليوم التالى نشرت الصحف الفرنسية تصريحا للجنرال شال قال : (الواقع أن عملية جوميل صعبة وشاقة الا أننا نعرف ذلك منذ البداية ، فالعدو يذوب بكيفية عجيبة كالزئبق لكننا سنتمكن من الانتصار عليه) ...

واذا قارنا هذا الهجوم بالهجوم الذى وقع في شهر نوفمبر سنة 1958م الذى قاده الجنرال فور ، فنجد أن هجوم شال لا يعد شيئا بالنسبة اليه ، الجنرال فور في هجومه العام حشد كلما كان في الجزائر من قوات مسلحة وقاد في هجومه سبعة عشر جنرالا من بينهم ماسو ، راؤل سالان ، ميزروج الخ ...

واستمر الهجوم شهرين من القتال المتصل ، وانتهى بالفشل التام ...

ولقد فشل برنامج شال في مناطق وهران ، وتجمد في بلاد القبائل كما تجمدت صخورها .

واني أسوق الى القراء الكرام ما قاله أحد الضباط الفرنسيين الذى كان مشاركا في عمليات جبال الونسريس نشرته صحيفة (لى مانيته) الفرنسية في عددها الصادر في 8 شهر تموز 1959م قال الضابط الفرنسي «الحقيقة أن جبهة التحرير منظمة حتى داخل مراكز التجمع ، ويجب أن نعرف ما يختفي وراء البلاغات الفرنسية من حقائق ، فقد سمعتم من غير شك عن العمليات الكبرى التى جرت في الونسريس ، وعن نجاحها ، الواقع اننا لم نتعمق في المناطق المنيعة أكثر من 25 كلم ، ولم نحصل على أية نتيجة جديدة من الناحية العسكرية ، أما الجبال فهى محرمة على جنودنا ، فلا يضع فيها واحد منا قدمه ، وفرق الكماندوس الخاصة بعمليات المطاردة لا تتوغل بعيدا ، أما عدد القتلى في بلاغاتنا نعد فيها جميع الضحايا المدنيين بما فيهم من نساء وأطفال ، وقد تمكن الثوار من أن ينتزعوا منا السلاح خلال هذه العمليات لكننا نحن لم نتمكن من العثور على سلاح واحد للثوار مما أعاد الى أذهاننا ذكرى الهند الصينية ...

لقد خاب برنامج شال في جميع خطواته رغم أنه عزز برنامجه باختيار القادة الذين لهم دربة ومهارة أمثال «بيجار» كما أتى بوحدات خاصة من جنود المظلات لمطاردة جيش التحرير في الجبال ...

وأسوق بعض آراء العسكريين الفرنسيين قال «بيجار» يوجد في الجيش الفرنسي بالجزائر جنرالات أكثر من اللازم مع أن المعارك تربح في الميدان لا في مكاتب الجنرالات ، وكذلك كثرة السيارات والدبابات فانها تعرقل الجيش عن خفة الحركة وتعوقه عن سرعة القتال ...

سافر الجنرال ديغول بعد ما مضى على عمليات «جوميل» شهران الى الجزائر ، واجتمع بشال وجميع القادة العسكريين والضباط المشرفين على تسيير العمليات ، وأخذ يبحث معهم على النجاح الذى أحرزوا عليه في هذه العملية الواسعة ، فوجد مظاهر الفشل أكثر من مظاهر النجاح ، واذا كان ثم نجاح في هذه العمليات فسرعان ما يتلاشى .

فوقف الجنرال ديغول في مركز القيادة (أرتوى) فعملية «جوميل» كانت تسير من هذا المركز ، وحاول أن يتعرف على كيفية تطبيق برنامج شال على هذه المساحة الشاسعة التى يمتد طولها الى أكثر من ألف وخمسمائة كلم ، قال الجنرال شال هذه هى خريطة الجزائر ، وكلما نجحنا في تهدئة جهة من الجهات طوينا الجانب الذى تقع فيه هذه الجهة ، اننا بدأنا هجومنا على معاقل الثوار من الحدود المغربية من ناحية غرب الجزائر وسنواصل هذا الهجوم الى الحدود التونسية من الشرق ونضمن أن لا نرجع الى الوراء مطلقا ، فاذا ما وصلنا الى الحدود التونسية بهذا الزحف تكون التهدئة قد نجحت ، وعندئذ نستطيع أن نعلن للعالم أن الحرب في الجزائر قد انتهت ...

وعلى ضوء هذه الخطة المسطرة استعرض الجنرال ديغول كل مراحل هذه البرامج منذ أن بدىء بتنفيذها في أوائل فبراير سنة 1959م — فوجد أن البرنامج بدأ من الغرب أى من الولاية الخامسة من مقاطعة وهران ، ثم تقدم الى الونسريس ، فجبال

الحضنة ، ثم واصل سيره الى بلاد القبائل حيث توقف تماما وعجز عن مواصلة زحفه الى بقية مناطق الثورة شرقا عندئذ أدرك الجنرال ديغول الفشل الذى أصاب برنامج شال لأنه لم يستطع أن ينتهي من أعماله الحربية من الناحية الغربية حتى عاد نشاط الثوار من جديد الى مقاطعة وهران كما كان من القوة والاتساع ، وكذا عاد نشاط الثوار الى جبال الونسريس ، وجبال الحضنة وقتل جنرال كبير وهو «جارو» واثنان من ضباطه الكبار خلال احدى المعارك .

وفي اليوم الذى غادر فيه الجنرال ديغول تلقى تقريرا رسميا عن العمليات الحربية فوجده مليئا بهجمات جيش التحرير امتدادا من الغزوات في غرب الجزائر الى القالة في شرقها ، كان يتلو أنباء المعارك التى دارت في ذلك اليوم في وهران ، والونسريس والحضنة وقسنطينة ، وسوق اهراس حتى فوجىء بمصرع الجنرال جارو في احدى المعارك ...

ولمس الجنرال ديغول تغير نغمة ضباطه بحيث صار الجنرال شال يطالب بمزيد من الامدادات .

ولما سأل الجنرال ديغول القائد العام في الجزائر وأركان حربه عما اذا كان بوسعهم تحديد موعد انتهاء عمليات التهدئة أجابوا بأن ذلك متروك للظروف الحربية وحدها ، ولا يمكن التنبؤ به ولو بصفة تقديرية لصعوبة الموقف ، وعلى اثر ذلك صرح الجنرال ديغول قائلا : اذن لا يزال الطريق أمامنا طويلا ...

هذا ما كان من برنامج شال القائد العام للقوات المسلحة في الجزائر فانه باء بالفشل التام والخيبة المريرة ، وتبخرت آمال جنرالات فرنسا في الهواء ، لقد عجزوا عن تحقيق أى انتصار عسكرى على جيش التحرير ، وأفلسوا في جميع برامجهم وخططهم الحربية بحيث أحبطت لهم الثورة جميع الهجومات العنيفة .

اصطـدام التطـرف الفرنســي بالواقــع الجـزائرى

لقد ثبت لدى الجنرال ديغول ، ومن سبقه من حكام فرنسا عجزهم عن قمع الثورة عن طريق القوة الحربية ، بلغت الثورة الجزائرية في هذه المرحلة الأخيرة مبلغا عظيما من القوة ، تعقدت الأحوال وتشعبت الأمور في جميع الميادين ، فأصبح الشعب لا يفكر ولا يحلم الا بالقتال دفاعا عن النفس والوطن ، وتصلب كل من المتخاصمين في موقفه الذى اتخذه لنفسه ، والحرب مشتعلة الأوار ، ولهيبها في تزايد وتصاعد رغم التضحيات الجسيمة التى تكبدها الطرفان المتحاربان ، وكل الحلول فشلت عن حل هذه القضية الشائكة رغم توصيات جمعية الأمم ، ولا الوساطة التى كانت تعرض نفسها لحل هذه القضية ، ولا صرخات الشعوب المنــددة بهذه الحرب القذرة ولا الخــسائر الفادحــة التى أودت بالأموال والأنفس ، اذن ما هذه القضية التى استعصت عن جميع الحــلول ؟ هذه قضية الجــزائر فهى بالنسبة لكل من المتحاربــين قضية حيويــة فالفرنسيون يعتبرون القطر الجــزائرى أرضــا فرنسيــة بحتــه ويعتبرونهــا أيضا همــزة وصــل بينهم وبــين مستعمراتهم المنتشرة في القارة الافريقية ، وعلى هذا الأساس اذا استقل القطر الجــزائرى ، فيضعــف الاتصال بــين فرنســا ومستعمراتها ، وتفقد أيضــا ضفة البحــر الأبيض المتوســط الجنوبية ، وهذا ما وقع فعلا .

ولهذا كان المسؤولون من الفرنسيين يصرحون دائما بقولهم ، كيف تكون فرنسا بدون الجزائر ؟ فانهم كانوا يعتبرون الجزائر خطا ثانيا للدفاع عن فرنسا ، وهذا ما وقع بالفعل في الحرب العالميــة الثانيــة ، لما احتل الألمان أرض فرنسا لجــأت الحــكومة الفرنسية الى الجزائر ، ومنها واصلت الحرب ضد النازيين ...

وباستقلال شمال افريقيا يفقد الغرب مركزا هاما للدفاع عن مصالحــه الحــيوية ، وهــذا معنى تصريح رؤساء الحــكومات الفرنسية فانهم كانوا يقولون الحرب القائمة في الجزائر ما هى

الا دفـاع عن الغـرب وسـلامته من الأخطـار التى تهـدده في المستقبل ...

هذا هو سر تصلب الفرنسيين بخلاف الفوائد الأخرى التى يجنونها من هذه الاقطار ، فهى بالنسبة الى النفط الأولى تعد ثانوية ...

وسبـب تصلـب الجـزائريين في مواقفهم فهو معـروف لأن حـكومة الجنرال ديغول وقفت منهم موقفا لا يستطيع أحـد أن يفهمـه بحيـث عمدت الى شعـوب افريقيا السـوداء فمنحتهـا استقلالها ومنعت منه الجزائريين الذين يقاتلون من أجله مقاتله شديدة وأرغمتهم على التفرنس بالحديد والنار ، وأقحمتهم قسرا في صلب الدستور الفرنسى ، بأن لا شىء لهم الا الاندماج في الشعب الفرنسى .

لما رأى الجزائريون حياتهم مهددة بالاضمحلال والفناء من هذا القطر كما هو معلوم لدى العام والخاص استماتوا في كفاحهم ضد الاستعمار ، وأصبحت لهم هذه الحرب قضية موت أوحياة ، فالجزائريون يختارون واحدا من اثنين : أما شعب متحرر من جميع القيود مستقل من السيطرة الأجنبية ، يباشر سيادته كاملة ، واما موت نهائية لا حياة له في هذا الوطن فاختار الأول ، هذا هو سر تصلب الجزائريين ، وسر خلق المشاكل والصعوبات التى اعترضت حل هذه القضية ...

هـذه الثورة أفقدت قادة فرنسا رشدهم ، وأخرجتهم عـن اتزانهم فجعلتهم يفقدون كل سيطرة على أعصابهم حتى أرتكبوا أغلاطا فاحشة وأعمالا اجرامية كبيرة لا ينساها لهم التاريخ ولا تتسامح لهم بها الأجيال الصاعدة .

اصطدمـت فرنسا بمقاومة شعبية صلبة منذ الاحتـلال لا تعـرف التراجـع ولا تخشى العـذاب ، ولا ترهـب من الموت ، وبعقلية صحيحة لا التواء فيها ولا غموض لأن الشعب الجزائرى صريح لا يعرف طريق اللف والدوران ، أما أن يأتى بحقه كاملا ، واما أن يتحطم ...

وفي هذه المصادمات وقع ما وقع من خسائر وويلات ونكبات مما لا يستطيع أحد أن يعبر عنها ، وفي النهاية تغلب الحق على

الباطل مع كثرة جيوشه ، وقضى على جبروت الاستعمار وغطرسة القادة الفرنسيين ، وعلى العنصرية البغيضة والأنانية الجامحة ، والنظريات المتطرفة والعقليات المتحجرة ...

كانت سياسة فرنسا سياسية عدم تفاهم مع جميع الشعوب التى تحت سيطرتها ، ولهذا كانت دائما تفضل الحرب على التفاهم ، وهذه السياسة التقليدية استعملتها في الهند الصينية ، وتونس والمغرب العربى رغم معاكسات الظروف لها ، وانفردت بها عن بقية الاستعمار العالمى ، بحيث بقيت وحدها متمسكة بنظريتها الرجعية التى أكل وشرب عليها الدهر ، ولو لا ثورة الجزائر الكبرى أرجعتها الى صوابها حتى أصبحت تتفاهم مع مستعمراتها في الشرق والغرب لكانت لا تزال تواصل الحرب معها الى الآن والى الغد ...

وكل حكومة من حكومات فرنسا صعدت الى الحكم في ابان الثورة الجزائرية الا واستعملت القوة أكثر من الحكومة التى سبقتها ... فحكومة (قى مولى) الاشتراكية هى التى أوصلت الجزائر الى الهوة السحيقة بتشددها واستعمال القوة الرادعة في وجه الجزائريين ولو أبدت استعدادا للمفاهمة أو على الأقل تطبيق برامج حزبها الاشتراكى بشرط أن تكون مخلصة فيه ، فلعل لم تصل الحالة الى ما وصلت اليه ...

ولما غادر (قى مولى) الحكم أصبح يحمل لواء المعارضة ويحث الحكومة التى أخلفته على التفاهم مع الجزائريين ، ويقول في تصريحاته الكثيرة (الانتصار بالقوة مستحيل) .

وهذا الجنرال ديغول لعل الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينفذ ارادته ، ولا يخشى من المعارضة ، لما صعد الى الحكم أخذ في استعمال القوة أضعافا مضاعفة على ما كان عليه أسلافه ، ولم يقبل الوساطة ولا التفاهم مع الجبهة المسيرة للشعب الجزائرى ، وكان يراوغ ليغالط الرأى العام العالمى ، وظهر من أول صعوده الى الحكم بمظهر محرر الشعوب ، فجدد الدستور ومنح الأقطار الافريقية السوداء استقلالها الشىء الوحيد الذى من أجله

يحارب الجزائريون بمنحه الى غيرهم من الأقطار الأخرى ، ويعارض الجزائريين بالقوة في آمالهم ...

ولما عجزت قواته عن اخضاع الثورة تمنى لو يجد أناسا من الجزائريين لم يشاركوا في الثورة ليتفاهم معهم على سياسة التدريج والمراحل ولكنه لم يجد حتى هذه وباء بالفشل الذريع في جميع المحاولات ... هذا السلوك الملتوى المعوج من قادة فرنسا هو الذى وقف عقبة كأداء في سبيل التفاهم والسلم الحقيقى .

واذا نظرنا الى ما تحتله الجزائر في الأوساط الفرنسية من المكانة المرموقة لعل نلتمس العذر لهؤلاء القادة ، فأى حكومة كانت تستطيع أن تبت في القضية الجزائرية بدون موافقة الأحزاب ، وبصفة خاصة أحزاب اليمين المتطرفة ؟ ولهذا كلما تشكلت حكومة تخشى من المسؤولية اذا هى أعزمت الحل بدون رضى الأحزاب ، فكانت تخشى من نشوب حرب أهلية ، ولما لا تجد مخرجا من هذا المأزق تقدم تسليمها وتغادر الحكم ، وتترك الحالة كما هى ، وهذا ما وقع فعلا ، فالمعمرون وأحزاب اليمين وقادة الجيش ثاروا على حكومة فيملان لما عزم هذا على المفاوضة مع جبهة التحرير الوطنى ، وكذلك الجنرال ديغول لما صمم على حل القضية ثار عليه قواده والمعمرون في الجزائر .

وفي النهاية بدأ الشعب الفرنسى بصفة عامة ، والمسؤولون بصفة خاصة يدركون مطالب الشعب الجزائرى ، وأهميتها الكبرى واستماتتهم في سبيلها ، وتحققوا من أن الشعب لا بد أن يصل الى حقوقه عاجلا أو آجلا ، وسيصبح عربيا مسلما لا كما تدعى فرنسا بأنه قطعة منها واستعمال القوة لن يجدى شيئا ...

معاملة جنرالات فرنسا للشعب الجزائرى ومخططاتهم الحربية

ان جنرالات فرنسا كلهم تقريبا لا انسانية لهم اذا نظرنا الى أعمالهم الاجرامية التى يتكلم عنها التاريخ أيام الاحتلال لهذا الوطن وأيام ثورة 1954م التى شاهدناها نحن بأنفسنا يبقى الانسان مدهوشا أمام وحشية هذا الشعور ...

فكر هؤلاء القادة حقا في ابادة الشعب الجزائرى عن طيب خاطر بحيث جعلوا من التقتيل والتخريب والتهديم مذهبا يدينون به ومبدأ يطبقون بنوده ، فجنرالات فرنسا هم الذين قاموا بمأساة الحرب الجزائرية المريعة قال مجرمهم الأكبر السفاح الجنرال (بيجو) في خطبته التى ألقاها في مجلس النواب بتاريخ 16 يناير سنة 1840م — فقال اننا في حاجة الى جحافل دهماء من المعمرين الفرنسيين والاوربيين لنجلبهم الى الجزائر ، فمن اللازم أن تعطوهم أراضى مرعة ، ومراعى ترعى أنزلوا بها المعمرين ولا يهمكم أمر أربابها ...

يجب توزيع هذه الأراضى للأوربيين حتى يصبح أهلها الأولون نسيا منسيا ، وأخيرا يجب أن نجعل نصب أعيننا هدفا متينا محكما هو أن ننشىء اقليما فرنسيا ، ولذا فاننا في أمس الحاجة الى غزو واسع النطاق يشبه غزو الغوط وان لم نفعل هذا ستكون نتيجتنا أوهن من نسيج العنكبوت .

وشاطره في هذا الرأى الجنرال روفيقوا القائد الأعلى لجيش الاحتلال فقال : (حيث أننا لن نستطيع أن نمدنهم فما بأيدينا الا اقصاؤهم في الفيافي والقفار ، ويستبعدون كما تستبعد الوحوش الى الأماكن النائية ، ويتحتم عليهم حينئذ أمام اتساع رقعة استيطاننا وتعميرنا الا التقهقر نحو الصحراء والمفاوير .

جعل جنرالات فرنسا أرض الجزائر نهبة الناهب محفوفة بالأرزاء منزوفة بالدماء حتى كادت تصبح قاعا صفصافا ... قال

الدكتور بوديسون في كتابه خواطر عن الجزائر سنة 1954م لا يهم فرنسا أن تخرق في سياسيتها الاستعمارية المقاييس الأخلاقية وقيمها ، ولكن الذى يهمنا قبل كل شيء هو تأسيس مستعمرة نملكها بصفة نهائية ، ننشر على الشواطيء البربرية المدنية الأوربية ، ومن البديهى أن أقرب الطرق لبلوغ غايتنا هو نشر الرعب ، ففى استطاعتنا أن نحارب أعداءنا الافريقيين بالحديد والنار ، وان نضرم نار الفتنة بين قبائل التل والصحراء وان نبلو السكان باستهلاك الكحول ونشر الفساد وبث عقارب النزاع والفوضى بينهم)

قال أندرى مورو في مكسيكو أمام جماعة من الطلبة عن الاستعمار الفرنسى الانسانى قال : (ان الاستعمار في روحه وصلبه لا يمكن أن يكون انسانيا ما هو الا قتل واغتيال) .

وكان جنرالات فرنسا يتشوقون دائما الى دماء العزل والضعفاء والأبرياء من الشعب الجزائرى شامخين بأنوفهم مزهوين بأنفسهم مغترين بقوتهم حانقين على الثوار غاضبين على الشعب ولقد أسند لهم الحكم في هذا الوطن ابان الثورة ، وأطلق لهم العنان في التصرف التام في الشعب بدون مراقبة ، وهم في ثورة شديد من الغضب والحقد على الجزائريين الذين وقفوا في وجوههم طيلة هذه السنين من الحرب ، وهم من هم مكانة وشهرة في العالم ؟

جمع هؤلاء الجنرالات السكان من رؤس الجبال والسهول والأرياف والصحارىء ، وحشدوهم مع أهليهم وذويهم من نساء وأطفال وعجزة داخل معسكرات محاطة بأسلاك شائكة ، ومن بعدها أقاموا عليهم حراسا شدادا غلاظا لا يعرفون للرحمة معنى ، بعد ما دكت منازلهم دكا وأتلفت محصولاتهم ، وحرقت قراهم ، بحيث ترك المسلمون كلما كان لهم من دور ومتاع وضيعات ، وأجبروهم على الاقامة في هذه المحتشدات مختلطين بعضهم ببعض كالحيوانات التى تساق الى الحضائر ، وتركوهم فريسة للجوع والعرى والأمراض ، فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا عظيما ، ففزع العالم عامة والشعب الفرنسى خاصة لما يجريه هؤلاء

القادة من مذابح جماعية بطيئة رهيبة لأن سكان البادية تقريبا زج بهم في هذه المحتشدات الهائلة ، البلاغ الرسمي يعترف بأكثر من مليون جزائرى بين هذه الأسلاك الشائكة .

توالـت الاحتجاجات على هذه الأعمال الوحشية من طـرف العالم وقام الأحرار من الشعب الفرنسى من ناحيتهم بحملة دعائية واسعة في الصحـف ، فكانـوا ينددون بأعمال المعمريـن وفضح جرائمهم ، والتشهير بالظلم والابادة التى كان يجرونها قادة الجيش في الجزائر ...

اضطرت الحـكومة الفرنسيـة الى تشكيل لجـنة للتحقيق في أوضاع هذه المعسكرات ونزلائها ، كانت هذه اللجنة مؤلفة من ستة أعضاء موظفين كلهم فرنسيون ، وهم بطبيعة الحال خصوم للثورة ، وبعد أن زارت خمسة عشر معسكرا رفعت الى الحكومة التقرير الآتى ، وهذا نصه قالت فيه ...

1 ـ ان جميع المعسكرات والتجمعات أقامتها القوات الفرنسية بمحض سلطتها والأسبـاب التى دعـت الى اقامتها هى أسبـاب عسكرية بحته ، وهى تنظيف المناطق التى ينشط فيها الثوار .

2 ـ ليس لهذه المعسكرات سجل رسمى ، وهو ما لا نستطيع بصفة رسمية أن نؤكد عددهم على وجه التحديد الا ان المؤكد لدينا هو أنهم لا يقلون عن مليون شخص .

3 ـ لاحظنا أن عدد الرجال في هذه المعسكرات أقل بكثير من عدد النساء .

4 ـ كلما يحدث تجمع من هذا القبيل تنقطع أسباب الحياة بشكل يكاد يكون تاما ، وهو ما جعل الحياة المادية للأهالى في هذه المعسكرات تشكل في أغلب الحالات حالة مؤلمة ...

وهذه المعسكـرات محاطة بالأسـلاك ، ومهما حاولت معهـم السلطات ، فان حياتهم الاجتماعية لا يمكن أن تكون مثلما كانت عليه بواسطة مواردهم الخاصة ...

5 ـ الحالة الصحية تجاوزت كل حد للتعاسة ، فمثلا في كل تجمع يوجد ألف طفل يموت كل يوم اثنان ، أما الحالة الصحية للنساء والرجال بصفة عامة قد بلغت درجة من الضعف حتى ، أصبحت العقاقير الطبية أمامها غير ذات أثر يذكر ...

6 ـ يلاحـظ أن تجمع الأهالي بهذه الصورة يجعل حياتهـم الاقتصادية مقضيا عليها بالفناء ، اذ جيء بهم الى هذه المعسكرات لينقطعوا فيها عن موارد العيش ، وكلما أصيب هؤلاء السكان في حياتهم المادية كذلك أصيبوا في حياتهم المعنوية وفي كرامتهم ، لأن حياتهم كلها داخل المعسكرات متوقفة على ما يقدمه لهم ضباط الشؤون الأهلية (صاص) من صدقات لا تتجاوز أحد عشر كيلو غراما من شعير في الشهر لكل شخص دون اعتبار نصيب الأطفال ويضاف الى ذلك أن عدد كبيرا من سكان هذه المعسكرات قد توقف عليهم هذا المورد الوحيد لحياتهم ، وذلك منذ شهر ونصف لم نستطع أن نعرف سبب ذلك .

وختمت اللجنة تقريرها بقولها : ان الاجراءات السابقة جعلت ما يقرب من مليون شخص بين النساء والاطفال والرجال مهددين بمجاعة ، وان الوسائل الادارية العادية لا يمكن أن تطبق في هذه المعسكرات بأية حال ، ولذلك ينبغي تغيير هذه الأساليب الادارية بالنسبة لحشود المعسكرات هذه مع مراعاة النشاط الاقتصادى لهؤلاء الناس ، والذى بدونه يستحيل عليهم أن يواصلوا الحياة ...

هذا هو تقرير اللجنة ، ولكن هل انتهى القادة العسكريون مـن برامجهم الابادية كلا ؟ ان جنرالات فرنسا كانـوا دائما يضعون ابادة الشعب الجزائرى هدفا لهم ، وهم في كل مرة يبؤون بالخيبة المريرة والفشل الذريع .

ثورة معمرى الجزائر مع الجيش الفرنسى على الحكومة المركزيــة في باريس وسقــوط الجـمهورية الرابعــة

في هذه السنة أى السنة الرابعة من اندلاع الثورة الجزائرية أصبح الشعب الجزائرى قويا جبارا فوسائل الفناء والدمار التى استعملها الجيش الفرنسى ضده أصبحت عاجزة تماما عن ابادته ، فكان كالجوهر النفيس لم يزده العذاب الجهنمى الا قوة وعزيمة وصلابة واتحاد حتى قضى على جميع المخططات ...

عجز الجـيش الفرنسى عن مواجهــة الثورة بالقوة ، ولـم يستطيع القضاء عليها كما كان يدعى ، أو ينال منها نيلا ، أو يحط من قيمتها وكرامتها ...

وفي هذه الآونة أصبح جيش التحرير يعد بعشرات الآلاف منظما مزودا بأحسن الأسلحة مدربا على مختلف ضروب حرب العصابات والحرب النظامية على السواء ...

أصبحـت الثورة تتقدم نحو أهدافها ، فصارت تتحكـم في سياسة فرنسا الداخلية والخارجية معا ، أثرت على علاقتها مع الدول الأسوية الافريقية بصفة عامة ، وعلى تونس والمغرب بصفة خاصة ...

الثورة الجزائرية هى التى كانت سببا في أزمة وزارية لفرنسا وسقوط حكوماتها ، والحــيرة والاضطرابات التى وقعــت فيها الجمهورية الفرنسية الرابعة حتى أزيلت من الوجود ، وأصبحت الحــرب في الجــزائر عبئا ثقيلا على اقتصــاد فرنسا ، اذ قــدر نفقات الحرب خلال عامى 56 ــ 55 الى سبعمائة مليار فرنك قديم في السنة ، وحرمــت البلاد اليد العاملة نتيجـة دعـوة الجـيش الاحتياطى الى الحــرب ، وانخفضت القوة الشرائية ، وضــج الشعب الفرنسى من كثرة الضرائب ، من أجل هذا وغيره ارتفعت الصيحات في فرنسا مطالبة باءنهاء الحرب في الجزائر وراجت كذلك اشاعات بأن م فيملان الذى دعى حينذاك لتولى رئاسة الحكومة ، كان ينوى التفاوض مع جبهة التحرير ...

ولما تحققت أحزاب اليمين ، وفي مقدمتها غلاة المعمرين بهذه الشائعات ثارت على سياسة التفاوض والتخلي عن الجزائر الفرنسية ، وأخذت تسعى للقضاء على كل من يريد أن يسلك هذا السبيل من الحكومة التى تريد المفاهمة والمفاوضة مع جيش التحرير ، واتصلت هذه العناصر بقيادة الجيش العليا ، فوجدت هذه القيادة متضمرة الى الغاية من هذه المحاولات التي يريد بعض الساسة من الفرنسيين أن يتلاعبوا بمصالح فرنسا العليا ، ولهذا يتحتم على الجيش أن يتدخل في الشؤون السياسية ، وكثيرا ما كان يوجه النقد الى الحكومات لتساهلها في ادارة انقال مراعاة لاعتبارات سياسية ، بحيث كانت تمنع الجيش من تتبع الثوار وراء الحدود التونسية كما أنها كانت تتهاون في نشر أخبار تعذيب الجزائريين مما يتبط روح الجيش المعنوية ، وأستاء أيضا من مقتل ثلاثة من الفرنسيين نفد فيهم حكم الاعدام جيش التحريـر وذلك ردا على حكـم الاعدام الذى نفـذ من قبـل في مواطنين جزائريين من طرف السلطة الفرنسية ...

من أجل هذا وغيره كان الجيش يريد انقلاب الحكومة ليقضى على أحزاب اليسار المتقدمين في فرنسا ، يتولى مقاليد الحكم ليمحي عنه آثار الهزيمتين اللتين حلتا به ...

الأولى عند توقيع الهدنة مع ألمانيا 1940م والثانية في حرب الهند الصينية وغيرها من الهزائم الأخرى التى كانت تحل بهذا الجيش المغتر بقوته الشامخ بأنفه الى السماء المزهو بكبريائه وطغيانه يغلـب على طبعه التجبـر من أن يتفاوض مـع قـادة جيش التحرير ، ، وكيف يتفاوض معهم وهم قد تركوا جروحا غائرة وآثارا واضحة في ذاته ، ووصمة عار في شرفه لا تمحى على مر الدهر .

هذا هو السبب في تأييد الجيش للانقلاب وغضبه الشديد على الجزائريين فانه يرى كل مفاوضة أو تنازل من طرف السلطة العليا لقادة جبهة التحرير يمس بشرفه وعظمته واذا كان شيء من هذا القبيل لا بد من خضوع الثوار الى الجيش الفرنسي أولا

وقبل كل شيء ، ومن ثم يعطى لهم شيء ما تحت الحكم الفرنسي ، أما المفاوضة الند للند ففيه اهانة فلا يرضى بها الجيش أبدا .

هذه طبيعة المعمرين انهم لا يريدون التفاهم مع غيرهم أبدا ولم يتعظوا بما وقع لهم بالهند الصينية ولا بالمغرب العربى ... ولم تكن هذه المرة الأولى يتمرد فيها المعمرون على الحكومة المركزية خلال الثورة الجزائرية فقد حدث في يوم 6 فبراير 1956م أن ثار المعمرون على الحكومة الاشتراكية وأجبروا رئيسها على تبديل الوالى العام الذى عينه للجزائر وهو الجنرال كاترو محتجين بأنه أشترك منذ قليل في المفاوضات التى أدت الى دعوة محمد الخامس الى الحكم في المملكة المغربية ...

ولما تمت المؤامرة ، واتفق المعمرون مع قادة الجيش المحارب في الجزائر على الانقلاب لكي يتخلصوا من حكم اليسريين التقدميين الذين يريدون مسايرة الظروف والتطورات العامة .

وبعد ما اتفقوا على الشخصية التى تتولى الحكم بعد الانقلاب وهذه الشخصية الجنرال ديغول بطل الحرية كما يسمونه هى التى ينادى بها الجيش رئيسا للحكم لأنه يتمتع بسمعة طيبة في الأوساط الفرنسية ، وهو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يوحد كلمة الشعب لأنه محبوب من جميع طبقاته .

ولكن رجال الانقلاب كانو يريدون أن يجعلوه رمزا للحكم فقط ليس له من النفوذ شيء ، أما التسيير للحكم فهو لمدبرى الانقلاب ، وقرروا أيضا بأن تبقى الجزائر فرنسية قلبا وقالبا ذاتا وروحا مهما كانت الأحوال ، ومواصلة الحرب ضد الثوار الى أن يقضى على الثورة تماما ، ولا يتنازلون عن شيء ولو كان حقيرا تافها ، فكل شيء يتنازلون عنه يؤدى حتما الى الاستقلال ، والانفصال عن أم الوطن ...

الحل الوحيد للجزائريين — في نظرهم — هى المساواة في الحقوق والواجبات في دائرة القانون الفرنسي ، وتجريدهم من قوميتهم وشعائرهم الدينية والأخلاقية ، وادماجهم في العائلات الفرنسية حتى يصبحوا مواطنين فرنسيين هذا ما اتفق عليه أصحاب الانقلاب ...

نـداء الجـنرال ديغـول لتـولى رئاسـة الحـكم

وفي 13 ماى 1958م ـ أقام المعمرون بالاستلاء على الولاية العامة في الجزائر .

وسرعان ما انضم اليهم معظم قادة الجيش الفرنسى وعلى رأسهم «راءول سلان» قائد الأركان الحربية و «جاك ماسو» قائد فرقة المظلات وأعلنوا الى العالم استلامهم للحكم في الجزائر ، وألفوا لجان أمن في أنحاء الوطن لتدير الحكم في البلاد وشكلوا مجلسا عسكريا يتالف من احدى عشر عضو برئاسة زعيم الانقلاب «الجنرال ماسو» وأول عمل قام به هذا المجلس هو ارسال نداء الى الجنرال ديغول لتولى مقاليد الحكم ، وبرقيات التهديد الى كل من رئيس الجمهورية والوزراء ورئيس الجمعية الوطنية في باريس الذين يريدون فصل الجزائر عن فرنسا ، الويل لهم أن لم يستجيبوا لهذا النداء وعهدوا بالحكم في الجزائر مؤقتا الى الجنرال (راءول سلان) هذا ما وقع في الجزائر .

أما في فرنسا فقد تفاقم الأمر واضطربت الأحوال وانقسم الفرنسيون على أنفسهم ، فالمناصر الرجعية الاستعمارية هللت وكبرت لهذا الانقلاب ، وانضم الجيش كله سواء كان في فرنسا أو في البلدان الأخرى الى هذه الثورة .

بدأت لجان الانقاذ تنتشر في الجزائر وفي فرنسا ، وأعلن الرأسماليون انضمامهم الى هذا الانقلاب ، وأخذت أحزاب اليمين تمهد الطريق الى الدخول في الحكم،وتطالب برجوع الجنرال ديغول الى الرئاسة ...

وسرعان ما احتل رجال الانقلاب جزيرة (كورسكا) من طرف جنود المظلات ، وفي 16 ـ أيار 1958م ، أعلن الجنرال سالان بصفته القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر تأييده لعودة الجنرال ديغول الى الحكم ، واستعد الجيش الفرنسي لاحتلال العاصمة الفرنسية نفسها ، وكانت العناصر المتطرفة تمهد

الطريق لذلك ، وفي 19 ـ من ايار ، نشرت صحيفة الفقارو كتابا للمرشال الفونس جوان الاستعمارى الحقود قال فيه (انه لم يعد يؤمن بالزعماء السياسيين لأنهم يسعون بأن يجعلوا البلاد تقبل منح الاستقلال للجزائريين) وقال نائب فرنسى لقائد قوات الحلف الأطلسى (لم تعد أقل ثقة في كلام زعمائنا انهم لم يكفوا منذ أربع سنوات عن دفعنا في مزالق الاستسلام ...

وقال المرشال جوان : ان هناك أمرا فقط يستأثر باهتمامنا من الآن فصاعدا هو زيادة العسكرية واستبعاد كل مفاوضة مع قاطعى الرقاب ، لقد طالبت بذلك منذ زمن بعيد دون أن أجد آدانا صاغية) وضاعف الانقلابيون الفاشيشت من جهودهم المؤيدة بالقوة المسلحة فرض الجنرال ديغول على الحكم لتبقى الجزائر فرنسية الى الأبد ...

وكان الانقلابيون يرمون من وراء ذلك اقامة حكم دكتاتورى مطلق في فرنسا ، واتخذوا اسم الجنرال ديغول مطية للوصول الى أهدافهم لماله من الشهرة الواسعة ، وبعد الصيت في الأوساط الفرنسية وفي غيرها من البلدان المستعمرة ... هذه هى نظرية الجيش الفرنسى ، ومن التف حوله من غلاة المعمرين والمتطرفين من الأحزاب اليمينية في هذا القائد المشهور ...

عقد الجنرال ديغول ندوة صحفية مساء يوم 16 ايار 1958م أظهر فيها استعداده لتولى رئاسة الجمهورية الفرنسية كما فعل قبل ذلك في أزمة وطنية خطيرة للغاية الا أنه حرص على أن تكون توليته للحكم عن طريق الدستور ، ولم ينس أن يخاطب رجاله المتمردين في الجزائر ، ومؤيديهم من الفاشيست في فرنسا وأصحاب المصالح الاستغلالية من رجال الحكم قائلا : ا نمستقبل فرنسا وماضيها مرتبطان بمستقبل الجزائر وماضيها فتنفس المتطرفون عند ما سمعوا هذا التصريح الصعداء وظنوا أنهم بفضل هذه الثورة العارمة والانقلاب الموفق ضمنوا فرنسة الجزائر .

وفي 20 ـ ايار 1958م صرح مجرم الحرب (لاكوست) ، في باريس مهددا حكومة «فلملان» قائلا لا يستطيع أى شيء أن يوقف زحف الثورة الجزائرية الفاشية ...

أما القوة الشعبية الديمقراطية كانت تعارض عودة الجنرال ديغول الى الحكم ، ومنذ الانقلاب أصبحت حكومة (فلملان) تواجه أخطر أزمة تمر بفرنسا ، وفي ساعة مبكرة من صباح يوم 16 ـ أيار 1958م ، صرح رئيس الحكومة عقب الانتهاء من اجتماع مجلس الوزراء بأنه سيطلب من الجمعية الوطنية اقرار مشروع قانون يقضى باعلان حالة الطوارىء في البلاد وقال : استعرضت الحكومة في اجتماعها آخر تطورات الموقف وهى تعتمد على الجيش الذى يؤمن بتقاليده التى تحتم عليه أن يكون وصيا على الوحدة ...

أسفر اجتماع المجلس الوطنى عن قرار يمنح حكومة (فلملان) حالة الطوارىء لمجابهة قضية اعادة الأمور الى مجاريها الطبيعية بين الحكومة والجيش ، وعلى الفور أمرت الحكومة بالغاء اجازات جميع الجنود والضباط وعودة المجازين منهم الى وحداتهم فورا ، وعلى أثر صدور هذا القرار أصبحت القوات الفرنسية المسلحة في التراب الفرنسى تحت السلاح وفي حالة استثنائية وفي 17 ـ ايار 1958م أصدرت منظمة العمال سلسلة من البيانات تعلن اعتزامها عن الاضراب والقيام بمظاهرات ضد دعوة الجنرال ديغول الى الحكم ، وأخذت القوى الديمقراطية تعبىء قواها للدفاع عن النظام الجمهورى الديمقراطى ، فتشكلت في عدد مدن لجان معادية للفاشيشت ضمت في صفوفها ممثلين عن أكثر الأحزاب ، ومنظمات الشباب والنقابات ، وأخذت على عاتقها تنظيم الجماهير وتعبيتها للدفاع عن الجمهورية ضد الانقلاب الفاشى الزاحف بالتهديد الى الحكم ، وعقدت مؤتمرات شعبية للطلاب والعمال ضد الحرب في الجزائر شملت باريس ومختلف مدن فرنسا ، وفي يوم واحد عقد في باريس وحدها احدى عشر مؤتمرا شعبيا كلها تحتج على محاولة الجنرال ديغول الى الحكم ، وتطالب بانهاء الحرب في الجزائر ، أصبحت فرنسا من جراء هذا الانقلاب مهددة بحروب أهلية .

وفي 15 ـ أيار 58 أعلن الثوار الجزائريون عن موقفهم ازاء حركة التمرد العسكرى هذه على لسان مدير جبهة التحرير الدكتور الأمين الدباغين في حديث أولى به الى وكالة أنباء الشرق الأوسط بالقاهرة قال فيه : ان حركة التمرد التى يقودها الجنرال ماسو في الجزائر هى نتيجة ضعف الحكومات الفرنسية ولما رأى رئيس الجمهورية (كوتى) أن الخلاف قد نشب بين الأحزاب ، والحروب الأهلية باتت قاب قوسين أو أدنى ، فخاف من هذه الحالة التى تنذر بشر مستطير انحاز الى مدبرى الانقلاب واتفق معهم على استدعاء الجنرال الى الحكم ، واستعمل نفوذه لدى أعضا الجمعية الوطنية لاقناعهم بمنح الثقة الى الجنرال فما وسع حكومة فلملان الا الرضوخ للأمر الواقع ، وقبلت التنازل عن الحكم وسلمت مقاليده الى الرئيس المعين الذى لبى نداء الجيش ووعد الجميع برجوع السلم الى الجزائر في أقرب وقت ممكن ...



صعود الجنرال ديغول الى الحكم

كان المفكرون من الفرنسيين الأحرار ينظرون الى هذا الرجل الذى نادت به الأغلبية من الشعب نظرة تختلف عن نظرة الفريقين معا فكانوا يرون فيه القائد المحنك والمنقذ الوحيد لفرنسا مما تتخبط فيه من أزمات حادة ووطنية متحجرة وعقليات رجعية بغيضة زجت بالشعب الفرنسى في حروب دامية متواصلة الحلقات طويلة الأمد أودت بزهرة الشباب وبثروته المالية وبسمعته وشرفه ، وكان داهية حقا ذا وطنية عميقة وطموح كبير ، ففطن الى خطة الجيش الذى دبر الانقلاب ، وما يعتزمه من الأعمال التى لا تتفق مع الأوضاع الديمقراطية ، ولاتتلاءم مع الظروف الحالية ، وكان على علم تام لما يرمى اليه الجيش من الأهداف البعيدة ، وأدرك أن عهد الاستعمار قد انقضى وولى ، وكان عازما على اصلاح الجهاز الادارى المتعفن ، وتوسيع الاقتصاد وتطور الصناعات حتى تلتحق فرنسا بمصاف الدول العظمى ، ورسم خطة محكمة للمستعمرات التى هى تحت الحكم الفرنسى لتصبح مرتبطة بفرنسا رباطا وثيقا وتتعاون معها في جميع الشؤون ...

لهذا استجاب للنداءات المتكررة وقبل الحكم ، ولكنه اشترط أن تفوض اليه جميع الأمور ، فرضى الجميع بهذا الشرط ، وفي 2 حزيران 1958م منحت الجمعية الوطنية الثقة للجنرال ديغول بأغلبية ساحقة ، وعلى أثر اعلان هذه النتيجة طالب الجنرال الجمعية الوطنية بمنحه سلطات خاصة أكثر من التى حصل عليها أسلافه في الحكم لمعالجة الثورة الجزائرية التى مضى على نشوب الحرب فيها أكثر من ثلاثة أعوام ونصف ، وفي الثالث من هذا الشهر صادقت الجمعية الوطنية على اصلاح الدستور الذى قدمه الجنرال ديغول ...

ولما تسلم الجنرال الحكم قصد مقر رئاسة الوزراء ، فكان أول المهنئين له مجرم الحرب (لاكوست) الوزير المقيم في الجزائر ...

والآن ألقى نظرة على قصد الجنرال ديغول هل كان حقا يريد تطبيق سياسة تقرير المصير على الجزائر منذ صعوده الى الحكم ، ولم يعلن عنها الا من بعد أن واتته الظروف وقضى على المعارضة ؟ أم أنه كان يريد مثل سابقيه من حكام فرنسا أن يحل القضية الجزائرية حلا عسكريا تدريجيا تحت ضغط الحوادث التى انتهت بتقرير المصير ...

وعلى كل حال فلكل من النظريتين شواهد تدل على صحتها وانى أمضى مع هذا الرجل منذ توليه للحكم ومعالجته لمشكل الجزائر الى الاستقلال وأبين الحوادث التى وقعت في عهده والقارىء الكريم يحكم بصفة نظرية من هاتين النظرتين وفي اليوم التالى من توليه للحكم طار الى الجزائر ، وهناك استقبل من الفاشيشت والعسكرين استقبال الفاتحين ، وأحاطوه بهالة كبيرة من التقديس والاجلال ، وكان متقمصا شخصية «نابليون العظيم» فألقى خطابا موجزا في المفوضية العامة قال فيه : (سأجعل جميع الجزائريين فرنسيين : وسأعمل على ايجاد جنسية فرنسية واحدة لكل سكان الجزائر : ، واعترف بشجاعة الجزائريين) ، وقال : (ان البطولة لم تكن غريبة عن أرض الجزائر) .

وفي اليوم السادس من شهر حزيران 58 ـ زار وهران وأكد لمستقبليه أنه سيتولى بنفسه ادارة شؤون الجزائر حتى يضمن النجاح التام لأنتصار فرنسا في حربها ضد الثوار ، وزار عدة مدن وقرى ، وألقى عدة خطب كثيرة كلها تحث على ارجاع السلم والهدوء ، وكلامه على مصير الجزائر كان غامضا ومبهما ، وغلاة المعمرين كانوا يريدون منه أن يصرح بأن الجزائر فرنسية ، ولكنه امتنع ولم يتلفظ بها أبدا الا مرة واحدة في مدينة مصطفى غانم ...

علقت القيادة العليا للثورة الجزائرية على خطابه فقالت :
(ان خطاب الجنرال الذى يعد فيه بالمساواة والادماج بين الشعبين

جاء بعد أربع سنوات من الثورة الوطنية ، ولا يشكل سوى خطوة أخرى في القتال المستمر) ، ورد كذلك القادة من جيش التحرير على خطابه الذى ألقاه في مدينة وهران ببيان جاء فيه (سنتابع الحرب حتى النهاية ضد ديغول المتنكر في زى بيتان) .

وعاد الجنرال ديغول مرة أخرى الى الجزائر وخطب في اليوم الرابع من تموز 58 قائلا : (ستبدأ حكومتى في تقديم من المال للمصانع والمزارع ، ومشاريع الاسكان والمدارس في الجزائر وقد خصصنا مبلغ 15 مليارا فرنك قديم تصرف فورا على تعمير الجزائر اقتصاديا ، ولكن لاتنتهى هذه السنة دون ان أعلن عن المشاريع الكبرى وموارد الطاقة التى ستؤمن لادارتها واختتم كلامه قائلا بالتوجه الى العرب «سيدمج الجزائر وفرنسا كما سيعطى حقوقا متساوية في التصويت ، وستمنح نساؤهم حق التصويت» وأعلن في الدستور الجديد بأن كلا من الجزائر وفرنسا دولة واحدة ...

وكان لهذا الانقلاب الفاشى وتولى الجنرال الحكم صدى كبير ومهرجانات عظيمة في الأوساط الاستعمارية ألقيت فيها الخطب الرنانة ، وتخللتها التصفيقات الحادة ، وتبودلت فيها التهانى بين غلاة المعمرين والجيش ...

وفي الحقيقة أنها فترة راحة من الحمى الشديدة التى تعترى المنهوك القوى ، ولذا لما تفرق المجتمعون ورفعت الستائر وأطفئت الأنوار ، وجد المعمرون أنفسهم كما كانوا قبل الانقلاب ، والثورة الجزائرية أشد مما كانت عليه من القوة والضراوة والشعب أكثر تماسكا واتحادا وأمضى عزيمة وصلابة علق الملاحظون السياسيون آمالهم على هذا القائد العظيم في حل هذه القضية الشائكة ، وجعل حدا لهذه الحرب المجرمة لأنه هو الرجل الوحيد الذى يقدر على فصل هذه القضية نظرا لشخصيته القوية ونفوذه الكبير ، وكان بعض الشخصيات عالمية وفرنسية يتمنون رجوعه الى الحكم من قبل أن يتولى ليريحهم من عناء هذه المشكلة العويصة ...

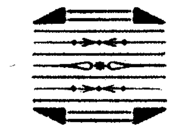
لكنه و ياللأسـف أذهبت هذه الآمال أدراج الريـاح ، فكان يفكر منذ اللحظة الاولى التي تولى فيها الحكم كيف يقمع الثورة الجزائرية بالقوة ، أو الأنتهاء منها في أسرع وقت ممكن بعد ما أحرز لنفسه على موافقات الدستور وسلطات واسعة فحشد أقصى ما يمكن من قوة حربية وجابه بها الثورة ليستأصل شأفتها و يقضى عليها تماما حتى يفرض الحل الذى يريده للشعب الجزائرى ، ولهذا لما تسلم الحكم فبدلا من أن يعترف بالاستقلال الذى تكون فيه بالطبع حقوق الجالية الأوربية مضمونة ، بالأقل يتفاوض مع قادة جبهة التحرير على خطة ما ترضى الطرفين لتكون العلائق مع فرنسا حسنة ف هذا وحده فقط يجعل للأحزان والآلام التى تسلطت على هذا الشعب منذ الاحتلال والدماء تسيل ، ولكنه قرر الاستمرار في الحـرب ، وزاد في قوة الجـيش ، وفرض عليه أن يسكن في قمم الجـبال ، وكان يكثر الاجتماعات مع قادة الجـيش لدراسة خطط الحرب دراسة دقيقة على الخرائط ودراسة طبيعة الأرض التى يدور فيها القتال ، وكان بين آونة وأخرى يأتى الى الجزائر ليتفقد الجند ، وصمم على أن يقف في وجه الثورة موقفا ايجابيا وحازما فاستعمل كلما يملك من قوة ودهاء ، وكان سلاحه ذا حدين فيبرق و يرعد عن الثورة ، ولكن هيهات أصبح الشعب لا ينخدع بالوعود الكاذبة بل ازداد ثقة بنفسه و بثورته العارمة وتمسكا بقيادته واتحادا في صفوفه ، وضاعف صبره على العذاب الذى أفرغ على أم رأسه ...

وكان هذا القائد يرى نفسه فوق أقطاب العالم سياسة ودهاء وتقدما ، ويرى فرنسا هى أم الحرية والديمقراطية في العالم ، ولهذا منع كل من أراد أن يتوسط في حل القضية من الدول المحبة للسلام منعا باتا ، ولم يقبل أى نصيحة من أى انسان كان ، ولم يعترف بأن هذه القضية خارجة عن نطاق فرنسا ...

كان العالم ينتظر من هذا الجنرال أن يحل القضية ، ولكنه كان مشغولا بمواصلة المعارك وتخطيط البرامج ، وتجهيز الجزائر اقتصاديـا واجتماعيا وثقافيا لتحسـين أحوال السكان وزيـادة الانتاج والعتاد الحربى في فرنسا ، والحلف الاطلسى يشد أزره ويؤيده في محاربة الثوار ...

أمقت العالم هذا الادعاء بالعظمة الموهومة ، والشرف المزعوم ، فتركه يتيه في أحلامه وأوهامه ، ولم يبق مواليا له من الدول الا الدول الاستعمارية التى تسير على غراره في السيطرة على الشعوب الضعيفة ، واتجهت شعوب العالم الثالث الى مؤازرة الشعب الجزائرى في كفاحه التحريرى والوقوف بجانبه ...

وأحبطت الثورة الجزائرية جميع البرامج والخطط الحربية التى ينظمها الجيش الفرنسى باشراف الجنرال ديغول نفسه ، وجميع المؤامرات والدسائس التى كانت تحاك في الخفاء ، ووصلت الثورة مرة أخرى الى تهديد الشعب الفرنسى بالانقسام والحرب الاهلية ، وعندئذ عرف غالب الفرنسيين أن استعمال القوة لن يجدى شيئا ، ولم يكن الجنرال أفضل من سابقيه من الحكام الذين سبقوه ، ولهذا أصبحت الأغلبية الساحقة من الفرنسيين تنادى بحل القضية حلا عادلا ...



تجديد الدستور الفرنسي

ولما تمكن الجنرال من قبضة الحكم وضمن ثقة الشعب الى جانبه ، وخلاله الجو من المعارضة حل الجمعية الوطنية وألف لجنة من المشرعين الكبار وأرباب القانون ليجددوا له الدستور ، ووضع لهم تصميمات خاصة ، وكانت هذه اللجنة لا تقر المواد بصفة نهائية الا بمراجعته ومشورته حتى جاء هذا الدستور الجديد مطابقا لفكرته لأن الأعمال التي يريد اعتزامها لا بد له من موافقة الدستور عليها وهذا الدستور يترك الباب مفتوحا أمام المستعمرات في افريقيا الغربية والوسطى لكي تختار بين البقاء في العائلة الفرنسية ، أو الانفصال عنها ، لأنه كان خائفا من ثورة الجزائر أن تمتد الى هذه المستعمرات ، ولم يشرك الجزائر في هذا الاختيار لأنه كان يعتبرها أرضا فرنسية ...

ولما تم الدستور قدمه الى الشعب الفرنسي ، والى الشعوب المستعمرة في افريقيا للمصادقة عليه ، وعين له يوم 26 سبتمبر 1958م ، وأخذ في بث الدعاية له ونشر مواده على صفحات الجرائد في فرنسا والأقطار التابعة لها وسافر الجنرال بنفسه الى افريقيا السوداء ليفهمها في هذا الدستور حتى تصادق عليه باجماع .

وكانت قوات الأمن والمنظمات الفاشية والعسكريون يضغطون على السكان المسلمين ليشاركوا في هذا الاستفتاء باعتبارهم فرنسيين ...

قابلت الثورة هذه الأعمال المنافية للمعقول والمنطق الصحيح باجراءات مضادة لها ، ففي يوم 25 من أغسطس 1958م أمرت جبهة التحرير الفدائيين أن يحطموا المنشآت الاقتصادية والعسكرية في أرض فرنسا نفسها ، فعم التخريب جميع الوطن الفرنسي كاملا ، فكانت خسائر كبيرة تعد بالمآت المليارات .

وفي يوم 26 ـ ايلول 1958م جرى الاستفتاء العام على هذا الدستور وقبل الاستفتاء صرح القائد الجزائرى بوصوف قائلا :

لن يشترك أى جزائرى واحد في هذا الاستفتاء الذى سيقع في هذا الشهر على دستور الجنرال ومضى يقول (ان ثورة الجزائر يمكن أن تستمر عشر سنوات أخرى ، وسيكون لدى الثوار الأسلحة الكافية التى تمكنهم من مواصلة الحرب ، ولا تستطيع فرنسا الاستمرار في الحرب بدون مساعدة أمريكا) .

امتنع المسلمون عن الاشتراك في هذا الاستفتاء مستجيبين في ذلك الى قرار قيادتهم بمقاطعته . وقام الفدائيون بتحطيم مراكز الانتخاب ...

ولما بدىء الاقتراع على هذا الدستور - ات السلطة الفرنسية المسلمين في الشاحنات وسيارات النقل الى مراكز الاقتراع مستعملة في ذلك القوة ، وفي مساء نفس اليوم أذاع السيد فرحات عباس رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة أول بيان سياسى منذ اعلان الحكومة قال فيه . (ان الشعب الجزائرى لن يلقى السلاح الى أن يتم الاعتراف بحقوق الجزائر في السيادة والاستقلال ، والجزائر ليست فرنسا ، والشعب الجزائرى ليس فرنسيا ، وأشار الى الاستفتاء حول الدستور الفرنسي الذى بدأ اليوم في الجزائر ، هو ضغط لا يحتمل على شعب يكافح من أجل الاستقلال) .

انجلت معركة الانتخابات عن قتلى ومساجين من طرف الجزائريين الذين رفضوا المشاركة في هذا الاستفتاء .

ولأول مرة خرجت النساء المسلمات من خدورهن الى صناديق الاقتراع يسوقهن الجند أمامه ، وعد الجنرال هذا من مفاخره العظيمة وحادثا هاما في سياسته وتقدما محسوسا نحو الحرية التى ينشدها الجزائريون ...

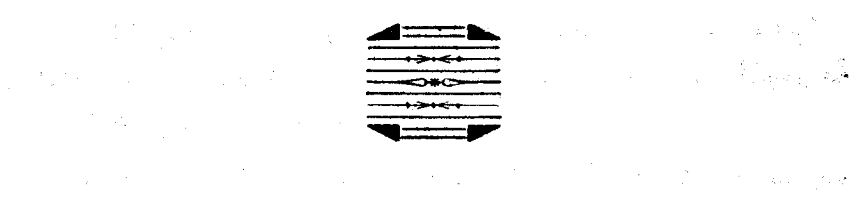
صوتت شعوب افريقيا السوداء كلها بنعم ، واختارت البقاء في المجموعة الفرنسية الا غنيا فضلت الانفصال عن هذه المجموعة دون أن تتعرض لأى ضغط ...

وباختصار فان هذه المجموعة من الأفارقة وافقت على ما جاء في هذا الدستور من المواد ورضيت به ، وكان الدستور ينص على أن سياسة هذه الأمم وثقافتها كلها بيدى فرنسا وما بقى من

الشؤون الأخرى تتصرف فيها وحدها ، وتمتنع عن رفع علم بلادهـا ورمزهـا ، واذا أرادت أن تكون لها شعـار فتنقشه في العمود الذى يحمل العلم الفرنسي ...

ولكن هذه الأمـم لـم تقنع بهذه الوضعية المزريـة بشرفهم فواصلت كفاحها السياسى حتى أحرزت على استقلالها ، وذلك في سنة 1960 ولكنها باقية مرتبطة مع فرنسا ورئيسها هو رئيس هـذه المجموعة في جميع الميادين وعلى أثـر موافقة الجزائريـين المزيفة على الدستور ، فتحت أبواب المجالس النيابية الفرنسية أمام الجزائريين ، وزيد في عدد الأعضاء في مجلس النواب الى 44 نائبا والشيوخ الى 32 على ما كان عليه سابقا ، فأصبحت نسبة الجزائريين الى المستوطنين الفرنسيين الثلثين بدلا من النصف ...

وأكدت تصريحات (م. دبريه) رئيس الوزراء وجود هذا الاتجاه آى (اتجاه ادماج الجزائر في فرنسا) لدى حكومة الجنرال حينما أعلن عن نيته في توحيد النقد والميزانية والقانون المدنى بما في ذلك قانون الأحوال الشخصية اذا أراد الجزائريون ...



أول خطبة للجنرال ديغول بين فيها حل القضية الجزائرية

وفي الثالث من شهر تشرين الأول 1958م سافر الجنرال الى الجزائر وألقى خطابا في مدينة قسنطينة في أوساط المعمرين ، وبعض قوات الجيش قال فيه : (لقد أظهر الاقتراع على الدستور ثقة الجزائريين ورغبتهم في البقاء مع فرنسا) وأضاف قائلا : (ان مستقبل الجزائر ومستقبل فرنسا مرتبط أحدهما بالآخر كل الارتباط ، ثم وجه خطابه الى مستمعيه من جمهور الفرنسيين فقال : (ان الاستفتاء على الدستور يوم الأحد الماضي ، لم يعد اليوم أما منا سوى طريقين الحرب ، أو الاخوة ، وقد اختارت الجزائر الأخوة مثل كل منطقة أخرى في فرنسا ، أما المشروعات الاجتماعية فتتمثل في مشروع قسنطينة للسنوات الخمس وقد رسمه في أوائل سنة 1959م ويهدف الى فتح مجالات العمل أمام الجزائريين ، وهذا المشروع هو الذى اعتبره نهوضا بالبلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا قال الجنرال ديغول : ها أنى جئتكم أيتها الجزائريات والجزائريون لأوضح لكم المستقبل الذى تدعو فرنسا اليه ، انه مستقبل ينطوى على أحدث انقلاب كلي يشمل هذه البلاد الحية الباسلة ، ولكنها جد صعبة ومتألمة ، انه انقلاب يجعل شروط حياة كل جزائرية وجزائرى في تحسين مطرد بحيث يستثمر خيرات الأرض ، وأعمال السكان وقيم الممتازين من الناس ويعمل على تنميتها فيكون أولاد الجزائريين منعمين ...

وباختصار بأن تأخذ الجزائر نصيبها مما تستطيع المدنية أن تقدمه الى الناس ، أو مما يجب عليها أن تقدمه اليهم من خير وكرامة ...

ولما كانت المشاريع الكبرى تستلزم تدابير علمية فاليكم ما قررت حكومتي بموجب الاصلاحيات الدستورية الجديدة التى تتمتع بها ، وتنفيذ هـذه الصلاحيات يكـون في بحر السنوات الخمس الآتية .

سيدخل في بحر هذه السنوات الخمس عشر الشبان الجزائريين على الأقل الموجودين في الوطن الأم جهاز الدولة من ادارة ، وقضاء ، وجيش ، وتعليم ، ومصالح عامة ، وسيؤخذ هؤلاء الشبان من احدى الجاليات الثلاثة العربية ، والقبائلية والأباضية ، وذلك من غير أن يؤثر على المعدل المتزايد الذى سيؤخذ في نصاب الدولة من الجزائريين العاملين في الجزائر ذاتها ...

في بحر هذه السنوات الخمس سير تفع معدل الرواتب والأجور في الجزائر الى مستوى مماثل كما هى عليه في الوطن الأم ...

وفي بحر هذه السنوات الخمس سيوزع مائتان وخمسون ألف هكتار من الأرض على الفلاحين المسلمين ، وقبل نهاية هذه السنوات الخمس سيتم الجزء الأول من مشروع الاثمار الزراعى والصناعى الذى ينطوى خاصة على وصول البنزين والغاز الصحراويين ، وعلى اقامة مجموعة من مؤسسات التعدين والكيمياء ، وعلى بناء منازل لمليون نسمة يضاف الى ذلك ما تحتاج اليه كل هذه الانشآت من تجهيزات صحيحة ، وتجهيز المرافق والطرقات واستخدام 400 ألف عامل جديد بصفة دائمة ...

وفي بحر هذه السنوات الخمس سيجد ثلث بنات وأبناء الجزائر مدارس تأويهم ..

هذا ماجاء في خطاب الجنرال ديغول ، وهذا هو الحل الذى يريد أن ينهى به المشكل الجزائرى يعتبر هذا المشروع دليلا على الاتجاه نحو التحاق الجزائر بفرنسا ، ولهذا قاومته الثورة بشدة بل انها هددت المزارعين الذين يقبلون الأراضى الموزعة عليهم من طرف السلطة الفرنسية بالعقاب الشديد ...

جند الجنرال لهذا المشروع الخبراء والفنيين وحث الدول الغربية صاحبة الأموال الطائلة التى تتهالك دائما على هذه الأقطار تقديم الاعانة اللازمة والمساعدة الفعالة لهذا المشروع الضخم ، وحصر له مواريد الدولة ومجهوداتها ليعلم العالم عامة والشعب الجزائرى خاصة أن فرنسا لن تسلم في الجزائر أبدا ...

وفي هذه المدة تدفق البترول والغاز وفاضا على وجه الأرض في الصحراء مما زاد في الجو تعكيرا وارتباكا .

تاسيس حكومة جزائرية في الخارج

وفي سنة 1958م خطت الثورة خطوة حاسمة من تاريخ حياتها وذلك بتأسيس جمهورية جزائرية حرة خارج الوطن ردا على مواجهة العدوان الذى يقوم به قادة فرنسا نحو الجزائر ، فكان ردا قويا على مشروع الجنرال ديغول الاندماجى ، وكان لهذا (المولود صدى كبير لدى مختلف دول العالم .

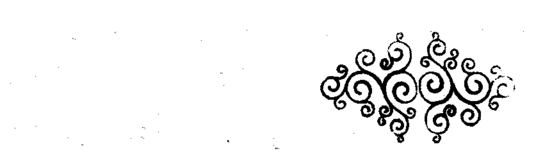
وقد تولى تشكيل هذه الحكومة السيد عباس فرحات في بيان رسم ألقاه على جموع المواطنين العرب الذين دعتهم جبهة التحرير الى الحضور ، وقد قوبل البيان بالتصفيق الحاد من طرف الحاضرين .

وفور اعلان قيام حكومة جزائرية بادرت الدول الشقيقة والصديقة بالاعتراف الكامل بها .

ولدت الحكومة الجزائرية في ظروف صعبة جدا ولم تولد على الورق ، بل ولدت في ميادين الكفاح والنضال ، وأبرزت الى الوجود على جماجم واشلاء الضحايا ، وأبصرت الثورة فوق الجثث ، والكتل البشرية المكدسة في غياهب السجون ، ودعم كيانها السلاح والعزيمة الصادقة ، فوزراؤها في بطون السجون ، ورعاياها ما بين منفى ومشرد طريد ، ومحكوم عليه بالاعدام ينتظر الموت الزؤام ، ومجند يخوض المعارك الدامية ، ويقتحم ميادين القتال وفدائى يتخط خطوط النار .

حكومة أقامها الشهداء الأبرار باراقة دمائهم وتقديم أنفسهم قربانا للحرية والاستقلال ، وتمركزت وترعرعت على جهاد الشعب وتعذيبه ، حكومة كان شعارها ونشيدها (الله أكبر) ، وصيحة المجاهدين في الجبال وزغاريد النساء ...

فباعتراف بعض دول العالم الشقيقة والصديقة بهذه الحكومة الجديدة أصبح لها الحق الكامل في تمثيل الشعب الجزائرى تمثيلا حقا وصدقا ، وكان لها الحق في عقد اتفاقات مع الدول لتزويد جيشها بالسلاح والعتاد الحربى وغيره بصورة شرعية وقانونية من أى دولة شاءت ولها الحق أيضا في أن تعقد صفقات بيع وشراء ، وتتعامل مع من أحبت من دول العالم ...



انتخابات تشريعية في الجزائر وفي فرنسا

وفي تشرين الثاني 1958م ، أجريت انتخابات تشريعية في الجزائر وفي فرنسا ، فأصدرت جبهة التحرير أمرها الى الشعب بمقاطعة هذه الانتخابات مع التحذير الشديد الى الشخصيات التى تطلب أو تقبل الترشيح بهذه النيابات المزيفة ...

كانت الحكومة الفرنسية ترمي من وراء هذه الانتخابات الى ايجاد عناصر قوية من الشعب الجزائرى التى لم تشارك في الثورة مشاركة ظاهرة لتتفاهم معها على الوضع السياسى لمستقبل البلاد لأنها لا تريد أن تتفاهم مع قادة جبهة التحرير الذين يحاربون .

ولأول مرة في تاريخ الاستعمار في هذه البلاد عامل الاكثرية من السكان بحيث جعل الثلثين من نواب المسلمين وثلثا من الجالية الأوربية .

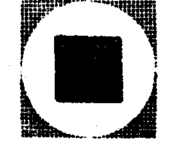
أصبحت حياة الشعب مهددة بالفناء وأملاكه بالتلف من جراء هذه الانتخابات ، فكل من ترشحه الحكومة الفرنسية من الشخصيات الموالية لها يخطف في الحال من طرف الثوار ويعاقب . وكذلك كل من يمتنع عن الاستجابة الى طلب الحكومة بقتل أيضا من طرف الجيش الفرنسى .

ولما رأت الحكومة أن الشعب الجزائرى لا يلبي أوامرها ويترك أوامر قـادة جيشه مهما كانت المعاملـة القاسية ، أخذ الجـيش الفرنسى يرشح ويعين ما راق له من الشخصيات التى لم تكن في يوم من الأيام لها سمعة أبدا في الأوساط الشعبية فضلا عن تمثيلها له ، بل كانت نكرات وما تزال نكرات مجهولة ولكن الجيش الفرنسى صمم على أيصالها الى الحكم بالقوة ليستر بذلك خيبته المريرة ...

وهـؤلاء النواب الذين فرضوا على الأمـة بعضهم أوربيون أنابوا أنفسهم عن المسلمين ، وبعضهم من الخونة أذناب الاستعمار

المعروفين في خدمته وطاعته وبعضهم من النساء الساقطات رشحن أنفسهن ليكن وزيـرات ، والباقى من قدماء المحاربـين الذين دافعوا عـن فرنسا في الماضـى ، وفـاقوا كلهم بفضل الجـيش الفرنسى ...

ولما رأى الجنرال ديغول أن هؤلاء النواب لا يمثلون الأمة لامن قريب ولامن بعيد سكت ولم يتفاوض معهم ليكمل الباقى كما يقول ...



الجنرال ديغول رئيس للجمهورية

وفي يناير 1959م ـ انتخب الجنرال ديغول رئيسا للجمهورية الخامسة باجماع وفوض الشعب الفرنسي له جميع السلط ومنحه كل امكانيات التنفيذ ، فله أن يفعل ما أراد ، ويعمل ما يشاء بدون استشارة المجلس الوطني ، وأطلق له اليد في التبديل والتغيير بدون معارض ...

فأصبح يعين الوزراء ، وانعقاد دورة المجلس الوطني، ان احتاج اليه ، وان شاء حله ، فالدستور يخول له ذلك لأنه أعطى سلطة مطلقة لرئيس الجمهورية الا أنه حدد مدة اقامة رئاسته بسبع سنوات ، ثم يجدد انتخابه ، بفضل هذه السلطة كلها أصبح الجنرال هو الرجل الوحيد في فرنسا والمرشد لها ، فأخذ يعالج في المشاكل الداخلية والخارجية ، وأدخل على جميع أجهزة الدولة أصلاحا عاما ، وكان يضع الأسس لبناء نهضة جديدة تتمشى مع شخصيته وسمعته العالمية وتاريخ فرنسا العظيم ، وهيبتها كدولة قوية في العالم لها تاريخ تليد حتى يتمكن الشعب الفرنسي من الاستقرار والهدوء ، ويسائر الدول العظام ، وهذا الاصلاح الذى أراده الجنرال لن يكتب له النجاح ، ولن ينفذ تنفيذا حقيقيا الا بازالة المشبطين من طريقه ...

وكان بعض الضباط من الجيش يعارضونه ، ولا سيما من أحزاب اليمين ، فبدأ بتصفيته من العناصر المتطرفة وآقصائها تماما عن الحكم المدني في الجزائر لان الوزير المقيم سابقا كان قد فوض الحكم للجيش في البلاد بدون مراقبفحكم الجيش الفرنسي المدنيين الجزائريين حكما عسكريا فلما تمكن الجنرال من الحكم أراد أن يجرده من جميع السلطة المخولة له ويقصيه عن الحكم المدني ، وعن الخوض في السياسة ،ويحصر مهمته في الحرب فقط ضد الثوار ، ويرجع الحكم الى المدنيين ... فبهذه العمليات والاصلاح والتطهير يتسنى له تطبيق برنامجه ، فأخذ في تنقية القادة الكبار وتجريدهم من الحكم المدني ، ونقل بعضهم الى

فرنسا ، وأعطى للبعض الآخر التقاعد وكان يخلفهم بآخرين موالين له ومحبذين لسياسته ... أما ادارة الجزائر العليا فلم يسمح لأى أحد أن يتدخل في شؤونها فجميع أمورها وقضاياها يجب أن ترجع اليه وحده ، فعين موظفا ساميا حل محل الوزير السابق على القطر الجزائرى ومنحه جميع السلطة العسكرية والمدنية ، وهذا المفوض السامى لا يفعل شيئا من عنده ، وانما ينفذ أوامر رئيس الجمهورية التى يتلقاها منه مباشرة .

ولما كانت الحرب تمس القطرين الشقيقين تونس والمغرب مسا مباشرا أصبحت علاقتهما سيئة مع فرنسا بسبب الاعانة التى كانا يقدمانها الى الثورة ، فأراد صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه أن يعرض وساطته بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير ليجعل حدا لهذه الحرب القذرة ، وكان ذلك بدافع النية الحسنة والمصالح المشتركة والصداقة التى كانت تربط بين الرجلين ، فسافر جلالة الملك الى جزيرة (مادغشقر) ، وكان القصد من هذا السفر هو أن يذهب الى جزيرة (مادغشقر) ليزور الاماكن التى كان منفيا فيها وتبع طريق منفاه ، ولهذا ذهب الى هذه الجزيرة ليتفاهم مع رئيس الجمهورية على هذه الوساطة ...

فأرسل الجنرال ديغول مندوبا عنه الى جلالة الملك محمد الخامس ليتفقا على الموعد ويحددا الزمان والمكان ، ولكن رئيس الجمهورية لم تعجبه هذه الوساطة ، لأنه لم يرفيها فائدة ، فبدأ يتلكأ ويماطل ويعتذر عن هذه الملاقاة بسبب كثرة المشاكل والحوادث ، فكان يؤخرها من حين الى آخر ، وهذا كله عن قصد وسوء نية ...

وفي صيف سنة 1959م سافر جلالة الملك الى أوربا مع عائلته وحاشيته ففى الظاهر كانت الزيارة للاستجمام والراحة وهى في الحقيقة يقصد بها ملاقاة الجنرال فلما علم هذا الآخير بعزم جلالة الملك دبر له مكيدة عن طريق وزيره الأول فحالت هذه المكيدة بينهما ، فرجع الملك حانقا الى الرباط ...

واشتهرت هذه المحاولة في الأوساط العالمية وكان العالم يترقب في نتائجها .

فشــل فرنســا واعترافهــا بتقريــر المصــير

منذ تسلم الجنرال ديغول الحكم ، وهو يعمل ليلا ونهارا من أجل الوصول الى أهدافه التي رسمها من أول صعوده الى منصة الرئاسة ، وهو القضاء على الثورة في أقرب وقت ممكن ولذا سن للجزائر برامج كثيرة ومشاريع واسعة من اقتصادية واجتماعية وسياسية وعمرانية والمؤتمرات الحربية التي كان يعقدها لدراسة الوضع الحربي على الخرائط وعلى طبيعة الأرض التي تدار فيها المعارك ومواصلة تدريب الجيش على تسلق الجبال ليكون قادرا على حرب العصابات ، وتنظيمه تنظيما ثوريا حتى يباغت الثوار في أماكنهم .

فعل الجنرال هذا كله وأكثر من ذلك فبذل مجهودات جبارة في ميدان الحرب لأنه علق آمالا كبيرة على العمليات الحربية وخصوصا برنامج شال ، وكان يأمل أن يكون عام 1959م نهاية الحرب ، ولكنه أصيب بخيبة كبيرة ، ولا سيما بعد فشل معركة (جوميل) فتحقق حينئذ أنــه يقاتل قوة لا تقهر قــوة شعب يطالب بحقــه تسانده شعوب كثيرة ...

ولما تحقق عجز القوات الفرنسية عن ابادة الثورة وتحطيمها راح يفتش عن حل سياسي يضمن به حضور فرنسا في الجزائر وارتباطها بأم الوطن ارتباطا وثيقا ...

هذا الحل الذى يعتزمه الجنرال ما هو الا حل استعماري جديد مقنع يخفى به وجهه القديم السافر ، ومع هذا كان يخشى من الجهر به خوفا من معارضة الجيش ، وغلاة المعمرين المتطرفين أصحــاب اليمــين الذين لا يزالــون يحلمون بالأمبراطوريــة العظيمة ...

رأى الجــنرال قبل اعلانــه لهذا الحــل أن يستشــير رجاله في الجزائر ، فطار اليهم في زيارة قصيرة ، واجتمع بقادة الجيش وبعد ما عرض عليهم مشروعه هذا قفل راجعا الى باريس ...

ولما كانت الثورة تطير من نصر الى نصر والجيوش الفرنسية في حالة انهزام أخذ الجيش الفرنسي ينتقم من المواطنين انتقاما شديدا ، فضج العالم من هذه الأعمال المنكرة فكان يضغط على الحكومة الفرنسية بواسطة المظاهرات والجرائد لعلها تعلن الحل الصحيح لتجعل حدا لهذه الحرب المجرمة القذرة ، وتوجه الرأى العام العالمى الى هيئة الأمم المتحدة أن تتدخل في القضية الجزائرية حتى تطبق فرنسا قرارات الجمعية التى تنص على تقرير المصير لجميع الشعوب ...

خشي حلفاء فرنسا من هذا التدخل الذى تكون عاقبته سيئة الى الغاية لربما تصدر هذه الهيئة حكمها على فرنسا في دورتها المقبلة ...

كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (المستر ازنهاور) يجول في عواصم غرب أوربا ، وزار باريس واجتمع بالجنرال ديغول ، وعرض عليه هذا الاخير الحل الذى يعتزمه لأنهاء الحرب في الجزائر ، وتباحثا وتشاورا في القضايا العالمية الهامة ، ولم يصدر أى بيان عنهما في قضية الجزائر الا أن رئيس الولايات المتحدة قال بعد ما يصرح الجنرال فانى أعقب عليه .

وأحيط هذا المشروع بالكتمان التام حتى عن أقرب المقربين اليه ، وكان العالم قاطبة ينتظر هذا الحل بفارغ الصبر وكامل الاشتياق .

وفي السادس عشر من ايلول 1959م صرح الجنرال بمشروعه وأذاع تفاصيله التى تظمنت الحل لقضية الجزائر ، فقال ان الشعب الجزائرى هو الذى يقرر مصيره بنفسه بعد ما تتم التهدئة ويتوقف القتال والمعارك الحربية ، ويتلخص هذا المشروع في ثلاث نقط .

أ ــ توقيف القتال فورا .

ب ــ أن يتوفر السلام لمدة أربع سنوات ، ويقطع هذه المدة اذا ما بلغ مجموع الضحايا والاشتبكات بين الشعب الجزائرى والشعب الفرنسى من عسكريين ومدنيين أكثر من مائة قتيل في السنة ...

ج ــ أن يجرى ختـام السنوات الاربـع استفتـاء الشعـب الجزائرى حول اختيار المصير من ثلاث نقط .

أ ــ أن يندمج شعب الجزائر في الشعب الفرنسى ، وفي هذه الحالة يكون ماله ماللفرنسيين من الحقوق والواجبات .

ب ــ أن يكون الشعب الجزائرى حكومة مشتركة مع فرنسا اى تابعة للاتحاد الفرنسي ...

ج ــ أن يستقل عن فرنسا استقلالا تامـا ويسمى الجـنرال هذا الاستقلال بالانفصال ــ يقول : يجب أن يرجم هذا الانفصال ــ لأنه شيطان ، واذا وقع فهناك الطامة الكبرى ...

وفي هذه الحالة يجب أن يقسم التراب الجزائرى الى مناطق ، فالمناطـق الصحراوية التى يوجـد فيها البترول تكون فرنسيـة محظة ، وكذلك المناطق التى يريد سكانها أن يبقوا فرنسيين موالـين لحـكومة باريس ، وتابع كلامه قائـلا : نظرا للمعطيات الجزائر ، والقومية والدولية ، فانى أرى من الضرورى أن يعلق من الآن على الالتجاء الى تقرير المصير ، فباسم فرنسا ، وباسم الجمهورية ، ونظرا للسلطة التى يخولها لى الدستور في استشارة المواطنين ، فانى أتعهد ان بقيت حيا واستمع لى أن أطلب من جهة الجزائريين في ولايتهم الاثنى عشر أن يعبروا عما يريدون عن مصيرهم في آخر الأمر ، وانى أطلب من الفرنسيين من جهة أخرى أن يصادقوا على اختيارهم . وسأحدد تاريخ تقرير المصير حينما يحين الوقت وهو لا يتجاوز على أكثر تقدير أربع سنوات بعد استتباب السلم استتبابا فعليا أى بعد أن توجد وضعية لا تتسبب فيها الاغتيالات والكماين على أكثر من مائة قتيل في السنة ...

ويمضى في كلامه فيقول : ومن الطبيعى أن يلقى هذا السؤال على الجزائريين بصفتهم أفراد لأنه منذ أن وجد العالم لم توجد وحدة جزائرية فضلا عن وجود دولة جزائرية .

ويقول اعـادة التجمع والاسكـان لقسم من سكان الجـزائر ممكنان ، فالجـزائريون الذين يفضلـون الاحتفاظ بالجـنسية

الفرنسية ستنظم فرنسا تجمعهم واقامتهم ا نلزم الأمر ... ومن جهة أخرى ستتخذ جميع الاحتياطات حتى يكون استثمار ونقل البترول الصحراوى الذى هو من عمل فرنسا الذى يهم الغرب أمرا مضمونا مهما تكن الأحوال ... ان انفصال الجزائر عن فرنسا سيؤدى الى بؤس مدقع وفوضى سياسية مخيفة ومجزرة شاملة ... ويمضى في كلامه ويقول : نظام داخلى للجزائر من الاتحاد يعتمد على فرنسا ويتحد معها في ميادين الاقتصاد والدفاع والتعليم والعلاقات الخارجية ...

هذا هو الحل الذى كان يخفيه رئيس الحكومة الفرنسية حتى عن أقرب المقربين اليه ...

اعترف الجنرال ديغول بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم ، وتقرير المصير هذا الذى اعترف به رئيس الحكومة لم يغير شيئا من الحالة التى كان عليها من قبل نظرا للصعوبات التى أحاطه به ، والعراقيل التى وضعها أمامه ، والمشاكل التى خلقها في سبيله ، وهذه الصعوبات والعراقيل بعبارات لطيفة ظاهرها فيها الرحمة ، وباطنها فيها العذاب الأليم ...

وتقرير المصير بهذه الكيفية لم يكن حلا صحيحا ينهى المعركة المشتعلة الأوار ، وتنتهى معه جميع الآلام والأحزان ، لأن أعمال الجنرال وأقواله وتصريح رجال حكومته وقادة جيشه كلها تدل دلالة واضحة على أن الغاية الحقيقية من دعوى تقرير المصير بهذا الشكل المقترح انما هو كسب للوقت لينمو جيل جديد متشبع بفكر وعقل فرنسى حتى اذا ما وقع الانتخاب فاز الذين ينتمون للفرنسيين ...

وقد استطاع الجنرال أن يخدع كثيرا من رجال السياسة العالمية بسياسته هذه في تقرير المصير ، فاستبشر العالم وفرح بانتهاء الحرب ، ولكنه لم يستطع أن يخدع الجزائريين ...

لا يعترف الجنرال ديغول في حله هذا بواقع الأمة الجزائرية من قبل الاحتلال ولا بالدولة التى كانت قائمة ، ولا بوحدة القطر الجزائرى ، ويقول في كلامه منذ أن وجد العالم لم تكن هناك وحدة جزائرية بل السيادة الجزائرية ، وانما تعاقب على البلاد

القرطاجيون ، والرمان ، الوندال ، البزنطيون وعرب سوريا ، وعرب قرطبا ، والأتراك والفرنسيون من غير أن توجد في البلاد في أى وقت ، وبأى شكل من الاشكال دولة جزائرية ...

وكان الجنرال يلوح فيخطابه الى تقسيم الجزائر اذا ما فشلت المحاولات ، ويقول ان انفصال الجزائر عن فرنسا سيؤدى حتما الى بؤس مدقع وفوضى سياسية مخيفة ، ومجزرة شاملة ، ونحن اذا نظرنا الى المجازر البشرية الموجودة في كل مكان من القطر الجزائرى منذ الاحتلال من الذى ارتكبها ؟ بدون شك هم الفرنسيون أنفسهم ، والعالم يشهد بذلك كله ، ان المجازر التى وقعت في الجزائر لم يسبق لها نظير ، والقسوة التى ارتكبها غلاة الاستعمار ، وقادة الجيش الفرنسى ، وحكم الاستبداد الذى فرضته فرنسا على الشعب لم يكن معمولا به في أى بلد من بلدان العالم ...

الجنرال يرفض المفاوضة مع من يسميهم العصاة في خطابه على مشروعه ، بل يطالب بتسليم أنفسهم بدون قيد ولا شرط ويجعل مشروعه قابلا للمناقشة لأنه يريد الاستلاء على الجزائر بقرار ينتزعه من الجزائريين أنفسهم حبوا أم كرهوا ... ويقول في خطابه أنا شخصيا واثق من أن مخرجا مثل هذا يكاد يكون غير متوقع ألا وهو انفصال الجزائر عن فرنسا وهى في وضعها الحاضر فيكون وبالا كبيرا لا يؤدى الا للبؤس المخيف من الغرض السياسى والتذبيح ، ثم الى دكتاتورية الشيوعية العاتية ، ومثل هذا الشيطان يجب أن يطرد ، وأن يطرده الجزائريون أنفسهم الخ ...

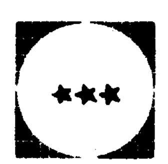
فالجنرال يريد أن يحفظ الجزائريين من الفوضى السياسية والتذبيح والاغتيالات ممن يحفظهم يا ترى ؟ أيحفظهم ممن يستميتون في الدفاع عن الوطن لينقذوا الشعب من الحرب المبيدة التى تسلكها فرنسا في هذه البلاد ؟ أو من الفناء الذى جعله قادة الجيش الفرنسى هدفا لهم في هذه الديار ؟ أو من تكالب المعمرين على خيرات هذا الوطن ، واستثمار موارده الطبيعية وأخذهم ذلك بالقوة ؟ ...

من أين يحمى الجنرال المسلمين ؟ أيحميهم من مكائد ومؤامرات غلاة المعمرين ، أو من اليد الحمراء التى أطلق لها العنان في العبث بالشخصيات حتى كانت تفعل ما سولت لها نفسها من المناكر والقتل الجماعى والتخريب والتهديم ؟ ...

ان هذا التمويه والتضليل ومجانبة الحق وعدم الصراحة والاعتراف بالواقع من أشنع وأقبح ما سمع به في العالم ...

ومن سخافة القول : (قول بعض المسؤولين الفرنسيين اننا لا نستطيع أن نترك الجزائر ونسلمها الى الثوار ليقتلوا أهلها ويستبيحوا خيراتها ، بل لا بد من الاطمئنان على مصيرهم) ...

انهم يتظاهرون بهذه الرحمة والشفقة الكاذبة والانسانية المنافقة وهم في كل يوم يقتلون ويحرقون المآت من النساء والأطفال والأبرياء بلا ذنب اقترفوه ، ولاجرم ارتكبوه اللهم الا أنهم يقولون اننا جزائريون .



اعتكاف الحكومة الجزائرية المؤقتة على دراسة تقرير المصير

الذى أعلنته الحكومة الفرنسية كحل للقضية الجزائرية ، وعلى دراسة احوال الثورة المحلية والدولية ، استغرقت هذه الدراسة عدة أيام أصدرت على أثرها في 28 ـ ايلول 1959 بيانها بالرد على مشروع الجنرال ديغول وانى أثبت هذا الرد بنصه كاملا قالت (اننا على أبواب السنة السادسة من الحرب ، وفي الوقت الذى تستعد فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة القضية الجزائرية من جديد ، وفي الوقت الذى تفتح فيه مقابلات دولية كبرى لاستقرار السلم في العالم) .

وفي هذا الوقت تتجه الأنظار فيه نحو الجزائر ، وتظهر جميع الشعوب رغبتها الأكيدة في عودة السلم الى هذه الأرض الافريقية حيث ما تزال تجرى فيها حرب تسببت بعد فيما يقرب من مليون من الضحايا ...

ان الشعب الجزائرى قد اضطره الاستعمار الى حمل السلاح والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع تأكيدها مرة أخرى لارادتها في الكفاح الى أن يتحقق التحرير الوطنى ، تعلن أنها عازمة على ألا تهمل أية فرصة لتمكين السلم من جميع نواحيه ...

لقد اعترف رئيس الجمهورية الفرنسية باسم فرنسا ـ على رؤوس الملأ في بيانه يوم 16 سبتمبر 1959م بحق الجزائريين في تقرير المصير ، وهكذا قد اعترف أخيرا للشعب الجزائرى في تقرير المصير بحريته ، الا أن هذا التطور لم يكن ممكنا لولا أن الشعب الجزائرى ما انفك خمس سنوات يواجه بانتصار حربا من أفضع الحروب التى أراد الاستعمار أن يغزو بها بلادنا من جديد ان هذا التطور لم يكن ممكنا أيضا الا بفضل تأييد الشعوب الشقيقة والصديقة ، وبفضل مساندة الرأى العام الأممى ...

ان حق الشعوب في تقرير مصيرها المنصوص عليه في اعلان جبهة التحرير المؤرخ بفاتح نوفمبر 1954 كان دائما هدفا أساسيا للثورة الجزائرية ، فهو يمثل وسيلة ديمقراطية سليمة يتوصل بها الشعب الجزائرى الى الاستقلال الوطنى ...

ان حق الشعوب في تقرير المصير المنصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة أى حق الشعوب والتصرف في شؤونها بنفسها يعيد الى الشعب الجزائرى ممارسة السيادة الوطنية التى اغتصبها منه ـ حينا من الدهر ـ احتلال عسكرى لا يمكن أن تنتج عنه أية شرعية .

ان الذاتية القومية التى تكونها الجزائر والوحدة الاجتماعية هى عناصر موضوعية جوهرية ، ولهذا فمن الوهم تطبيق المصير بكيفية لا تقر حسابا لهذه الحقائق ، أو تهدف الى تمزيق هذه الذاتية وتجزئتها الى مجموعات عنصرية ودينية ... ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تذكر ـ زيادة على هذا ـ بالمبدء الذى لا يمكن النيل منه ، وهو وحدة التراب الوطنى ، وتعبر عن عزيمة الشعب الجزائرى التى لا تقهر في معارضة كل محاولة للتقسيم .

ان الحكومة الجزائرية تلفت نظر الرأى العام الدولى الى الخطر الذى ينتج عن كل مس بهذه الوحدة التى لا تتجزأ ... ان محاولة من هذا النوع ليست فقط بعيدة عن المساهمة في حل المشكل الجزائرى ، بل انها لا تزيده الا خطورة ، وتمثل تهديدا للسلم والأمن في العالم ..

أما فيما يخص ثروات الصحراء فان التنقيب عنها واستغلالها لا يمكن بأية صفة من الصفات أن يتحول ملكية شرعية ان هذه الثروات التى هى مصدر تقدم انسانى قبل كل شيء للجزائر ولأفريقيا الشمالية لا يمكن ـ في سبيل الصالح العام ـ الا أن تتسبب في ايجاد تعاون واسع مثمر ...

ومن جهة أخرى فان تعليق الاختيار الحر للشعب الجزائرى عن استشارة الشعب الفرنسي ليس سوى نفى للديمقراطية ولحق تقرير المصير ...

ان الاستقلال الذى ينتج عن استشارة الشعب الجزائرى بكيفية حرة لن يكون مصدرا للفوضى والبؤس ، بل ان هذا الاستقلال على العكس من ذلك ، يتوقف عليه كل تقدم حقيقى ، انه يضمن حرية الأفراد وأمنهم ، وهو أخيرا يسهل تشييد المغرب العربى والتعاون الحر مع جميع البلدان ...

ومن البديهى بعد التحديد الكامل لهذه المبادىء آن الألتجاء الى الاستفتاء العام لا يمكن أن يكون بغير العودة الى السلم ، لأن الحرب المتواصلة التى تزداد فتكا مع مرور الأيام لا يمكن أن ترجع السلم الى الجزائر ...

ان الشعب الجزائرى لا يمكن أن يمارس اختياره الحر تحت ضغط جيش الاحتلال يعد أكثر من نصف مليون جندى ، وما يقارب ذلك من رجال الشرطة والجندرمة والميليشيا ان ممارسة الاختيار الحر لا يمكن أن تقع تحت ضغط الطائرات والدبابات والمدافع وتحت ضغط ادارى اشتهرت تقاليده بتزييف الانتخابات ان هذا الاختيار الحر لا يمكن أن يتم بصورة كاملة مادام أكثر من ربع السكان موقوفا في السجن والمحتشدات أو مرغما على الهجرة هذه كلها قضايا تتطلب المناقشة .

ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التى اعترفت بها حتى الآن عدة دول هى الظامنة والمؤتمنة على مصالح الشعب الجزائرى الى أن يعبر عن اختياره بحريته ، انها تسير وتراقب مقاومة الشعب الجـزائرى والكفاح التحريرى لجـيش التحرير الوطنى ، اذن فلا يمكن بدون موافقتها أن يعود السلم ، هذا السلـم الذى يمكن أن يتحقق حـالا لأجل هذا الغرض ، فـان الحـكومة المؤقتة للجمهوريـة مستعدة للدخول في محادثات مـع الحكومة الفرنسية لبحث الشروط السياسية والعسكرية لايقاف القتال ، وبحث شروط وضمانات تطبيق حق تقرير المصير ...

أوضح الدكتور أمين الدباغين وزير الخارجية للجزائر رد حكومته على مشروع الجنرال ديغول في تقرير المصير فقال : (ان مشروع الجـنرال كان في حقيقته موجهـا للرأى العام الدولى ، وليس للجزائر نفسها ، والجزائريون شعب مسالم ، ولكن تمنت

فرنسا اضطرهم الى حمل السلاح ليدافعوا عن بلادهم ، وبعد خمس سنوات من الثورة استطاع الشعب بصلابة جهاده أن يرغم المستعمرين الفرنسيين على الاعتراف بحقه في تقرير مصيره ، ونحن نرحب باجراء الاستفتاء شريطة ألا يخضع لضغط أو اكراه ، أو تدخل من طرف فرنسا أو غيرها ، كما أن الجزائريين متمسكون بوحدة التراب الجزائرى ...

ونحن مستعدون للتفاوض ضمن هذين الشرطين ، ونحن واثقون من أن الشعب الجزائرى بمجموعه سيصوت من أجل الاستقلال التام ضمن وحدة التراب الجـزائرى ، ولكن مـا بـين الاعتراف بحق تقرير المصير وتطبيقه مرحلة طويلة تتطلب جهادا مستمرا متواصلا حتى نرغم فرنسا على تفسير حق تقرير المصير كما نفهمه نحن ويفهمه الضمير الحر في العالم ، وليس كما يفهمه العقل الاستعمارى الذى عودنا دائما على قلب كل المفاهم والقيم لنتماشى مع مطامعه الغير المشروعة .

وأدلى السيد عباس فرحات رئيس الحكومة الجزائرية بتصريح قال فيه : (ان اجراء الاستفتاء حول تقرير المصير في ظل وجود مليون جندى فرنسي ما بين قوات الجـيش والأمن والجـندرمة يشرف عليه خبراء في تزوير الانتخابات لا يمكن أن يكون استفتاء ولن يخرج عن كونه تكرارا للانتخابات السابقة التى أجرتها فرنسا في الجزائر ...

ويمضي وهو يقول : نكشف للقارىء تفاصل المؤامرة التى رسمها ديغول لتنال فرنسا من وراء نجاحها ما عجزت عن تحقيقه بالسـلاح وفيما يلى الخـطوط الرئيسية للمؤامرة التى أعـدت بمهارة ، وبعد دراسـة التحرى تصفيـة الثورة وفق بنودهـا ، يوقف القتال فورا مقابل اعلان الاعتراف بحق سكان الجزائر في تقرير مصيرهم ...

أ ــ باسم توطيد السلم لحين اجراء الاستفتاء حول تقرير المصـير يحل جيش التحرير ويجرد من سلاحـه ، ويلزم الثـوار بالخضوع للقوانين والنظم الفرنسية القائمة تحت شعار فرض السلم ...

ب ـ تظل القوات الفرنسية المسلحة على حالها في الجزائر باعتبارها القوات الشرعية المسؤولة عن الدفاع والأمن الى حين تقرير المصير ...

ج ـ العمل على اطالة فترة الانتقال ما بين وقف القتال واجراء الاستفتاء ، ويراعى في الشروط الخاصة بالتمهيد للاستفتاء تمكين الحكم الفرنسي من تمديد هذه الفترة وفق ما يريد ...

د ـ أن يعمل الارهاب الفرنسي خلال فترة السلام على تصفية الثورة تماما والقضاء على القوة الثورية الوطنية باسم قيام الحكم الفرنسي باقرار السلام .

فان هذه التصريحات من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ورئيسها ووزير خارجيتها لم تدع مجالا للمناورات والدسائس واللف والدوران ...

هذه التعليمات كلها على مشروع ديغول كانت في غاية الصراحة والوضوح لأن الحكومة المؤقتة تعرف جيدا مكائد الاستعمار التى سببتها للشعب الجزائرى في تزوير الانتخابات والديمقراطية الزائفة ، واستعملت في ردها على الحل الذى صرح به رئيس الحكومة الفرنسية ملازمة الحذر واليقظة كى لا تضيع مجهودات الشعب الجزائرى الحربى التى بفضلها انتزع سيادته وتقرير مصيره من العدو ...



رئيس الحكومة الفرنسية يقول تصريح الجنرال هو تأكيد لسياسة فرنسا في الجزائر

ذهب رئيس الوزراء الفرنسى (م دوبرية) يؤكد هذا المشروع الخطير على أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية قال دوبرى (ان مشروع ديغول المعلن في 16 سبتمبر يعطى الجزائر الفرصة الوحيدة لمغادرة الحلقة الجهنمية من العنف والدخول الى دائرة الحقوق ، والعودة الى الحقوق ليست في الاعتراف بسيادة جزائرية مزعومة ، ولا في اجراء مفاوضات سياسية مع المسؤولين من حركة العصيان : ان بيان الجنرال ديغول ليس أساسا للمناقضة أو المفاوضة وانما هو تأكيد لسياسة فرنسا وتحديد لخطتها في الجزائر ، ويمضى ويقول : في بيانه موضحا شروط حكومة فرنسا لوقف اطلاق النار (على الذين بدأوا باطلاق النار في الجزائر أن يتوقفوا على ذلك ويعودوا بدون عذاب الى عائلتهم وأعمالهم ، ولقد أعطيت التعليمات اللازمة من قبل حكومة الجمهورية حتى يمكن مناقشة كيفية وقف اطلاق النار ، وستعطى الضمانات اللازمة في هذه المناسبة الى ممثلى العصاة بعدم تعرض حريتهم للخطر واذا لم تنجح هذه المفاوضات فبامكانهم العودة الى الخارج بكل حرية) ...

ومنذ اعلان تقرير المصير ضاعف الجيش الفرنسى والمنظمة الارهابية من نشاطهما الايبادى ، وتعذيب السكان باذن المسؤولين من الحكومة الفرنسية فكان الجيش الفرنسى يصدر الأحكام على المواطنين والمجاهدين سواء كانوا ثائرين أم ، لا يضرب الاعناق والاعدامات المختصرة ، وفي بعض الأحيان بدون محاكمة فيذبح ويمثل بالضحايا أشنع تمثيل .

أصبحت السلطة الفرنسية تعذب الفرد والجماعة على السواء كتب بعض الاوربيين من المنصفين المعتدلين عدة كتب في اقتراف المناكر التى يرتكبها جنود المظلات نذكر من بين هذه الكتب كتاب (بنوارى) فانه يصف الضباط الفرنسيين كيف يتكلمون عن

التعذيب وأنواعه فقال : فلشد ما صدمني أن الناس مدنيين وعسكريين يتحدثون عن ذلك جهارا ـ في غير ماحياء ـ حديثهم عن شيء طبيعي ، وعن فيلم سينمائي أو عن مباراة كرة القدم ...

وضباط آخرون يقولون : هذه الفضائع التي عمت في الجيش الجميع يتكلمون عنها علانية ، المدنيون في المقاهي والملاهي ، والعسكريون في كتائبهم ومطابخهم ، والجميع يستخفون بقولهم ، هناك البحر المتوسط بيننا وبين الجزائر وعلى كل حال ، فنحن أمة تعلم المدنية ...

فأين هذا من أعمال المجاهدين في معاملتهم لأسرى فرنسيين فانهم يفضلونهم على أنفسهم في المأكل والملبس ...

أصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة 4 ـ 10 ـ 1958 مرسوما يقضي باطلاق سراح أسرى الحرب بلا قيد أو شرط ، وكانت تأمل من وراء هذا السلوك أن ترى الجانب الفرنسي يطبق المبادىء الانسانية بصورة تدريجية على النزاع القائم ، وينص هذا المرسوم عن تفريج خمسين أسيرا فرنسيا على دفعات متتابعة ...

بعد ما وصل هؤلاء الأسرى الى ذويهم أعلنوا للعالم بأن قوانين الحرب مضمونة في الجزائر الحرة ، وأن نظام أسرى الحرب كما يعرفه القانون الدولي محترم كل الاحترام ، فالأسرى يراسلون أهلهم حتى انهم وجهوا اليهم بواسطة الصليب الأحمر الدولي رسائل مسجلة عن أشرطة صوتية ، وقد بلغت عاطفة الحنان التي اشتهر بها الجزائريون فجعلتهم يقبلون في كثير من الأحوال على توزيع جرايتهم على الأسرى ، وكان الجند الجزائري يضطر الى المشي بلا نعل بعد ما يخلعها ويقدمها الى الأسير الفرنسي ، وهو مثخن القدمين ...

هذه المعاملة الحسنة التي يعامل بها المسلمون أعدائهم ، هي من تعاليم الدين الحنيف الذي يوصي بالشفقة والرحمة على الضعفاء مهما كانت جنسياتهم وعقائدهم ، فهو دين العدل والمسامحة والانسانية الكاملة لا كما يدعي رواد المدينة الغربية

من أنهم يهذبون الانسانية ويحملون اليها المساواة والحرية والاستقلال الا ان الشواهد والتجارب تكذب هذه الادعاآت الزائفة والأقوال الباطلة ...

كان الجيش الفرنسي يعامل المقاتلين الجزائريين الواقعين في قبضته معاملة وحشية ، لم يطبق عليهم قانون أسرى الحرب ولم يكتف بذلك بل كان يتعرض الموحدات الجزائرية التى كانت تحمل أسرى الحرب الفرنسيين عبر الحدود التونسية أو المغربية ليطلقوا سراحهم ...

ومع هذا فقد وجه قادة الثورة عنايتهم بوجه خاص الى حالة الشبان الأجانب الذين كانت السلطات الفرنسية تجندهم من الأجانب عنها ـ المسمين بالفرقة الأجنبية ـ بغير رضاهم ، وقد أنشأوا عددا من المكاتب ، تتولى أمر اعادة هؤلاء الجنود الفتيان الى أوطانهم ، ففي سنة 1960م بلغ عدد المعادين الى أوطانهم عبر الحدود المغربية وحدها 3299 جنديا فرنسيا ...

قام ذووا الضمائر الحية من الفرنسيين بمعارضة الحرب في الجزائر معارضة شديدة ، وأصدروا بيانا أمضى فيه أكثر من 131 شخصا يمثلون الفكر والآداب والعدل والمساواة أمثال (بول ساتر) وسيمون دى بوفوار ، وفرانسو ساجان وغيرهم دعو الجنود الفرنسيين الذين يقاتلون في الجزائر الى تبرئة ضمائرهم بحيث يهملون الأوامر التى تتفق مع المبادىء الانسانية ، وانضم رجال الكنيسة الى التنديد بأعمال التعذيب واستنكروها ، ودللوا بذلك على تطور موقف الكنيسة ازاء القضايا الاستعمارية .

كان قادة الجيش الفرنسي يظنون أن مشروع ديغول في تقرير مصير الجزائر لم يكن جديا ، ولهذا قال الجنرال ماسو في خطابه الذى ألقاه على جموع المعمرين بمدينة الجزائر يوم 29 من أكتوبر 1959 قال : «لقد أتيت اليكم لأؤكد لكم أنه لم يتغير شىء ، وأن عمليات التهدئة مستمرة ، وسوف تستمر بنفس الوسائل ، وانى أدرك قلقكم كفرنسيين منذ أن تقدم الجنرال ديغول بمشروعه الجديد ، فاؤكد لكم علنا أنكم متمسكون بفرنسا ، والاختيار الذى سيسمح لكم وحدكم مع الجيش الذى هو بالقرب

منكم ، والذى سيبقى هنا معكم بأن تظهروا من جديد قراركم ، ومن جهة الاختيار فانكم ستبقون الى جانب فرنسا» ...

تعرضت السياسة الفرنسية في الجزائر من بعد اعلان تقرير المصير لهزات عنيفة وتغيرات سياسية نتيجة موقف الثورة الصلب نلاحظ أن مبادىء جبهة التحرير ظلت قائمة دون تغيير اللهم الا في بعض التغيرات اللفظية التى لم يتغير من مضمونها شيء وفيما يلي برنامج الجبهة كما أعلنته بعد تكوينها في سنة 1956 ...

الهدف هو الاستقلال الوطنى بايجاد دولة جزائرية ذات سيادة ونظام ديمقراطى اشتراكى في دائرة المبادىء الاسلامية مع احترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز في الدين ، وفي الميدان الخارجى ، تصرح بأن غايتها هو تدويل القضية الجزائرية ، وتحقيق وحدة شمال افريقيا في نطاقها الطبيعى الذى هو نطاق العروبة والاسلام .

وبينت أن أساس المفاوضات مع فرنسا على النحو التالى :

أ ـ فتح المفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التى لا تتجزأ .

2 ـ ايجاد جو من الثقة ، وذلك باطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، ورفع جميع التدابير الاستثنائية والتوقف عن تتبع فرق المقاومة ...

3 ـ الاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمى ينسخ جميع القوانين التى صيرت الجزائر أرضا فرنسية بالرغم من التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات التى يتصف بها الشعب الجزائرى ، وفي مقابل ذلك يتعهد الجزائريون بما يلى ...

أ ـ ضمان المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التى حصلوا عليها بطريقة شريفة ، وكذلك الأشخاص والعائلات ...

ب ـ جميع الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر يكون لهم الخيار بين جنسيتهم الأصيلة ، وفي هذه الحالة يعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين المعمول بها ، أو يأخذون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون جزائريين لهم ماللجزائريين من حقوق وواجبات ...

ج ـ تحديد العلاقات بين الجزائر وفرنسا تكون موضوع مفاوضات بين الدولتين على قدم المساواة والأحترام المتبادل ...

كانت السلطة الفرنسية قبل مجيء الجنرال ديغول غير مستعدة للاعتراف بجبهة التحرير كمفاوض شرعي متحدث باسم الجزائر ، فلما آل الامر الى الجنرال لم يتكلم على المفاوضة وانما تكلم على سلم الأبطال ، واستمر على رفضه في الدخول فيها مع جبهة التحرير حتى بعد اصدار مشروعه بتقرير المصير ...

ولما كانت الحرب في تصاعد ، وجميع برامج الحرب والقوات فشلت والثوار لم يستجيبوا للنداء الذى تكلم عليه الجنرال ، ولكنه حب أن يتصل بجبهة التحرير ليعرف نواياها .

وفي صيف سنة 1960 أراد الجنرال أن يجس النبض بشبه محادثة رسمية مع جبهة التحرير ، ولم يفعل ذلك الا بعد تردد شديد ، فتلاقى الوفدان من الحكومتين ، وأدلى كل واحد منهما بنظريته فيما يخص القضية الجزائرية ، ولما كانت وجهة النظر متباينة ، رجع كل منهما الى بلاده ، ولم تغير هذه المحادثة من الوضعية شيئا ...

هذا مما يدل دلالة واضحة على أن الجنرال ديغول عند ما تولى السلطة لم يكن مستعدا لتقبل النهاية التى وصلت اليها الثورة الجزائرية ، ألا وهو الاستقلال التام ووحدة التراب الوطنى ، وتسليم السلطة الى الجزائريين ، ولهذا نميل الى الرأى القائل بأن الجنرال لم تكن لديه سياسة محددة اتجاه الجزائر الا أن آراءه قد تطورت تحت ضغط الحوادث العالمية . وأمام صمود الثوار على وجه الخصوص ...

وتقرير المصير الذى اعترف به ، والاستفتاء الذى يريد اجراءه في الوقت المناسب كما يقول يشكلان عقبة كأداء في وجه الثورة الزاحفة الى الأمام .

بعث الجنرال الى القوات المسلحة الفرنسية والموظفين الفرنسيين في الجزائر ـ بعد أسبوعين من اعلان مشروعه ـ

رسالة من الجنرال ديغول الى القيادة العسكرية الفرنسية في الجـزائـر

تبين هذه الرسالة بوضوح غرضه ، أنني أنقل نص الرسالة يقول الجنرال : «الى القوات المسلحة ، وجميع موظفى الادارات العامة في الجزائر لقد رسمت خطوط سياستنا في الجزائر ، وقررت تنفيذها على مسؤوليتى ، وأنا ملم بجميع ملابساتها ، ان المهم الآن هو تهدئة الجزائر بصورة كاملة وانسانية ، وتشجيع تنفيذ مشاريع التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، وتهيئة الجزائريين من مختلف الهيآت ، للاتحاد مع فرنسا ، وبعد انقضاء سنوات عديدة على التهدئة يمكن اجراء استفتاء حر ليقرر الجزائريون حينذاك مصيرهم بأنفسهم في ظروف يصار الى تحديدها في الوقت المناسب ومن الضرورى عندئذ أن يتم هذا الاختيار بحرية ، والا فالمشكلة الجزائرية لن تحل بصورة نهائية ، وفرنسا من جهتها ترغب في حلها حلا نهائيا ، وتقوم الحكومة الفرنسية التى تتمتع بثقتى التامة الآن بتهيئة هذه المهمة الكبرى ...

كلكم يعلم أن هذه المهمة ستكون حاسمة بالنسبة الى الجزائر ولفرنسا معا ، وهى شديدة ستؤثر حتما على رسالتها الافريقية ، وعلى وحدتها الوطنية ، وعلى مركزها الدولى ، ونجاح تلك المهمة يتوقف على عملكم واتحادكم في تنفيذ الرسالة التى رسمتها بعد كل تلك الأعمال والتضحيات التى بذلتموها يتوجب عليكم خدمة فرنسا بالمحافظة على النظام» وبالتعاون في خدمة أغراض فرنسا بدون أن تتأثروا بأية خطة أخرى اعملوا فانى اعتمد عليكم ...

ولكي ينفذ الجنرال ديغول مشروعه ، ويضعه موضع التنفيذ يجب أن يضاعف من قواته في الجـزائر ، ويخوض غمار حرب مدمرة شاملة لا تبقى ولا تذر ، وعلى الشعب الفرنسى أن يعانى من ويلات هذه الحرب وامتدادها الى مالانهاية لها ، فحكامه لا يريدون أن يعترفوا بحق الشعب الجزائرى في الحرية والاستقلال ولن يعترفوا الا اذا كانوا مكرهين وبالقوة وحدها ...

بدأ الجنرال ديغول يلوح بمشروعه وهو يرتدى ثوب النصر ليعامل جيش التحرير بل يطلب منهم أن يلقوا سلاحهم ويتوقفوا عن القتال فورا دون مناقشة ، وبعد أربع سنوات من الخضوع للحكم الفرنسى عندئذ يجرى الاستفتاء وكان في الفينة بعد الفينة يعلن أن مشروعه غير قابل لأية مناقشة ، ومن بعد يوضح بعض النقاط المهمة التى جاءت في تقرير المصير ...

وبين رئيس الوزراء م دوبرية في 12 أبريل 1960م بقوله : ان في حالة اختيار الانفصال فلن يكن هناك حل سوى التقسيم ...

وكان موقف جبهة التحرير واضحا من أول الثورة لأن مقررات مؤتمر واد الصومام لم يكن بوسع أى أحد أن يتنازل عنها لذلك كانت فرنسا هى التى تضطر الى التنازل .

بدأ الجنرال يتقارب ، فقال (ان الاستفتاء يتم على مرحلتين : المرحلة الأولى يختار الجزائريون بين الانفصال والارتباط مع فرنسا ، واذا اختاروا الارتباط ، فان المرحلة الأخيرة يكون استفتاء على طبيعة هذا الارتباط ، وأخذ يدخل تعديلات على مشروعه ، وأهم تعديل هو ما صرح به في 4 نوفمبر 1960 فقال اننى مستعد لقبول قيام جمهورية جزائرية مادام الجزائريون يريدون في ذلك) وقال (حتى اذا بقيت الجزائر مرتبطة مع فرنسا يجب أن تكون لها أجهزتها الحكومية الخاصة ...

وقد اعتبر اليمنيون وغلاة الاستعمار من المتطرفين هذا التصريح تساهلا جديدا يضاف الى مشروع سنة 1959م لأنه يجعل الاختيار محصورا في أمرين : الانفصال أو الاتحادية ، ويسقط الحل الثالث وهو الاندماج ومن بعد هذا التصريح قامت موجة من الاضطرابات في صفوف اليمنين في فرنسا والجزائر ، واستقال كثير من المشاركين في حزب ديغول المعروف باسم اتحاد الجمهورية الجديدة ، فأجرى الجنرال استفتاء شعبيا على سياسته في الجزائر فكانت النتيجة 75٪ من الاصوات في فرنسا معه .

والواقع أن الجنرال ديغول واجه مشكلة الأوربيين في الجزائر وفي فرنسا حتى قبل اعلان مشروعه ، وذلك حين أمر بحل لجان الأمن العام لأنه خاف أن يكون أداة في أيدى الذين نادوا به ، ومن

بعد الاعلان عن مشروعه ازدادت العلاقة بينهما سوءا ، فصرح الجنرال ماسو قائد فرقة المظليين لصحيفة ألمانية في أول يناير 1960م بأن الجيش قد يضطر أحيانا لعدم الرضوخ لأوامر الحكومة ، لكن الجنرال ديغول أتخذ معه موقفا حاسما بحيث أخرجه من الجيش لأن تصريحه شجع المعمرين على القيام بحركة عصيان مضادة للحكومة وفي 26 ينائر الى 2 فبراير سنة 1960 قام أوربيو الجزائر بأول حركة تمرد واسعة واستولوا على السلطة في الجزائر ، وقامو المتاريس في الشوارع العامة ولحسن حظ الجمهورية الخامسة أطاع الجيش أوامر الحكومة المركزية ، وقضى على هذه الحركة ، وان كان بعض الضباط فعلوا ذلك على مضض ...

وحركة العصيان هذه لم تقتصر على حركة الغلاة من المعمرين في الجزائر بل شملت أحزاب اليمين في فرنسا ، وتكتل الجميع باسم جبهة التحرير الفرنسية الذى يرأسها م جورج بيدو أحد كبار السياسة في عهد الجمهورية الرابعة ، وزعيم حزب الحركة الجمهورية الشعبية ، ولكن اخطر ما تعرضت له الجمهورية الخامسة هو محاولة الانقلاب العسكرى الذى قام به أربع جنرالات وهم راءول سالان ، وشال ، وزيلير ، وجوهو ، في الثانى والعشرين من أبريل الى 26 منه 1960 ولكنها قمعت في الحال مثل الحركات الأخرى ...

تشدد الجزائريون في ضمانة سلامة الاستفتاء ، وصمموا على مواصلة الحرب ، وكانوا مستعدين لتحمل جميع الآلام والمشاق والمتاعب ، وفي أول يوم من السنة السادسة من القتال صرح وزير الدفاع الجزائرى بقوله (اننا مصرون على مواصلة الحرب حتى النصر ، ولدينا من القوة ما يمكننا من القتال عشر سنوات أخرى) كما أبلغت القيادة العليا لجيش التحرير هذا البلاغ الى جنودها صباح يوم 4 أكتوبر 1959م بقولها : (ان تقرير المصير الذى انتزعتموه بكفاحكم والخطوة التى قطعتموها عظيمة ، وقد أصبح الاستقلال في متناول أيدينا ، ولكن لا يمكن ذلك

بحال من الأحوال أن يشكل تقرير المصير هدنة ، فالمعركة مستمرة ، وسنواصل القتال حتى النصر وشعارنا اتحاد ، عمل ، يقظة ، ثقة ...

عاد وزير الخارجية الجزائرى الى تأكيد مواصلة القتال ، وذلك لتصريحه أثناء انعقاد مؤتمر حكومة الجزائر المؤقتة للدول العربية في دمشق فقال (لن يلقى الشعب الجزائرى السلاح الا عندما تحصل الجزائر على حريتها واستقلالها فشعب الجزائر عاقد العزم على مواصلة الكفاح الى أن يتحقق النصر أما شعب فرنسا فهو غير مستعد ، وهذه حقيقة تعرفها حكومة فرنسا جيدا) دمشق 8 تشرين الثاني 1959م .

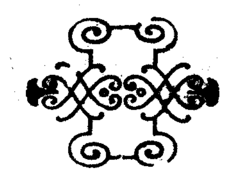
وفي الرابع من تشرين الأول 1959م ـ أصدرت القيادة العليا لجيش التحرير أمرا يوميا أذاعته على المجاهدين في جميع مواقعهم بجبهات القتال بأن أى اقتراح بالاندماج أو الاتحاد مع فرنسا مرفوض ووصفت اعتراف الجنرال بحق تقرير المصير بأنه نصر للثورة وأكدت قيادة الثورة بقولها (ان الثورة قوية أكثر من أى وقت مضى ، وأن باب الاستقلال مفتوح للجزائر ، استطردت تقول ان هذا النصر نصركم ، وتقرير المصير انتزعتموه بكفاحكم يساندكم في ذلك شعب لم يتهرب أمام أية تضحية ، وتشد أزركم الدول المحبة للحرية .

حاول الجنرال ديغول : أن يكون قوة ثالثة من بين النزعات القومية للجزائريين من جهة ، والمستوطنين الفرنسيين والجيش من جهة أخرى ، وراح يكرر في نهاية 1960م عبارة الجزائر الجزائرية ، وتمهيدا لهذه الخطة أعلن أنه ليس من الضرورى انتظار انتهاء القتال للشروع في تزويد الجزائر الادارية الخاصة ، أجرى انتخابات المجالس البلدية ، وظهر فيها أنصاره بألاغلبية الساحقة سواء كانوا من الجزائريين أم من الفرنسيين ، وتبين أن هؤلاء قد كونوا اتجاها متميزا عن الاندماجيين ، كما أعلن ديغول عن نيته في تأسيس جيش جزائرى في اطار هذه السياسة ، ولكنه أخيرا أدرك استحالة تكوين هذه القوة الثالثة الذى أراد تجمعها من المعتدلين الجزائريين والاوربيين على السواء ...

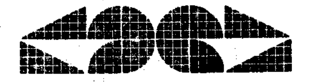
ولم يلبث أن لمس الحقيقة بنفسه وهى أن أية مفاوضة مع غير جبهة التحرير ستكون عبثا ، وحينها قام بزيارة الجزائر في العاشر من شهر ديسمبر 1960 ليشرح سياسته الجديدة انتهز المعمرون هذه الفرصة فعبروا عن العنصرية بأفضع صورها ، فقاموا بحركة رهيبة من القتل الجماعى والتخريب في مدينة الجزائر العاصمة ووهران ، وذهب ضحية هذه البربرية خلق كثير من المسلمين ، ولما رأى الشعب الجزائرى هذه الاعمال الوحشية قام بمظاهرات كبرى معاكسة حاملا الأعلام الجزائرية متحديا الموت مناديا بالشعارة الوطنية وبجبهة التحرير ...

ومن المعروف أن الصراع بين العناصر المتجاورة تترك أثرا عميقا أكثر مما تتركه الحرب المألوفة .

هذه المظاهرات الشعبية هى التى ردت عقلية الجنرال الى الصواب ، وجعلته يشعر بأن كل اجراء يتخذ بدون اتفاق مع جبهة التحرير سيكون مآله الفشل ، وعاد الى باريس ، وهو يؤمن بعدم الحلول الوسطى في هذه القضية الشائكة ، فبدأ يمهد السبيل لكى يخطو الخطوة النهائية ألا وهى المفاوضات على تقرير المصير مع جبهة التحرير لتحصل الجزائر على استقلالها التام . ومن بعد مفاوضة (ايفيا) اصبحت الجزائر دولة ذات سيادة حرة مستقلة ، وذلك بفضل الاسلام الذى دفع الشعب الى جهاد الأستعمار حتى احرز على النصر النهائى .



وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ قرآن کریم



الخاتمة

الأمة الاسلامية هى أمة القرآن ، اليه يرد أصلها ، وبه يعرف نسبها ومنه نسحب وتنسج ما تلبس من حلل العزة والكرامة والسيادة ، ولن يمسك وجودها الا رعايتها للقرآن الكريم ، واجتماعها عليه ويوم تفتر عزيمتها عن المضى فيه أو تسترخى يدها عن الشد عليه والتعلق به يوم يكون ــ ولا كان ــ ردتها الى الجاهلية ، وركسها في الضلال ، ورعيها في الهمل مع السائمة والهائمة من حواش الأمم ونفايات الشعوب .

وتاريخ المسلمين مع القرآن الكريم يشهد لذلك شهادة قائمة على هذا الحساب ، مقدرة بهذا التقدير ، جارية معه طردا وعكسا فانه على قدر ما كان يقترب المسلمون من كتابهم الكريم ، وبقدر ما كانوا يرعون حقه ويؤدون أماناته ، كان نصيبهم من الخير ، وكان حظهم من السلامة في أنفسهم وأموالهم وأوطانهم .

فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

والعكس صحيح ، فانه على قدر ما كان يبتعد المسلمون عن كتابهم وبقدر ما يفرطون في حقه ويستخفون بشأنه بقدر ما كان بعدهم عن الخير وكان دنوهم من الخطر ، وتعرضهم لآفات التفكك والانحلال فمن شأن القرآن أن يقيم المتصلون به على طريق الحق .

ان الذى يستقيم على دعوة القرآن لهو انسان سليم في كيانه ومعافي في نفسه ، ثم هو قادر على أن يحمل الهدى الى غيره ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكون خليفة الله في الأرض وخليفة الرسول في الدعوة وهداية الناس اليه .

ولكن صحبة المسلمين للقرآن لم تكن قائمة على العدل والاحسان في جميع الأحوال فكثيرا ما أساء المسلمون تلك الصحبة وأوسعوها جفاء وعقوقا حيث يعيش فيهم القرآن غريبا لا

يقفون عنده ولا يلتفتون اليه ولا يتدبرون آياته ، ولا يتلقون بعض ما فيه من الخير والهدى .

والجفوة التي بين المسلمين وبين القرآن الكريم جفوة غليظة مستحكمة ، قد تداعت عليها دواع كثيرة أحكمت بنيانها وثبتت دعائمها ، فلم يعد بين المسلمين وبين القرآن طريق يصلهم به الا تلك الطريق الدراسة الطامسة التي تتصاعد منها أتربة وأدخنة تعمي الناظر عن كتاب الله ووجود الخير والحق الذي فيه .

وان حظ المسلمين من القرآن اليوم هو حظهم من مخلفات الآباء والأجداد مما تضمه المتاحف ودور الآثار ، يزورونها الماما ، ويطرقونها حينا بعد حين . قد تثير فيهم تلك الزورة نشوة ... وتبعث فيهم عزة عادية ، يقولون اننا نلم القرآن الماما ، ونلقاه حينا بعد حين ونتذكر به في تلك اللقاءات من مواعظ وعظات ثم لا يلبثون حتى تذهب عنهم ما علق بأذهانهم من العظات قبل أن يضعوا المصحف من أيديهم ، والمسلمون في الصدر الأول للاسلام أغناهم القرآن عن كل شيء لا يمدون أبصارهم الى غيره ولا يأخذون لدينهم ودنياهم الا بما يوحى به اليهم علمه وترمى به اليهم آياته وطبيعي أن هذا الذي نقوله عن كتاب الله تقوله كذلك فيما ثبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية ، اذا كانت السنة المطهرة تطبيقا شارحا لكتاب الله وفي هذا يقول الله تعالى : «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» ـ سورة الحشر ـ

ولا يستقيم القول بأن القرآن مصدر تشريع اسلامي الا بفهم صحيح ولا يكون هذا الفهم الصحيح السليم الا عن طول تأمل وتدبر لكتاب الله وتذوق لأساليب بيانه والوقوف على بعض أسراره .

وبهذا الفهم لكتاب الله يتحقق لنا أمران :

أولا هما : اتصالنا به اتصالا وثيقا قائما على معرفته ، وتذوقنا لجنى طعومه الطيبة هذا مما يجعل تلاوتنا للقرآن تلاوة تؤثر في نفوسنا وتقع على قلوبنا بردا وسلاما ونتجاوب مع أدابه ،

وتستجيب لندائه فيما يدعو اليه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

ثانيهما : تصور مسائل الدين تصورا واضحا محددا بلا قول ولا معلقات وبهذا يعرف المسلم الحكم قاطعا فيما أحل الله وفيما حرم ، فيكون على بينة من أمره فيما يأخذ أو يدع من أمر دينه .



فهــــــرس

الموضــوع | صفحة

المـراجـــــع

القرآن الكريم
الحديث الشريف
دولة القرآن — طه عبد الباقى سرور
عيون البصائر — الشيخ البشير الابراهيمى
العروة الوثقى — الشيخ محمد عبده
التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية الدكتور محمد شلبى
ما يقال عن الاسلام — عباس محمد العقاد
البداية والنهاية لابن كثير
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابن الحسن الندوى
تاريخ الواقدى
ليل الاستعمار — فرحات عباس
البلاغات الرسمية عن طريق الصف والاذاعات
القاضى الجوجافي — الدكتور محمد الاسمر
تاريخ الشعوب الاسلامية — بركلمان
صحيفة المجاهد — لسان حال الثورة الجزائرية
التبشير والاستعمار — الدكتور محمد فروخ
الجزائر الثائرة
الجزائر في معركة التحرير — سعبد زغلول عقاد
ثورة التحرير الجزائرية — الدكتور صلاح العقاد
وثائق للحكومة الجزائرية المؤقتة جورج أرنو في كتابه على جميلة بوحيرد
الجزائر حتف الاستعمار — ادريس وعائشة

I مطبعة اللغتين

M ٨ شارع صالح بوعكوير ـ الجزائر ـ الهاتف: ٢٠٠٢ ٨٦ ٦٤

PRIMERIE *Bilingue*

8, Bd. Salah Bouakouir - ALGER